ومن أثر معرفة العبد بهذه الصفة :

قيام العبد على الطاعة لعدم علمه بما كتبه الله ﷻ عليه ، فهو يعمل بالأوامر ، ويجتنب النواهي دون تعليق أخطائه على القدر، ويخشى الله لعلمه بكتابة كل عمله عليه .

ومن صفات الله ﷻ :

الخُلَّة فهو يُحب ويخالل، والخلة اتخذها الله ﷻ لإبراهيم ولمحمد صلى الله عليهما وسلم

قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام :﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا** ﴾ [النساء : ١٢٥][1]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ قَالَ : «**أَتْقَاهُمْ**» . فَقَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ . قَالَ : «**فَيُوسُفُ نَبِىُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِىِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِىِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**»[2].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال : «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنَّهُ أَخِى وَصَاحِبِى وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً**»[3]

---

(١) وإنما سُمّي خليل الله لشدة محبة ربِّه ﷻ له ، لما قام له من الطاعة التي يحبّها ويرضاها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ، ومسلم (٢٣٧٨) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٨٣) .

ومن أثر ذلك :

أن يعمل المعتقد على محبة الله له، فيقوم بأسباب ذلك لينال مكانًا عليًّا(١).

ومن صفات الله ﷻ :

الدلالة أو الدليل – أي الذي يدل عباده ويهديهم إلى طريق النجاة ويهديهم إلى محابه ﷻ

قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الصف : ١٠ ، ١١] .

وفي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى ﷺ فِى قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلاَؤُهُ إِذْ قَالَ مَا أَعْلَمُ فِى الأَرْضِ رَجُلاً خَيْرًا أَوْ أَعْلَمَ مِنِّى. قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنِّى أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ إِنَّ فِى الأَرْضِ رَجُلاً هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ يَا رَبِّ فَدُلَّنِى عَلَيْهِ. قَالَ فَقِيلَ لَهُ تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ**

(١) وقد جانب الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٦٩) الصواب لما قال عن الخلة : «إطلاقها في حق الله تعالى فعلى سبيل المقابلة ، وقيل : الخلة أصلها الاستصفاء ، وسمي بذلك؛ لأنه يوالي ويعادي في الله تعالى ، وخُلَّة الله له نصره وجعله إمامًا»، وبنحوه قال في (٧/ ٢٣) فإن أهل السنة والجماعة يثبتون لله صفة الخلة ، وهي أرفع رتبة من المحبة على ما يليق به سبحانه .

الْحُوتَ...الحديث»[(١)].

وقد حكى ابن تيمية[(٢)]:«عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُسَمَّى دَلِيلًا». ثم ردَّ على من خالَف في هذا من أهل البدع، والله المستعان.

ومن أثر معرفة هذه الصفة :

سؤاله ﷻ الدلالة إذا ما أراد العبد من الله دلالة على أمر ما ، وكان من دعاء الصالحين : يَا دَلِيلَ الْحَيَارَى دُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ الصَّادِقِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِك الصَّالِحِينَ [(٣)].

والله تعالى يُرشد عباده ، فهو راشد ﷻ إلى مصالحهم

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٨٠) وظاهر كلام شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٧) أنه يُثبت لله ﷻ صفة الدلالة فإنه قال:«وَهِدَايَتُهُ وَدَلالَتُهُ مِنْ مُقْتَضَى اسْمِهِ الْهَادِي وَفِي الأَثَرِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ: يَا دَلِيلَ الْحَيَارَى دُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ الصَّادِقِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِك الصَّالِحِينَ».

(٢) في«مجموع الفتاوى»(٢/ ١٧).

(٣) وقد ورد عن أحمد بن حنبل رحمه الله كما تقدم أخرجه اللالكائي في«كرامات الأولياء»(٢١٢) من طريق الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقَ، يَقُولُ: يُرْوَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى طَرَسُوسَ، قَالَ: قُلْ يَا دَلِيلَ الْحَيَارَى دُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ الصَّادِقِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، قَالَ: فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَأَصَابَهُ شِدَّةٌ وَانْقَطَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ فَلَحِقَ بِأَصْحَابِهِ، فَجَاءَ إِلَى أَحْمَدَ وَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: اكْتُمْهَا عَلَيَّ .

ولك في إسناده مبهم.

قال ﷻ عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] .

وقد قال ﷺ : «الإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُـؤَذِّنُ مُـؤْتَمَنٌ ، اللَّهُـمَّ أَرْشِـدِ الأَئِمَّـةَ ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ»(١) .

ومن صفات الله ﷻ الواردة : صفة الرؤية – فهو يرى كما يُرى مع الفارق بين

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين : أخرجه الحميدي (٩٩٩) ، وعبد الرزاق (١٨٣٨) وابن الجعد في «الجعديات» (٢١١٨) ، وأحمد (٢/ ٤٢٤) ، والترمذي (٢٠٧) ، وذَكَر الخلاف في إسناده على الأعمش ، ونقل عن ابن المديني أن الحديث بأي حال لم يثبت لا عن أبي صالح عن أبي هريرة ، ولا عن أبي صالح عن عائشة ، وقد أشار العلماء إلى علة ؛ وهي أن الأعمش رواه عن أبي صالح بواسطة رجل ، كما عند أحمد (٢/ ٢٣٢) وغيره ، ولا يبعد أن يكون الأعمش قد رواه عن أبي صالح بواسطة ثم التقى به وسمعه منه ؛ لأنه صرح في بعض الطرق بسماعه منه .

وقد رواه أبو إسحاق السبيعي عند أحمد (٢/ ٣٧٨) عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وتابعه معمر والثوري عن أحمد أيضًا (٢/ ٢٨٤) ، ومحمد بن عبيد عنده (٢/ ٤٢٤) ، وقد رواه أحمد (٢/ ٣٨٢) من طريق ابن نمير عن الأعمش قال : حُدِّثت عن أبي صالح ولا أراني إلا قد سمعته ، عن أبي هريرة ... ، وهذا إسناد صحيح على شرطهما ، وقد رواه محمد بن سهيل عن أبي هريرة ، أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) .

وله شاهد عن أبي أمامة عند أحمد (٥/ ٢٦٠) ، وقد حكى البيهقي (١/ ٤٣٠) عن البخاري أنه صحح رواية أبي صالح عن عائشة ، وعلى أي حال فالحديث صحيح لا إشكال في تصحيحه ، والله أعلم .

رؤيته ورؤية خلقه – فثابت لله البصر، والرؤية.

فنثبت لله ﷻ الرؤية – فإنه سبحانه يرى لا كرؤية غيره ، وإنما على ما يليق به– قال ﷻ لموسى وأخيه هارون : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه : ٤٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** ﴾ [العلق : ١٤] .

وفي حديث جبريل ﷺ المشهور : «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» . متفق عليه.

وقول أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أحد : «**لَئِن اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشركِينَ لَيَرِيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ ...** » الحديث[1].

وفي رواية مسلم : « **لَيَرَانِي اللَّهُ**»[2].

ثانياً :من صفات الله ﷻ الذاتية:

إثبات القدم له، والرجل والظاهر أنهما بمعنى واحد عند النظر في الروايات[3]

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في محاجاة الجنة والنار:«**فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا...**» الحديث[4].

---

(١) صحيح : متفق عليه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٠٣) .

(٣) وراجع كلام ابن تيمية في«الواسطية» ص ٧٦ في هذا.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦) .

وفي رواية البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ**».

وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»(١).

وقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنه قال : «الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره»(٢).

وقال أبو موسى الأشعري(٣) : «الكرسي موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل» (٤) .

وإمرار الأحاديث التي تُثْبت القدم لله تُمَرَّر كما جاءت ، كما هو مذهب

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٦١) .

(٢) صحيح عن ابن عباس : أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره»(٢/ ٢٥١)ط.الرشد، وغيره عن الثوري عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه به .

وإسناده صحيح ثابت .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره»(٥٧٨٩) ط الرسالة بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٩٩) ط دار المعرفة ، وهو كذلك، وقد وعزاه لابن المنذر .

(٤) وأطيط الرجل فيما نراه: أن الرحل إذا كان جديداً فله احتكاك من ثقله، فيُسمع له صوتاً، هذا فيما نراه في رحالنا، وأما الأطيط الذي يكون من الكرسي، فالله أعلم بكيفيته.

السلف ، وليت الذين خاضوا ما خاضوا [١].

فثابت لله صفة الرجل أوالقدم ، وهي من الصفات الذاتية لله تعالى.

وهذه الصفة أنكرها رجل في مجلس ابن عباس رضي الله عنه وانظر ما جرى:

أخرج معمر [٢]عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا، فَقَامَ رَجُلٌ فَانْتَقَضَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا فَرَّقَ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ».

وهذا إسنادٌ صحيح لو كان عند ابن عباس تأويل لذكره، وهو من أقوى الدلالات لقول أهل السنة عن أيات وأحاديث الصفات«أمرُّوها كما جاءت»

ومن صفات الله سبحانه وتعالى : الرضا

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ [البينة : ٨].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح : ١٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**» [٣].

وقال صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ**

---

(١) وراجع «فتح الباري» (٨/ ٧٣٢) .

(٢) برقم(٢٠٨٩٥ مصنف).

(٣) صحيح أخرجه مسلم (٤٨٦) .

تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .

وأثر معرفة العبد بهذه الصفة

أن يعمل ما يرضي ربه عنه

تنبيه :

إذا أعطى الله عَزَّوَجَلَّ لمن ليس مقيمًا على طاعته فإنه يعتبر في الحقيقة استدراجًا ، وليس عطاؤه في كل الحالات يكون عن رضى .

فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الذين كذبوا بآياته : ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ [القلم : ٤٤ : ٤٥] .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللّه لَيُمْلي لِلظَّالِمِ ، حتَّى إذا أَخذه لم يُفْلِتْهُ**» ، ثم تلا : ﴿**وكَذلكَ أَخْذُ ربِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ ٠ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَديدٌ** ﴾ [هود : ١٠٢][1]

وقال في قوم لم يستجيبوا لما يُذَكَّرون به : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ٠ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام : ٤٥:٤٦] .

فإذا جاءت المثوبة والإنسان طائع ؛ فإن هذا يكون غالبًا عن رضي ، أما إذا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ، ومسلم (٢٥٨٣) .

جاءت والعبد مقيم على المعصية ، فليعلم العبد أن ذلك استدراجًا .

قال ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**»، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾[1] .

ولله ساق على وجه الحقيقة – وليس كمثله شيء –

قال ﷻ : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [القلم : ٤٢] .

وهي ساق لله ﷻ على الحقيقة ، بقرينة ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الرؤية يوم القيامة ؛ وفيه :

«**حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ...**»[2] الحديث .

وفي رواية البخاري :

---

(١) وقد ورد هذا عن النبي ﷺ من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (٤/ ١٤٥) ، وهو حديث ثابت بطرقه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) واللفظ له .

«فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً .... »[١] الحديث .

وهي أيضًا في بعض طرق الحديث : «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ»[٢] .

ومن نظر في الآية والحديث ؛ لزمه أن يقول بأن قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ساق حقيقية ، لا أن المعنى : الشدة ، كما قال من نظر في الآية بمفردها[٣] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري كما سبق .

(٢) أحرجه البخاري(٧٤٣٩) .

(٣) وقد حكى الحافظ في «الفتح» (٨/ ٨١٧)عن الإسماعيلي قال : في قوله عن ساقه : «نكرة» ، ثم قال الحافظ : «أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ : «يكشف عن ساق» قال الإسماعيلي : «هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك ، ليس كمثله شيء» .

وقال في «هدى الساري» ص(١٨١) : «يكشف عن ساق» قيل : «الأمر الشديد ، وقيل : غير ذلك» أ. هـ ، وقد تعقبه الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله وجزاه الله خيرًا فقال : «لفظة ساقه» ثابتة في الصحيح ، والرواية الأخرى لا تنافيها ولا تعارضها .

وما ذكره الإسماعيلي لا يُلزم مَن أثبتها ، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون لله هذه الصفة وغيرها مما ورد في الكتاب والسنة على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تشبيه بصفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

ومن صفات الله ﷻ :الستر–ولم يثبت اسماً على ما بيناه في غير هذا الموطن–(١)

دليل هذه الصفة قوله ﷺ : «**لاَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِى الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٢) .

وفي رواية : «**لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِى الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٣).

وأثر معرفة العبد بهذه الصفة: أن يطلب العبد من ربه الستر عليه في الدارين ، فمتى خاف الفضيحة في الدنيا أو في الآخرة فليطلب من الله أن يستر عليه ، فقد يفضح الله العبد بيديه وعلى لسانه ، بل بإرادة العبد ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

ومن صفات الله ﷻ : السخرية من الكافرين

قال ﷻ عن أهل النفاق : ﴿ **فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٧٩] .

فهو ﷻ يسخر ممن يستحق السخرية حكمة منه وعدلاً، وليست سخريته منهم كسخرية العباد إذ ليس كمثله شيء، ولا نخوض في الكيفية .

وأثر معرفة هذا على المعتقد

---

(١) فيما تقدم .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٩٠) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٩٠) .

الاطمئنان بالإيمان مهما سخر منه الساخرون عزة بالله ؛ لأن الله ﷻ وكيله في الدفاع عنه ، فلا يتأثر بسخرية أحد منه ما دام هو على الحق ، ولذلك كان نوح عليه السلام يسخر ممن يسخرون منه من الكفار فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [هود : ٣٨ ، ٣٩] .

ومن صفات الله سبحانه وتعالى : السُّخط على من يستحق ذلك :ـ

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ [المائدة : ٨٠]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ** ﴾ [محمد : ٢٨]

وفي الصحيحين من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ » فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِى يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِى فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1] .

وأثر معرفة هذا على العارف :ـ

معرفة سعة فضله وعطائه ، فيزداد الإيمان ، والاطمئنان ، والأنس في عبادته ، والحذر من سخطه سبحانه وتعالى .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

ومن صفات الله الفعلية : أنه سريع الحساب والعقاب ، ومُجْرِي السحاب ، وهازم الأحزاب ، منزل الكتاب ، يتلقى عبده المؤمن القادم إليه بأسرع :ـ

لقوله ﷻ : ﴿ **وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [البقرة : ٢٠٢] .

وكان ﷺ يقول : «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِىَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**» [(١)] .

وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزل قوله ﷻ : ﴿ **تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ** ﴾ قُلْتُ : «مَا أُرَى رَبَّكَ إِلاَّ يُسَارِعُ فِى هَوَاكَ» [(٢)] .

وقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ : إِذَا تَلَقَّانِى عَبْدِى بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ وَإِذَا تَلَقَّانِى بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ وَإِذَا تَلَقَّانِى بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ**» [(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث الأول : «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ...**» «فيه سُؤَال اللَّه تَعَالَى بِصِفَاتِهِ الْحُسْنَى وَبِنِعَمِهِ السَّالِفَة» [(٤)] .

وأثر معرفة هذا على العارف :ـ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٢٥) ، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٨٨) ، ومسلم (١٤٦٤) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٧٥) ، وأصله في الصحيحين .

(٤) «فتح الباري» (٦/ ١٩١)، وهو قول ابن جرير الطبري في «تفسيره» في تفسير قوله ﷻ: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ حيث أثبت في صفاته : سريع الحساب .

سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ على الوجه الذي سأله به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : أنه ذو السلطان

لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» (١).

ومن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشدة – وهي بمعنى القوة – في العذاب والعقاب والانتقام:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾ [الرعد : ١٣] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [آل عمران : ١١] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا** ﴾ [القصص : ٣٥] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ** ﴾ [الإنسان : ٢٨] .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ**» (٢).

وأثر معرفة المؤمن بذلك :

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦) ، والبيهقي في «الدعوات» (٦٥) وجود إسناده النووي في «الأذكار» وهو كذلك ؛ فإن رجاله ثقات إلا إسماعيل بن بشر فحسن الحديث وكونه قدريٌّ ليس بمؤثر هنا ، والله أعلم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٥) ، ومسلم (٨٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

اتقاء سخط الله وغضبه؛ لعلمه أنه شديد العقاب والانتقام والعقاب .

وصفة الصبر ثابتة لله ﷻ فهو سبحانه صبور على الحقيقة ما أحد أصبر على أذى يسمعه منه جل شأنه:

قال ﷺ : «**لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» [(١)].

وصبره ﷻ ليس كمثله صبر ، يفارق صبرُه صبرَ المخلوق، ولا يماثله بوجه من الوجوه ، فهو سبحانه صبور لا يعاجل العصاة بالمؤاخذة والعقوبة والانتقام منهم – وما أعظمها من نعمة – ، بل يؤخر ﷻ ذلك إلى أجل مسمى تقتضيه الحكمة الإلهية ، وقد يأخذه أخذًا لا يفلته في وقت ، وأخذه أليم شديد، وقد يعفو عنه على مقتضى الحكمة الإلهية البالغة التي يعجز عن وصفها الواصفون[(٢)].

وهو ﷻ الحليم الذي لا يعالج العصاة بالنقمة، بل يعفو أو يؤخِّر .

وأثر معرفة المؤمن بذلك :-

تحصيل كمال الذل والمحبة لله ؛ لكونه ﷻ صبور لا يعاجل بالعقوبة لمن عصاه ، بل يمهله إكرامًا منه ، فيكرم العصاة ويعافيهم رغم معاداتهم له ، وكذبهم عليه ، وشتمه جل شأنه .

ومن صفات الله ﷻ : الصدق ، فهو ﷻ صادق في جميع ما أخبر به :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٩٩) ، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٢) انظر «لسان العرب» ، وغيره من كتب اللغة مادة «صبر» .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [آل عمران : ٩٥] .

وقال أهل الإيمان لما التقوا مع أحزاب الكفر : ﴿ **هَـذَا مَا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا** ﴾ [النساء : ١٢٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[(١)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**صَدَقَ اللَّـهُ ، وَكَـذَبَتْ بَطْـنُ أَخِيـكَ**»[(٢)]. حينما أمر بسقي العسل واستطلقت بطنه فلم تسكُن .

وأثر معرفة العبد بهذه الصفة :

التصديق لله فيما أخبر به ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، ولو لم تُحِط به العقول والأفهام .

ومن صفات الله عز وجل : أنه صانع ، فهو يصنع بمعنى يهيئ ويركِّب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [النمل : ٨٨] .

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل صَنَعَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»[(٣)].

---

(١) صحيح : اخرجه البخاري (٦٣٨٥) ومسلم (١٣٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٨٤) ومسلم (٢٢١٥) .

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٢٤) وابن ابي عاصم في «السُنَّة» (٣٥٨) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»(٣٧ ، ٥٧٠ ، ٨٢٥) وغيرهم من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن أبي =

وقد عُدّ الصانع من الأسماء وفيه نظر .

لأن لفظة «إن الله صانع كل شيء وصنعته»– وهي رواية من حديث حذيفة رضي الله عنه– إن صحت فهي مقيدة، ولابد في إثبات الاسم أن يأتي مطلقًا كما بيناه آنفاً، وإلا فالرواية التي تثبته إسماً منكرة .[1]

=

مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة.وإسناده صحيح، وقد صححه الحافظ في «الفتح»(١٣/ ٦٠٣).

(١) وقد روى هذا الحديث سعد بن طارق أبو مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة عن رسول الله ﷺ به. واختلف عن سعد.

فأخرجه اللالكائي في«أصول الاعتقاد»(٩٤٢)والمحاملي في«الأمالي»وابن عساكر في«المعجم»(١٢٢) من طريق أبي خالد الأحمر– وهو صدوق يخطيء – عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً باللفظ المذكور عالياً.

وخالفه مروان بن معاوية الفزاري فرواه عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً بلفظ:« **إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**» وَتَلَا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ {**وَاللهُّ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**}ليس فيه اللفظ الذي يثبت الاسم، وإنما فيه ما يثبتها صفة.

أخرجه البخاري في«خلق أفعال العباد»(١٢٤) والبزار(٢٨٣٧) وابن مندة في«التوحيد»(١١٣) والبيهقي في«الشعب»(١٨٧) من طرق عن مروان عن أبي مالك عن ربعي به. وهذا إسناد صحيح.

والحاصل : أن رواية أبي خالد الأحمر رواية منكرة.

ويؤيد نكارتها:

=

وأثر معرفة هذه الصفة على العبد :

معرفة عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته، وسعة عطائه، وسعة ملكه وعلمه، فيُعظِّمه العارف ويقدِّره حق قدره.

ويطلق على الله عز وجل طبيب – وليس كالأطباء – بل على ما يليق به سبحانه وتعالى

لحديث أبي رمثة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم :أَرِنِي هَذَا الَّذِي بِظَهْرِكَ فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ . قَالَ : «**بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا**»[١] .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه :«ألا ندعو لك الطبيب؟ قال:هو أضجعني» وكذا عن أبي بكر وقد تقدم قبل.

وأثر معرفة ذلك :

أن يعلم أن المداوي للأمراض على الحقيقة إنما هو الله سبحانه وتعالى ، فلا يركن إلا له سبحانه وتعالى ، ولا يسأل أحدًا كسؤاله سبحانه وتعالى .

ومن صفات الله : الضحك – لا كضحك الناس[٢]

دل على هذه الصفة حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

=

أن البخاري روى هذا الحديث في«خلق أفعال العباد»(١٢٥)من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن شقيق عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه :«**إِنَّ اللهَّ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ، إِنَّ اللهَّ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنْعَتَهُ**».

(١) وهو حديث ثابت كما خرجته قبل .

(٢) إذ ليس كمثله شيء ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ، ولله الحمد فلن نُعدم خيرًا من رب يضحك .

«إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى . فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ - قَالَ - فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - قَالَ - فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[1].

وفي رواية : «...فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : **مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّى وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ : إِنِّى لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّى عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»**[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**» . فَقَالُوا : كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٧١) ، ومسلم (١٨٦) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٧) .

الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ»[١]

أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل ذلك[٢] .

والفائدة من إثبات هذه الصفة لله ﷻ :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) .

(٢) وفي «فتح الباري» (٦/ ٥٠) عن الخطابي قال: « وَقَدْ تَأَوَّلَ الْبُخَارِيُّ الضَّحِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الرَّحْمَةِ وَهُوَ قَرِيبٌ وَتَأْوِيلُهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الرِّضَا أَقْرَبُ فَإِنَّ الضَّحِكَ يَدُلُّ علىٰ الرِّضَا وَالْقَبُول قَالَ والكرام يوصفون عِنْد مَا يَسْأَلُهُمُ السَّائِلُ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ اللِّقَاءِ فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ يَضْحَكُ اللهُ أَيْ يُجْزِلُ الْعَطَاءَ قَالَ وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ يُعَجِّبَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ وَيُضْحِكَهُمْ مِنْ صَنِيعِهِمَا وَهَذَا يَتَخَرَّجُ عَلَىٰ الْمَجَازِ وَمِثْلُهُ فِي الْكَلَام يَكْثُرُ.

وَقَالَ بن الْجَوْزِيِّ: أَكْثَرُ السَّلَفِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَأْوِيلِ مِثْلِ هَذَا ويمرونه كَمَا جَاءَ وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَىٰ فِي مِثْلِ هَذَا الْإِمْرَارِ اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتُ اللهَّ صِفَاتِ الْخَلْقِ وَمَعْنَىٰ الْإِمْرَارِ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْمُرَادِ مِنْهُ مَعَ اعْتِقَادِ التَّنْزِيهِ.قُلْتُ (الحافظ): وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِالضَّحِكِ الْإِقْبَالُ بِالرِّضَا تَعْدِيَتُهُ بِإِلَىٰ تَقُولُ ضَحِكَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ طَلِقَ الْوَجْهِ مُظْهِرًا لِلرِّضَا عَنْهُ » .

قلت «**محمد**»: الصواب هو المنقول عن أكثر السلف مع تنزيه الله عن صفات المخلوقين، أي: إجراء الصفات على ظواهرها، والبخاري من أبعد الناس عن التأويل، بل قال الحافظ نفسه في «الفتح» (٨/ ٧٧٧) عن ذلك : بعد أن نقله عن الخطابي أيضًا قلت «أي الحافظ»: «ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري» أ . هـ

ثم رأيت الحافظ – عفا الله عنه – يجزم بهذا التأويل في موطن آخر من «الفتح» (٧/ ١٤٩) فيقول : «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية ، والمراد بهما : الرضا بصنيعهما»» .

أننا نرجو من الرب الذي يضحك كل خير ، فتنفتح لنا الآمال ، ولا ييأس اليائسون من رحمة الله .

صفة الرحمة ثابتة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة والإجماع والعقل

وليست مخلوقة وإنما هي صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى ، لكن أشكل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلاَّ وَاحِدَةً**»(١) .

وفي رواية من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه : «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً فِيهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**»(٢) .

والجواب :

أن الرحمة المضافة إلى الله سبحانه وتعالى نوعان كما يقول العلماء : نوع مضاف إليه وهو الذي خلقه ، ونوع مضاف إلى ذاته فليست بمخلوقة ، والحديثان فيهما النوع الأول دون الثاني ، وهذا الذي تدل عليه الأدلة وأقوال الأئمة :

قال المهلب رحمه الله(٣) : الرَّحْمَة الَّتِي خَلَقَهَا اللَّه لِعِبَادِهِ وَجَعَلَهَا فِي نُفُوسهمْ فِي

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٠٠) ، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٥٣) .

(٣) فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٢٢) .

الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي يَتَغَافَرُونَ بِهَا يَوْم الْقِيَامَة التَّبعَات بَيْنَهمْ . قَالَ : وَيَجُوز أَنْ يَسْتَعْمِل اللَّه تِلْكَ الرَّحْمَة فِيهِمْ فَيَرْحَمهُمْ بِهَا سِوَى رَحْمَته الَّتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْء وَهِيَ الَّتِي مِنْ صِفَة ذَاته وَلَمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بِهَا ، فَهِيَ الَّتِي يَرْحَمهُمْ بِهَا زَائِدًا عَلَى الرَّحْمَة الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ»[1].

والأسماء الحسنى والصفات العلى ثابتة لله ﷻ ثبوتًا لا تماثل فيه بينه وبين غيره

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ [النحل : ٦٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص : ٤] .

وقال ﷻ : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم : ٦٥] .

ونفي المماثلة لا تعارض بينه وبين إثبات الصفات لله الذي له ﷻ المثل الأعلى

فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يُعَارِضُ بَيْنَ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ قَوْلِهِ ﷻ :

---

(١) وبنحوه هو كلام ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٠٨) ط. دار الباز ، وذكر أدلة وتفصيلاً فليراجعه من شاء .

وأما قول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٩٣) في أول كتاب التفسير : «الرحمة لغة : الرقة والانعطاف ، وعلى هذا فوصفه به تعالى مجاز عن إنعامه على عباده ، وهي صفة فعل لا صفة ذات» ، فقول باطل مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة من إثبات صفة حقيقية لله تعالى على ما يليق به سبحانه إذ ليس كمثله شيء سبحانه .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ . ؟ وَيَسْتَدِلُّ بذلك نَفْيِ الصِّفَاتِ وَيَعْمَى عَنْ تَمَامِ الآيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ حَتَّى أَفْضَى هَذَا الضَّلالُ بِبَعْضِهِمْ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤادَ الْقَاضِي، إِلَى أَنْ أَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُون أَنْ يَكْتُبَ عَلَى سِتْرِ الْكَعْبَةِ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، حَرَّفَ كَلامَ اللَّهِ بنَفْيِ وصفه -تَعَالَى - بِأَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »» كَمَا قَالَ الضَّالُّ الآخَرُ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ : وَدِدْتُ أَنِّي أَحُكُّ مِنَ الْمُصْحَفِ قَوْلَهُ ﷻ : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ السَّمِيعَ الْبَصِيرَ أَنْ يُثَبِّتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ[1].آمين آمين

وصفة الطي ثابتة لله ﷻ [2]- وهو ملاقاة الشيء بعضه على بعض وجمعه

قال الله ﷻ : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»[3].

أثر معرفة هذه الصفة لله ﷻ

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٩٣) .

(٢) وهي كصفة القبض له، والقابض ثابت لله اسمًا، ويتضمن إثبات صفة القبض، أما هنا ؛ فنثبت صفة الطي ؛ لأن صفة القبض ثابتة بثبوت الاسم له ﷻ ، إذ كل اسم يتضمن صفة .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥١٩) و (٧٣٨٢) ، ومسلم (٢٧٨٧) .

أن يعلم المعتقد عظم قدرة الله ، فإذا كان ﷻ يطوي السماء بسهولة كطي السجل للكتب ، والأرض جميعًا في قبضته ، ويبدل يوم القيامة الأرض غير الأرض والسموات ... إلى غير ذلك من دلائل قدرته .

ونثبت لله ﷻ صفة «العَتب» بما يليق به ﷻ ، فعتب الله على موسى ومحمد ﷺ ، والعتاب هنا اللوم ـ هكذا في اللغة ـ

ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : «**قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ...**» الحديث[1]

وفي حديث الإيلاء الطويل، ومعنى عتب الله: أي لامه.

قول عمر رضي الله عنه: فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ:«**مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا**».مِنْ شِدَّةِ مَوْجَدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ.فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ[2].

ومن صفات الله ﷻ : العدل – وليس من الأسماء – وإنما هو صفة ، فهو يعدل في فعله وحكمه ، كما أنه ﷻ يأمر بالعدل والإحسان ويحبه

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٢) ، ومسلم (٢٣٨٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٦٨) ، ومسلم (١٤٧٩) .

لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ. قَالَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ - فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ - قَالَ - فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ ثُمَّ قَالَ : «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»(١) ...**الحديث** ، ولا تماثل بين عدل الله وعدل رسوله ﷺ ، فله المثل الأعلى .فمن صفة الله أنه العدل، وكذلك صفة رسول الله ﷺ، ولا تماثل بين صفة الخالق، وصفة المخلوق.

وأخرج الفسوي في «المعرفة» والبيهقي في «الأسماء والصفات» وغيرهما بإسنادٍ صحيح من طريق يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ صَاحِبُ مُعَاذٍ أَنَّ مُعَاذًا ﷺ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا جَلَسَ مَجْلِسًا للذِكْرِ «**اللَّهُ حَكَمٌ عَدَلٌ**» (٢).

وأثر معرفة هذه الصفة :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٥٠) ، ومسلم (١٠٦٢) .

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٣٢١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٥) من طريق الزهري عن يزيد بن عميرة به. وإسناده صحيح، وقد أخرجه أبو داود (٤٦١١) من نفس الطريق به ، ولكن فيه : «**حَكَمٌ قِسْطٌ**» فدل على أنه ما أراد بذلك ذكره اسماً، ويبدو لي أن معاذاً ﷺ لم يقصد تسمية الله بهذين الاسمين، وإنما أراد وصفه بهاتين الصفتين، ولذلك لم نذكر في أسماء الله: العدل بهذا الأثر الموقوف كما أثبتنا الأعز بالخبر الموقوف على ابن مسعود. .

التسليم الكامل لأوامر الله ولقضائه وقدره ، وأن حكم الله أو أحكامه كلها عدل وإنصاف ، فلا يتهم الله ﷻ بالظلم .

ومن صفات الله ﷻ : العَزْم ، وهو ثابت لله ﷻ بلا كيف

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا .قَالَتْ : فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ(١) .

ومعنى «عزم الله لي» : أي جعل لي عزمًا، والعزم : عقد القلب على إمضاء الأمر .

وقد صحح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نسبة هذه الصفة لله ﷻ (٢).

ومن صفات الله ﷻ : المنع العطاء فهو سبحانه يمنع كما يعطي على وجه الحكمة والمصلحة إذ ليس كمثله شيء

فهو سبحانه يمنع من يشاء من العطايا ، ويمنع أولياءه ممن أرادهم بسوء .

قال ﷺ في دعائه : «**اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» (٣).

وأثر معرفة العبد بهذه الصفة :

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩١٨) .

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٠٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٨٤٤) ، ومسلم (٤٧١) .

أن اعتقاد ذلك يحمل العبد على سؤال الله العطاء والاستعاذة به من المنع على نحو ما سأله عليه رسول الله ﷺ خير من دعاه واتَّقاه .

أطلق أحياناً العمل، وأحياناً الفعل.

والعمل والفعل صفتان ثابتتان لله سبحانه وتعالى

دليل هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [الحج : ١٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾ [يس : ٧١] . (١)

وَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : «بَيْنَا أَنَا قَاعِدَةٌ أَنَا وَعَائِشَةُ إِذْ وَلَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالَتْ : فَعَلَ اللَّهُ بِفُلَانٍ وَفَعَلَ . فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ رضي الله عنها : وَمَا ذَاكَ ؟ ... » الحديث (٢) .

وصفة العين لله سبحانه وتعالى ثابتة له عينان

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ [هود : ٣٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ [طه : ٣٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور : ٤٨] .

---

(١) واستدل شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤) بالآية على صفة العمل لله عز وجل .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤١٤٣) .

وفي حديث أنس ﵁ مرفوعًا في شأن الدجال: **«إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»** (١).

وضد العور ثبوت العين ، وهي ثابتة لله ﷻ ، ويدل على أن لله ﷻ عينين؛ لأنه لو كان له أكثر من اثنتين لكان البيان به أوضح من البيان بالعور ، ولقال: «إن ربكم له أعين» لأنه إذا كان له أعين أكثر من ثنتين لصار وضوح أن الدجال ليس برب أبين ، ولو كان لله ﷻ أكثر من عينين لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره تفويتًا للثناء على الله ﷻ ؛ لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام ، فلو كان لله ﷻ أكثر من عينين لبيَّنهما الرسول ﷺ لئلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال ، وهو الزائد على العينين الثنتين (٢).

ومما يدل على أنها عين حقيقية لله ﷻ :

ما أخرجه أبو داود من حديث أَبِي يُونُسَ سُلَيْمِ بْنِ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﵁ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٤٠٧) .

(٢) «شرح الواسطية» للعثيمين ص (٢٥٣) .

ﷺ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ» [١].

قَالَ أَبُو يُونُسَ : وَضَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ .

وفي هذا الحديث ردٌّ على من قال : معنى العين القدرة ؛ لأن النبي ﷺ أشار بيده إليها

ولا شك أن النبي ﷺ لما وضع إبهامه على أذنه ، وسبابته على عينيه مقصودة بذلك تحقيق الصفة ، لا تمثيل الخالق بالمخلوق .

وأراد بهذه الإشارة : تحقيق إثبات السمع والبصر لله ﷻ ببيان محلهما من الإنسان ، يريد أن له سمعًا وبصرًا ، لا أن المراد به العلم أو غير ذلك .

فلو كان كذلك لأشار إلى القلب ؛ لأنه محل العلم ، كما أشار البيهقي .

إِذا سُئِلَ هَلْ يَجُوز لِقَارِئِ هَذَا الْحَدِيث أَنْ يَصْنَع كَمَا صَنَعَ رَسُول اللَّه ﷺ ؟

سؤال سأله الحافظ :

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨) ، وابن حبان (٢٦٥) ، وغيرهما بإسنادٍ قوي كما قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٥٢) على شرط مسلم .

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله × يقول : «**رَبّنَا سَمِيع بَصِير وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ**» .

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٢) رقم (١٤٤٦٣) ، وحسَّن إسناده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٥٢) وفيه نظر ؛ لحال ابن لهيعة ، لكن يشهد للسالف ، والله أعلم .

أجاب :[١]

«إِنْ حَضَرَ عِنْده مَنْ يُوَافِقهُ عَلَى مُعْتَقَده وَكَانَ يَعْتَقِد تَنْزِيه اللَّه تَعَالَى عَنْ صِفَات الْحُدُوث وَأَرَادَ التَّأَسِّي مَحْضًا جَازَ ، وَالأَوْلَى بِهِ التَّرْك خَشْيَة أَنْ يُدْخِل عَلَى مَنْ يَرَاهُ شُبْهَة التَّشْبِيه تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ» .

أما من فسَّر «بأعيننا» : – يعني بمرأى – منا من أهل السنة فإنهم فسَّروها بذلك مع إثبات الأصل ، وهو أن لله ﷻ عينًا ، وليس ظاهر الآية أن رسول الله ﷺ داخل عين الله ﷻ بقوله : « **إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**» ، فتكون عين الله ﷻ محلاً للخلائق لا . وإنما المعنى أن عين الله تصحبك ، وتنظر إليك ، ولا تنفك عنك، فلا ينالك سوء .

فإن رسول الله ﷺ خوطب بذلك ، وهو في الأرض مختلط بين الناس .

والآية الثانية المذكورة في الأدلة

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾

[القمر : ١٣ : ١٤] .

والمراد بالأعين هنا : عينان فقط كما تقدم بيانه ، والباء للمصاحبة ، والمعنى : أن السفينة تجري على الماء لكنها مصحوبة بنظرنا بأعيننا .

وأما قوله ﷻ لموسى ﷺ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٣) .

فقد أحبه الله وألقى عليه محبة من الناس فما أن يراه من أراد الله له الخير إلا أحبه ، ولذلك أحبته امرأة فرعون ، وقالت لقوم فرعون : ﴿ **لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ [القصص : ٩] ، ورباه الله ﷻ تربية بدنية وعقلية وروحية في أحداث يطول شرحها تدل على عظمة الجبار ﷻ وقوة قهره .

ولا تنافي بين ذكر العين هنا بالإفراد ﴿ **عَلَى عَيْنِي** ﴾ وذكرها فيما سبق بالجمع ﴿ **بِأَعْيُنِنَا** ﴾؛ لأن المفرد المضاف يعم فيشمل كل ما ثبت لله ﷻ من عين وحينئذٍ لا منافاة بين المفرد في ﴿ **عَيْنِي** ﴾وبين الجمع في ﴿ **بِأَعْيُنِنَا** ﴾ أو التثنية كما في حديث الدجال «**إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ**».

وأما الجمع بين التثنية للعين : « كما في حديث الدجال» والجمع في ﴿**بِأَعْيُنِنَا**﴾ أننا إن قلنا بأن أقل الجمع اثنان على ما قال بعض أهل اللغة ؛ فلا إشكال ، فالمراد ﴿ **بِأَعْيُنِنَا** ﴾ أي : العينين .

وأما إذا قلنا : إن أقل الجمع ثلاثة على ما يقول جمهور أهل اللغة أن ﴿**بِأَعْيُنِنَا** ﴾ جاءت بالجمع للتعظيم لا للثلاثة؛ فأكثر، والله أعلم [١].

ومذهب السلف المعتمد : [٢]

---

(١) انظر «شرح الواسطية» ص (٢٥٩ : ٢٦٠) .

(٢) فيما حكاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧٣) عن الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتابه «العقيدة» .

أن الله ﷻ أَخْبَرَ فِي كِتَابه وَثَبتَ عَنْ رَسُوله ﷺ الاسْتِوَاء وَالنُّـزُول وَالـنَّفْس وَالْيَـد وَالْعَـيْن ، فَـلا يُتَصَـرَّف فِيهَـا بِتَشْـبِيهٍ وَلا تَعْطِيـل ، إِذْ لَـوْلا إِخْبَـار اللَّـه وَرَسُوله مَا تَجَاسَرَ عَقْل أَنْ يَحُوم حَوْل ذَلِكَ الْحِمَى .

قَالَ الطِّيبِيُّ : هَذَا هُوَ الْمَذْهَب الْمُعْتَمَد وَبِهِ يَقُول السَّلَف الصَّالِح .

وَقَالَ غَيْره : لَمْ يُنْقَل عَنْ النَّبِيّ ﷺ وَلا عَنْ أَحَد مِنْ أَصْـحَابه مِـنْ طَرِيـق صَحِيح التَّصْرِيح بِوُجُوبِ تَأْوِيل شَيْء مِنْ ذَلِكَ وَلا الْمَنْع مِنْ ذِكْره .

وَمِنْ الْمُحَال أَنْ يَأْمُر اللَّه نَبِيّه بِتَبْلِيغِ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مِـنْ رَبّـه وَيُنْـزِل عَلَيْـهِ ﴿**الْيَوْم أَكْمَلْت لَكُمْ دِينكُمْ** ﴾ ثُمَّ يَتْرُك هَذَا الْبَاب فَلا يُمَيِّز مَا يَجُوز نِسْبَته إِلَيْهِ مِمَّا لا يَجُوز مَعَ حَضّه عَلَى التَّبْلِيغ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «لِيُبَلِّـغ الشَّـاهِد الْغَائِـب» حَتَّـى نَقَلُوا أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَأَحْوَاله وَصِـفَاته وَمَـا فُعِـلَ بِحَضْـرَتِهِ ، فَـدَلَّ عَلَـى أَنَّهُـمْ اِتَّفَقُوا عَلَى الإِيمَان بِهَا عَلَى الْوَجْه الَّذِي أَرَادَهُ اللَّه مِنْهَا ، وَوَجَـبَ تَنْزِيهـه عَـنْ مُشَابَهَة الْمَخْلُوقَات بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ فَمَنْ أَوْجَبَ خِـلاف ذَلِكَ بَعْدهمْ فَقَدْ خَالَفَ سَبِيلهمْ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيق .

ومن صفات الله ﷻ : الغضب :

قال ﷻ : ﴿ **وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾

[النور : ٩]

وقـال ﷻ : ﴿ **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَـوْا فِيـهِ فَيَحِـلَّ عَلَـيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾ [طه : ٨١] .

وقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة : ١٣] .

وقال ﷻ كما في الحديث القدسي : «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**» [(١)].

وقال ﷺ في حديث الشفاعة : « **إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» [(٢)].

وقال ﷻ : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

وقال ﷺ:«**موت الفجأة أخذة آسف**» [(٣)]. أي غضبان.

وللأسف معنيان :

الأول : بمعنى الحزن والندم على شيء مضى : ومنه قوله ﷻ عن يعقوب : ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ [يوسف : ٨٤] .

الثاني : وهو الثابت في حق الله ﷻ : وهو الغضب عليه ، فالمعنى : فلما أغضبونا انتقمنا منهم .

والمعنى الأول ممتنع بالنسبة لله ﷻ .

وأثر معرفة هذه الصفة لله ﷻ :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) .

(٣) وهو ثابت خرَّجته في كتابي«جامع أحكام الميت» .

اتقاء ما يجلب غضبه سبحانه وتعالى وسخطه.

ومن صفات الله سبحانه وتعالى : الغلبة :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي** ﴾ [المجادلة : ٢١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾

[يوسف : ٢١] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ ، أَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَنَصرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلاَ شَيْءَ بَعْـدَهُ**»[1] [2].

والله سبحانه وتعالى يغار ، ومن صفاته : الغيرة

لقوله صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِىَ الْمُؤْمِنُ مَـا**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤١١٤) ، ومسلم (٢٧٢٤) .

(٢) وقول الحافظ ابن حجر – عفا الله عنه – في «الفتح» (٦/ ٣٥٤) : «والمراد من الغضب لازمه ، وهو : إرادة إيصال العذاب إلىٰ من يقع عليه الغضب» تأويل مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات علىٰ ظاهرها .

وقد كرر – عفا الله عنه – التأويل في «الفتح» (٧/ ١٨٠) فقال : «والمراد بغضب الله إرادة إيصال العقاب ، كما أن المراد بلعنة الله الإبعاد عن رحمته» .

بينما اعتقاد أهل السنة : إثبات صفة الغضب واللعن لله خلافًا للجهمية ومن تابعهم وشايعهم .

حَرَّمَ عَلَيْهِ» (١).

وقال ﷺ : « **أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّى مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»** (٢)

فمن صفات الله : الغيرة ، وهي ثابتة بكيفية تليق بجلال الله وعظمته، وليس كمثله شيء(٣) .

وأثر معرفة الصفة هنا :

الامتناع مما حرمه الله ﷻ ؛ لئلا يغضب عليه أو يسخط فينتقم .

والله ﷻ يفرح ، ومن صفاته : الفرح ، فيفرح ﷻ فرحًا حقيقيًا ، وليس

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٢٩) ، ومسلم (١٧٦١) .

(٢) صحيح : اخرجه البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) .

(٣) وأنبه إلى الخطأ الذي نقله الحافظ في «الفتح» (٩/ ٣٨٤) عن عياض أنه قال : «ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله الإشارة إلى تغير حال فاعل ذلك ، وقيل : الغيرة في الأصل الحمية والأنفة ، وهو تفسير بلازم التغير ، فيرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه في كتابه الغضب والرضا ، وقال ابن العربي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ، فيجب تأويله بلازمه ؛ كالوعيد أو إيقاع العقوبة بالفاعل ونحو ذلك» أ .هـ .

فهذا المنقول عن هؤلاء فيه ما هو مخالف للصواب من إثبات الصفات لله بلا تأويل ، والله أعلم.

كفرح المخلوق(١)

قال ﷺ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْـزِلاً، وَبِـهِ مَهْلَكَـةٌ، وَمَعَـهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ نَوْمَةً ، فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَـتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ ، أَوْ مَا شَاءَ اللهُ.قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَرَجَعَ، فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ» (٢).

وأثر معرفة هذه الصفة :

عمل ما يوجب فرح الله ﷻ، إذ إن فرحه بما صنع العبد يستوجب رضاه عنه، ومن ثَمَّ رحمته، فيحرص العبد على التوبة، والله لن يناله مصلحة من توبة العبد.

والله فاطر قد فطر السموات والأرض ، وأبدع الخلق على غير مثال سابق .

قال ﷻ : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا** ﴾ [فاطر : ١] .

وقال ﷻ: ﴿ **فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [الإسراء : ٥١]

وقال ﷻ : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ [الروم : ٣٠] .

---

(١) فالفرح في العبد أنه يجد نشوة وحفوة عند حصول ما يَسُرّه ، ولكن الفرح في صفات الله ﷻ ليس كذلك ، إذ ليس كمثله شيء سبحانه جل شأنه .

(٢) وهو حديث صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٠٨ ، ٦٣٠٩) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ **إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ [الزخرف : ٢٧] .

وفي حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «... **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» [١].

ومن صفاته سبحانه وتعالى : أنه كافي لعباده ما يحتاجون إليه ويضطرون إليه

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ [الحجر : ٩٥] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا**» [٢].

ولما دعا غلام الراهب على من ذهبوا ليتخلصوا منه : «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ» [٣]، فحصل ما قصَّه رسول الله ﷺ علينا من كفاية الله له على أحسن وجه مع ضعف الغلام وقوة وغلبة مخالفيه .

وصفة الكُره ثابتة لله سبحانه وتعالى ، وليس كمثله شيء ، فالله عز وجل يكره كما يبغض ويحب – على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة –

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** ﴾

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٧٧١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧١٥) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٣٠٠٥) .

[التوبة : ٤٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** ﴾ [الإسراء : ٣٨] .

وفي الحديث : « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ**(١) **وَكَرِهَ لَكُمْ : ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ** » (٢) .

وقال ﷺ : «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**» (٣) .

وهذا لا يمكن حملُه على الجزاء؛ لأن الله لا يكره جزاء أحد ، ولأن الجزاء لا يلقاه الله .

ودلائل بطلان قول من حمل الحُب والكُره على الجزاء لا تكاد تحصى كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٤) .

وفي حديث «**من عادى لي وليًا...**» قال:«**وأنا أكره مساءته**»(٥) دليل أيضًا على إثبات هذه الصفة .

وأثر معرفة هذه الصفة على العبد :

(١) أي : منع من أمر أمر الله بإعطائه.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٧٧) ، ومسلم (٥٩٣) مكرر عقب (١٧١٥) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٣) .

(٤) في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٧٥) .

(٥) وسيأتي تخريجه وتحرير صحته قريبًا إن شاء الله .

اتقاء ما يكرهه الله ﷻ ، والامتناع عن تناول أسبابه .

وثابت لله ﷻ كفّ على ما يليق به

قال ﷺ : «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ - إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**» (١).

ولله كنف ﷻ ، والكنف : ستر وحزر ثابت له على الحقيقة بما يليق به ﷻ

لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ . وَيَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَرِّرُهُ ، ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**» (٢).

ومن صفات الله ﷻ : الكيد ، فالله ﷻ يكيد للأعداء ، يكيد لمن يكيد للمؤمنين

قال ﷻ : ﴿ **وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ [الأعراف : ١٨٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴾ [الطارق : ١٥ : ١٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ** ﴾ [يوسف : ٧٦] .

ومن صفات الله ﷻ : أنه يلعن من يستحق اللعن

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٠١٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥١٤) ، ومسلم (٢٧٦٨) .

قال ﷻ : ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقال ﷻ : ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

وقد : «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ» [١].

وقال ﷻ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨] .

ومن صفات الله ﷻ : المجيء ،

وهو بمعنى الإتيان بالقرائن الموجودة في مجموع الأدلة.

قال ﷻ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

وفي الآية الأخرى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٤١) ، ومسلم (٢١٢٢) .

بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] (١).

فإتيان الملائكة إنما هو لقبض الأرواح ، وإتيان الله ﷻ – على ما يليق بـه – لفصل القضاء ، وعلى ما يليق به ﷻ (٢).

---

(١) وبعض الآيات إنما هي المذكورة في أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ، وقد ذكر الله هذه الأحوال ؛ لأنها وقت انقطاع قبول التوبة والعمل ، فحذرهم الله لأجل ذلك .

(٢) أما قول من يتبعون العقل دون النقل : يقولون : أننا لو أثبتنا الإتيان لكان الله جسمًا ، ونفوا الإتيان لئلا يوجب إثبات الصفة تماثلاً بين الخالق والمخلوق .

فقوله قول: لاعلم فيه ولا عقل عنده قائلة، بل هذا قياس فاسد لكونه في مقابلة نص ، وقد قال ﷻ : **﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾** [سبأ : ٢٤] .

فإذا كان الإتيان والمجيء يختلف من شخص إلى شخص من كل وجه وكلاهما مخلوق ؛ فكيف يكون ثَمَّ تماثلاً بين الخالق والمخلوق ؟» وبينهما من التباين بقدر الفرق بين الخالق والمخلوق .

وتفسير : **﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾** بجاء أمره كما في قوله ﷻ : **﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾** خطأ ؛ لأن الله لو أراد في **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾** وجاء أمر ربك لقال «وجاء أمر ربك» ، فإن الله ﷻ لما أراد الأمر قال **﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾** ، ولما أراد المجيء على الحقيقة قال **﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾** .

ثم إن في الآيات المذكورة تقسيم يمنع إرادته ﷻ مجيء الأمر ، فتأمل قوله ﷻ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ فهل يمكن لقائل أن يقول : ﴿ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أي : أمره ؟ وما تفسير ﴿ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ في الآية؟» هل الأمر يمكن أن يأتي بعضه في قوله ﴿ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ؟.

=

وأثر معرفة صفة المجيء وإثباتها لله سبحانه وتعالى

هي الخوف من هذا المقام، وهذا المشهد العظيم الذي يأتي فيه الرب عز وجل للفصل بين عباده، وتنزل الملائكة، ولا يبقى أمام العبد إلا الرب عز وجل والمخلوقات كلها، فينظر يمينًا منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر شمالاً منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فيتقي الله ويُحْمَل على عمل الخير الذي يجازى به، فيتولد عنده الخوف والرهبة، فيثمر له استقامة على الطريق المستقيم.

ومن صفات الله سبحانه وتعالى : أنه يحيي ويميت

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٨] .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ** ﴾ [الحج : ٦٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فصلت : ٣٩] .

=

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ ، فالمراد بذلك : إتيان الفتح أو الأمر ، لكن أضاف الله عز وجل الإتيان به إلى نفسه ؛ لأنه من عنده ، وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية ، فالإتيان إذا قيد بحرف جر مثلاً ، فالمراد به ذلك المجرور ، وإذا أُطلق وأُضيف إلى الله عز وجل بدون قيد ، فالمراد به إتيان الله حقيقة ، كما أشار إلى ذلك الشيخ العثيمين رحمه الله في «شرح الواسطية» ص (٢٢٥) .

وفي دعاء النبي ﷺ في الاستيقاظ : «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**» (١).

وفي حديث أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**» (٢).

والله سبحانه وتعالى : المستعان به ، وهو المستعان بحق ، ولقد خاب من استعان بغيره

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة : ٥] أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص .

وقال يعقوب عليه السلام : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف : ١٨ ، ١٩] .

وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله ، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ**»(٣).

ولما قال ﷺ عن عثمان رضي الله عنه :«**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبهُ**» قال : اللهُ الْمُسْتَعَانُ(٤).

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣١٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٥١) ، ومسلم (٢٦٨٠) .

(٣) وهو ثابت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الترمذي (٢٥١٦) والحاكم وغيرهما .

(٤) صحيح : يأتي في بابه .

فأعانه الله سبحانه وتعالى، وجعل خاتمته على خير من كل وجه، وقتل شهيدًا، وبُشر بإفطاره مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قتل مظلومًا رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف الذي جمعه.

وأثر معرفة هذه الصفة :

استعانة العارف به وحده سبحانه وتعالى في جميع أموره .

والله سبحانه وتعالى يمسح على الحقيقة – وليس كمثله شيء – قد مسح على ظهر آدم عليه السلام

لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذرِّيَّاتِهِمْ** ﴾ الآيَةَ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً**»(١) .

والمعية ثابتة لله سبحانه وتعالى ،فالله عز وجل معنا بعلمه، وإن كان على العرش استوى – وليس كمثله شيء.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى**

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٤٤) وأبو داود (٤٧٠٣) والنسائي (١١١٩٠) بإسناد حسن .

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحو من ألفاظه ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو «ضعيف» وشاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) بإسناد ثابت .

عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤].

وليس معنى «وهو معكم» أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وخلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق(١) .

وقال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [المجادلة : ٧].

وقال ﷺ : «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**»(٢) .

وفي إثبات المعية الخاصة

قال ﷻ لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه : ٤٦].

وقال ﷻ لهما : ﴿ **إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ** ﴾ [الشعراء : ١٥].

وقال ﷻ لأهل الإيمان : ﴿ **وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٥].

---

(١) كما قال شيخ الإسلام في «الواسطية» ص (٤٤٢) ط التوفقية .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥)

والآيات كثيرة .

فلله عز وجل معية خاصة بقوم ، لكنها قُيِّدت بوصف متى اتصفوا به كانت معية الله الخاصة معهم (الإحسان والصبر والتقوى) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل : ١٢٨].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

المعية لله سبحانه وتعالى ثابتة عقلاً كما هي ثابتة شرعًا

فكما تقول : نسير في الليل والقمر معنا مع كونه في السماء [١].

ولله المثل الأعلى نقول: والله معنا بإحاطته وعلمه ونصرته – مع كونه على العرش استوى، وكما أن القائد ينظر إلى الجيش المحارب من حجرة العمليات ، فيقال: القائد معنا، وإذا أمكن اجتماع المعية والعلو في المخلوق فكونها تجتمع في الخالق الذي ليس كمثله شيء من باب أولى ، بل لو تعذَّر إيجادهما في المخلوق لم يتعذَّر وجودهما في الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) كما أشار شيخ الإسلام في «الواسطية» ص (٤٤٣) .

قد جمع الله في آية واحدة بين المعية وبين استوائه على العرش فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ الحديد.

وأثر معرفة المعية :

معرفة الله في السر والعلن ، وحسن الاعتقاد في الله ، والطمأنينة مع الطاعة لله سبحانه وتعالى، وحسن العبادة .

ومن صفات الله سبحانه وتعالى : المقت على من يستحق المقت، والمقت أشد درجات البغض ، وليس مقته كمقت العباد بعضهم لبعض

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ** ﴾ [غافر : ١٠] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا** ﴾ [النساء : ٢٢] .

وانظر إلى إثبات الله عز وجل المقت لنفسه ولعباده مع قوله في مكان آخر ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

﴿ **الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**(١) **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [غافر : ٣٥] .

---

(١) أي : يدمغون الحق بالباطل ، ويجادلون الحُجج بغير دليل ، وحجة تكون معهم من الله سبحانه وتعالى .

فأثبت الله صفة المقت لنفسه ﷻ ، وأثبت مقتًا للمؤمنين ، وليس المقت كالمقت » .

معرفة العبد بهذه الصفة :

تحمله على اتقاء مقت الله سبحانه وتعالى من المجادلة في آيات الله بغير علم ، والعمل بغير ما يقول العبد ، والكبر ، والجبروت، ونحو ذلك من موجبات المقت.

وصفة المكر ثابتة لله سبحانه وتعالى على ما تقتضيه الحكمة بكيفية تليق به سبحانه وتعالى

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [النمل : ٥٠ ، ٥١] ، فاللهم امكر لنا ولا تمكر علينا .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو : **رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**[1] .

---

(١) **حديث ثابت** : أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٥) وعبد بن حميد (٧١٧) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٠) ، وأبو داود (١٥١٠) ، والترمذي (٣٥٥١) ، والنسائي في =

والحوبة: هي الحاجة، والذنوب داخلة في الحاجة إلى مغفرتها.

ومعرفة العبد بهذه الصفة

تحمله على الخوف من مكر الله ، وعدم الأمن .

وقد ورد في الحديث وصف الله سبحانه وتعالى بالملل والسآمة

قال ﷺ : «**عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»[١] .
وفي رواية : «**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا**»[٢] .

فمهما عملنا من عمل فالله يُجازينا عليه ، ولا يملُّ الله من التوبة على عباده حتى يملّوا هم ، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه ، وموالاتهم عدوهم فهو سبحانه وتعالى كثير التوبة على التائبين فمن تاب إليه تاب عليه ولو تكررت منه المعصية مرارًا ، ولذا سمى نفسه الغفار ، وهي مبالغة من كثرة المغفرة .

ولا يملُّ الله من تحصيل ثواب أعمال الناس حتى يملّوا من العمل ، وهو كناية عن تناهي حق الله علينا في الطاعة .

=

«الكبرىٰ» (١٠٤٤٣) ، وابن حبان (٩٤٧ ، ٩٤٨) وغيرهم من طريق سفيان عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث قال : سمعت طليق بن قيس الحنفي عن ابن عباس عن النبي × ، وإسناده صحيح رجاله ثقات .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣) ، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة مرفوعًا .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٧٨٥) .

والله ﷻ «لا يملّ» ، أي : لا ينقطع عنكم فضله بسبب سؤالكم إياه حتى تملّوا من سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه .

كل هذا من معاني الملل ، أشار إلى بعضها شُرَّاح الحديث .

وليس ملل الله ﷻ كملل المخلوق ، إذ لكل منهما صفة تليق به .

وقد وصف الباري ﷻ نفسه بأنه شديد المحال – أي شديد الكيد والمكر والغلبة والانتقام

فهو ﷻ يأخذ بقوة وشدة ، وأخذه أليم شديد – سلمنا المولى –

قال ﷻ : ﴿ **وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾ [الرعد : ١٣] .

والله ينزل إلى السماء الدنيا ، وقد أتى بلفظ «يهبط» ، وقد أتى بلفظ «التدلي» و «الدنو»

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ : «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[١] .

والدنو والتدلي ورد

في حديث أنس رضي الله عنه حديث الإسراء الطويل :

«**...حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٩٤) ، ومسلم (٧٥٨) .

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»(١) .

والهبوط ثابت أيضًا

في حديث علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : **«لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ وَلأَخَّرْتُ عِشَاءَ الآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ هَبَطَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ...»(٢)** .

فالتعدية بالهبوط والتدلي والدنو والنزول يفيد أنه سبحانه ينزل بذاته ، وليس هناك تكنية عن رحمةٍ أو أمرٍ أو نحوِ ذلك .

وأما من قال – من أصحاب العقول الفاسدة– بأن النزول في الأحاديث

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥١٧) .

(٢) وهو حديث ثابت أخرجه أحمد (١/ ١١٩ ، ٢/ ٥٠٩) من حديث عطاء مولى أم صبية الجهنية عن أبي هريرة رضي الله عنهما .

وعطاء مجهول ، لكن له شاهد بمثله عقبه عن علي عن يعقوب ثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني عمي عبد الرحمن بن يسار عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، وإسناده حسن .

وأخرجه الدارمي (١٤٨١) من حديث الأوزاعي ثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة بن عرابة الجهني عن النبي ﷺ نحوه إلا أنه قال : «**إذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه هبط الله إلى السماء الدنيا ؟ ثم يقول : لا أسأل عبادي غيري ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ ... الحديث**» ، وظاهر إسناده الصحة ، وهو شاهد قوي ، وراجع مسند أبي يعلى (٦٥٧٦) ، وغيره .

كناية عن أمر الله ﷻ ، وأن الذي ينزل رحمة الله ، أو أن الذي ينـزل مَلَـكٌ مـن الملائكة ؛ فقولهم فاسد باطل ظاهر البطلان لكل من تأمل في ألفاظ الحديث .

وهل الرحمة لا تنزل إلا في الثلث الأخير من الليل ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل : ٥٣] . أي من آثار رحمته ؟».

وأيُّ فائدة من نزول الرحمة إلى السماء الدنيا ؟

وهل المَلَكُ يُنادي وينزل ويقول : «من يدعوني فأستجيب له» ؟».

وأثر الإيمان بنزول الله ﷻ في الثلث الأخير من الليل على العبد :

اغتنام هذا الجزء من الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار ، فيسأل الله ﷻ ويدعوه ويستغفره ما دام الرب ﷻ يقول : «من يدعوني... ومن يستغفرني»[1] .

وكذلك أثر معرفة هذه الصفة :

لجوء العبد المعتقد إليه سبحانه قبل غيره ، والتماس العطايا منه دون غيره ، فالله ﷻ أقرب إلينا من حبل الوريد .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٤٦٦/٥) :

وَأَمَّا دُنُوُّهُ نَفْسُهُ وَتَقَرُّبُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِهِ ؛ فَهَذَا يُثْبِتُهُ مَنْ يُثْبِتُ قِيَامَ الأَفْعَالِ الاخْتِيَارِيَّةِ بِنَفْسِهِ وَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُزُولِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ . وَهَذَا

---

(١) وانظر شرح «الواسطية» للعثيمين ص (٣٩٢) .

مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الإِسْلامِ الْمَشْهُورِينَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالنَّقْلُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ .

وأثر معرفة هذه الصفة :

الحذر من فعل ما يغضبه سبحانه وتعالى أو يكرهه لعلمه أنه سبحانه وتعالى مطلع عليه .

وهو سبحانه وتعالى نور السموات والأرض متصف بالنور

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٣٥] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ﴾ [الزمر : ٦٩] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**»[1] .

وقد أخرج الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ فَلِذَلِكَ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٩٩) ، ومسلم (٧٦٩) .

أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ»(١) .

وكيف لا يكون الله نورًا وقد أخبر ﷻ أن الأرض تُشرق بنور ربها كما قال ﷻ : ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ﴾ [الزمر : ٦٩] ؟»» .

ومن صفات الله ﷻ : النسيان

وهي بمعنى الترك عن علمٍ وعمدٍ ، لا بمعنى الذهول عن شيء معلوم(٢)

إذ الله تعالى يقول: ﴿**لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى**﴾.

قال الله ﷻ : ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأعراف : ٥١] .

وقال ﷻ : ﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ** ﴾ [السجدة : ١٤] ، والمعنى : نتركهم في العذاب، ولا عبرة بقول من قال: النسيان بمعنى منع

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٢) ، وأحمد (٢/ ١٧٦) .

(٢) فالنسيان يأتي في اللغة على معنيين :

أولهما : بمعنى الترك ، ومنه الآيات والحديث الآتي ذكره .

والثاني : يأتي بمعنى الذهول عن شيء مَّا .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وهذا المعنى الثاني لا يوصف به الله ﷻ ، وإنما يوصف بالمعنى الأول .

الرحمة كالنووي عفا الله عنه .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ في رؤية الله يوم القيامة قال ﷺ : «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا – قَالَ – فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى. قَالَ : فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ فَيَقُولُ : لاَ. فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**»[1].

وقد وردت ما أثبت به البعض صفة النَفَس لله ﷻ .

وذلك في حديث سلمة بن نفيل السكوني ﷺ قال: دنوت من رسول ﷺ حتى كادت ركبتاي تمسَّان فخذه، فقلت: يا رسول الله تركت الخيل وألقي السلاح وزعم أقوام أن لا قتال فقال:«**كَذَبُوا الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ لاَ تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرَةٌ علَى النَّاسِ يَزِيغَ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ قَاتَلُوهُمْ لِيَنَالُوا مِنْهُمْ**»، وَقَالَ وَهُوَ مُوَلِّي ظَهْرِهِ إِلَى الْيَمَنِ:«**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ هَا هُنَا، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنِّي كَفُوفٌ غَيْرُ لابِثٍ، وَتَتَّبِعونِي أَفْنادًا وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا**»[2].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) والأسانيد في هذا الحديث كلها غير سالمة غير إسنادٍ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ٥٢) من طريق أبي زرعة ثنا أبو اليمان ثنا إسماعيل بن عياش عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير .
=

وَهُوَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» وَإِنَّمَا أَرَادَ : مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً .

ومعناه: أن تنفيس الله للمؤمني يكون من أهل اليمن فهو على ظاهره، فالله تعالى ينفِّس عمَّن نفَّس عن المؤمنين الكربة.

والنفس فيه اسم مصدر ينفس تنفيساً مثل فرَّج يفرِّج تفريجاً هكذا قال أهل

=

وهذا إسناده حسن استقلالاً لا أجد له علة رجاله ثقات ، ورواية إسماعيل صحيحة عن أهل بلده، إلا أن ابن أبي عاصم رواه في «الآحاد والمثاني» (٢٤٦٠) عن إسماعيل عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير به .

فجعل واسطة إبراهيم بين إسماعيل والوليد، وإبراهيم هذا ثقة ثبت إلا أنه يرسل، وقد عنعن .
وله طريق آخر من غير طريق أبي اليمان وإسماعيل ابن عياش عند الطبراني في «الكبير» (٧/ ٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»(٩٦٨) يتقوى به الحديث، وبوَب له بباب «ما روي في النَفَسِ» وحكى عن عبد الله بن جعفر بن درستويه قوله : «إني أجد نفس الرحمن من هاهنا» إن كان محفوظًا، فإنما أراد : إني أجد الفرج اليمن، وعلق الحاشدي محقق «الأسماء والصفات» على هذا فقال :
«وهذا من باب الرواية بالمعنى ، فإن إشارة النبيّ ﷺ كانت إلى الشام بخلاف ما يفهم من كلام المصنف رحمه الله عقب الحديث أنها كانت إلى اليمن، فإن النبي ﷺ كان موليًا ظهره إلى اليمن، والشام أمامه، ومما جرت به العادة أن الشخص يشير إلى أمامه لا إلى خلف ظهره، والرواية المذكورة تبين ذلك » أ.هـ ومن طعن في هذا الحديث كابن حامد فيما حكاه عنه ابن تيمية في كتابه « تلبيس الجهمية» (٦/ ١٦٣)فلم يحتج إلى تأويل.

اللغة، النفس كل شيء يفرج به عن كل مكروب [١].

وقال أبو يعلى الفراء[٢]:«أعلم أن شيخنا أَبَا عبد الله ذكر هَذَا الحديث فِي كتابه، وامتنع أن يكون عَلَى ظاهره فِي أن الريح صفة ترجع إلى الذات، والأمر عَلَى ما قاله، ويكون معناه أن الرحي مما يفرج الله، عَزَّ وَجَلَّ، بها عن المكروب والمغموم، فيكون معنى النفس معنى التنفيس، وذلك معروف فِي قولهم: نفست عن فلان، أي فرجت عنه، وكلمت زيدا فِي التنفيس عن غريمة، ويقال: نفس الله عن فلان كربة أي: فرج عنه، وروي فِي الخبر: «**من نفس عن مكروب كربة نفس الله عنه كربة يوم القيامة** »[٣] وروى فِي الخبر أن الله فرج عن نبيه بالريح يوم الأحزاب فقال سُبْحَانَهُ: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وإنما وجب حمل هَذَا الخبر عَلَى هَذَا، ولم يوجب تأويل غيره من الأخبار لأنه قد روي فِي الخبر ما يدل عَلَى ذَلِكَ، وذلك أنه قَالَ:«**فإذا رأيتموها فقولوا: اللهم إنا نسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**»

وهذا يقتضي أن فيها شر وأنها مرسلة، وهذه صفات المحدثات»اهـ

قلت «محمد» الحديث المشار إليه، بنحوه أخرجه مسلم (٨٩٩) عَنْ عَائِشَةَ،

---

(١) «القواعد المثلى»ص ٥١.

(٢) في كتابه «إبطال التأويلات» ص٢٥٠ .

(٣) لفظه في صحيح مسلم(٢٦٩٩)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » .

زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**.من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأخرج أبو داود (١) بسندٍ صحيح عن هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:«**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**».

وفي رواية:«**فَرَوْحُ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**».

ثم قال أبو يعلى الفراء(٢):

ثم قَالَ ابن بطة بعده: ومما يشهد لصحة هَذَا التأويل، وأن الريح من نفس ربكم إنما أراد بالنفس: الفرج والروح، ما سمعت أَبَا بكر بن الأنباري يَقُول: إنما سميت الريح ريحا لأن الغالب عليها فِي هبوبها المجيء بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى، فهي مأخوذة من الروح وأصلها روح فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها

ثم قَالَ: فهذا ما قاله أهل العلم بتأويل الكتاب والسنة وكلام العرب فِي تأويل الريح، ومعنى النفس بها، وفي كتاب الله تَعَالَى ما دل علي أنها بمعنى

---

(١) برقم (٥٠٩٧).

(٢) في«إبطال التأويلات» ص ١٥٤.

الفرج من الغم، والنفس من الكرب، أن الغم والضيق يكونان بركودها، قوله جل وعز: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا} وقوله: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} وقوله: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}

قال شيخ الإسلام[1]: «قلت فهذا كلام القاضي وما ذكره فيه من كلام غيره وقد بين أنه إنما تأول هذا الخبر لأن في الخبر نفسه ما دل على صحة التأويل ومثل هذا لا نزاع فيه فإنه إذا كان في الحديث الواحد متصلاً به ما يبين معناه فذلك مثل التخصيص المتصل ومثل هذا لا يقال فيه إنه خلاف الظاهر بل ذلك هو الظاهر بلا نزاع بين الناس».

وقال[2]: «فَقَوْلُهُ {مِنْ الْيَمَنِ} يُبَيِّنُ مَقْصُودَ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْيَمَنِ اخْتِصَاصٌ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يُظَنَّ ذَلِكَ وَلَكِنْ مِنْهَا جَاءَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} .وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: سُئِلَ عَنْ هَؤُلَاءِ؛ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَوْمُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ؛ وَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: {أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَرَقَّ قُلُوبًا وَأَلْيَنَ أَفْئِدَةً؛ الْإِيمَانُ يَمَانِيٌّ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ} وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَفَتَحُوا الْأَمْصَارَ فَبِهِمْ نَفَّسَ الرَّحْمَنُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْكُرُبَاتِ وَمَنْ خَصَّصَ ذَلِكَ بِأُوَيْسٍ فَقَدْ أَبْعَدَ».

---

(١) في «تلبيس الجهمية» (٦/ ١٥٤).

(٢) في«مجموع الفتاوىٰ»(٦/ ٣٩٨).

وقال في موطن آخر[١]:

«ولا ريب أن صرف ظاهر النص ينص آخر ليس مما ينازع فيه الفقهاء» .

وتقدم قوله:

«إذا كان في الحديث الواحد متصلاً به ما يبين معناه فذلك مثل التخصيص المتصل ومثل هذا لا يقال فيه إنه خلاف الظاهر بل ذلك هو الظاهر بلا نزاع بين الناس » وقال ابن قتيبة رحمه الله عن هذاالحديث[٢]:«إنه لم يرد بالنَفَس ما ذهبوا إليه وإنما أراد أن الريح من فَرَجِ الرحمن وروحه».

وقال ابن تيمية [٣]:«قال القاضي ومعناه ما تقدم من الحديث الذي قبله وهو أني أجد تفريج الله عني وتنفيسه عن كربي بنصرته إياي من قبل اليمن وذلك لما نصره المهاجرون والأنصار نفس الله عن نبيه ما كان فيه من أذى المشركين وقتلهم الله على أيدي المهاجرين من أهل اليمن والأنصار وكان ﷺ كثيرًا ما يمدح أهل اليمن فروي عنه أنه قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وإنما وجب حمله على ذلك لما تقدم في الحديث الذي قبله وأن فيه ما دل على أن النفس مخلوق لأنه أضافه إلى الريح والريح

---

(١) في«تلبيس الجهمية»(٦/ ١٥٤).

(٢) في«تأويل مختلف الحديث» ص ٣٠٠.

(٣) في«بيان تلبيس الجهمية»(٦/ ١٦٦-١٦٧) .

مخلوقة من جهة أنها مأمورة بالرحمة والعذاب فوجب حمل هذا المطلق على ذلك قال ورأيت في بعض مكاتبات ابن بطة إلى بعض أصدقائه وقد ذكر هذين الخبرين حديث جابر إذا رأيتم الريح فلا تسبوها وحديث ابن هريرة أجد نفس ربكم وحكى كلام ابن قتيبة في ذلك فقال أنت في نفس من أمرك أي في سعة وقوله من نفس الرحمن معناه أن يفرج بها الكرب ويذهب بها الجدب يقال اللهم نفس عني أي فرج عني وذكر كلامًا طويلاً ثم قال ابن بطة بعده ومما يشهد لصحة هذا التأويل وأن الريح من نفس ربكم وإنما أراد بالنفس الفرج والروح »اهـ

ومن صفات اللّه سبحانه وتعالى النظر ، فهو سبحانه وتعالى ينظر وصفة النظر ثابتة له على الحقيقة

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

قال صلى الله عليه وسلم : «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا**»(٢) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ**

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٨٨) ، ومسلم (٢٠٨٧) .

إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ». وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ(١).

والنفْسَ صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى ، **ونفسه هي ذاته ، وليس** جل جلاله **نفسه كنفس خلقه**

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ [المائدة : ١١٦] .

قال صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى : «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا**»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

وقال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : «**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجويرية رضي الله عنها :«**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» (٥).

وغير ذلك من الأدلة .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٤٨٦) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٢٦) من حديث جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها .

ومن صفات الله ﷻ : الهرولة

وأصل الهرولة في العبد : المشي السريع بين المشي والعدو .

أما في صفة الله ﷻ ؛ فعلى ما يليق به ﷻ لا نعلم كيفيتها .

قال ﷺ : قال الله ﷻ : «...**وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[1] .

ومن الصفات الثابتة له ﷻ : الهيمنة ، وفي أسماء الله «المهيمن» وهو متضمن صفة الله ﷻ المهيمن

فراجع الاسم مع الأسماء الحسنى

والله ﷻ يوصِل من شاء ويقطع – كذلك – من شاء على ما يليق به ﷻ

وإن كان المعنى يوصل إحسانه أو يقطع إحسانه ؛ إلا أن صفتي الوصل والقطع ثابتتان لله ﷻ على ما يليق بجلاله ليس كمثله شيء .

قال ﷺ : «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وفتوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٩٦) القول بإثبات صفة الهرولة لله تعالى على ما يليق به/ خلافاً لما ذكره الفوزان في شرحه لـ«شرح السنة» للبربهاري ص ١٦٣ ، وقد أثبتها الشيخ العثيمين كما في«فتاويه»(١/ ١٨٢) وغيره.

ومن قال إن المعنى من الحديث: من أتاني يمشي في عبارته تفتقر إلى المشي أتيته بثواب الرحمة سريعين، فقد ذهب إلى غير ظاهر النص، وهذا خلاف السلف في هذا الباب.

قَطَعَهُ اللَّهُ»[١].

وقال الله ﷻ للرحم : «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ . وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ...**»[٢].

وفي رواية قال ﷺ :«**إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ**[٣] **مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**»[٤].

ومن صفات الله ﷻ الذاتية: الوجه، وليس كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين ، كما نقول : إنه عالم وليس كالعلماء الذين نشاهدهم

قال الله ﷻ : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ** ﴾ [القصص : ٨٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الرعد : ٢٢] .

وقد قال ﷺ : «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» لما نزل قوله ﷻ : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٨٩) ، ومسلم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أي أُخذ اسم الرحم من اسمه الرحمن كما في الحديث الآخر : «أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسمًا من اسمي» ، وليس معناه أن الرحم من ذات الله تعالى عز وعلا الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٨٨) .

يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ ...الحديث»[١].

وقال الرجل لرسول الله ﷺ حينما قسم قسمة : «**إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُـدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ**»[٢].

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار كل منهم يقول : «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْـتُ فَعَلْـتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ»[٣].

وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلاً تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً**»[٤].

واستدل ابن بطال رحمه الله بالآية الأولى والحديث الأول علـى أن لله سبحانه وتعالى وجهًـا وهو من صفة ذاته[٥] .

وقد فسر أهل التحريف وجه الله سبحانه وتعالى بثوابه، فلا يستقيم هذا مع جميع الأدلـة المذكورة

هذا التفسير مخالف لظاهر اللفظ، وليس ظاهر اللفظ الثواب.

ثم إنه مخالف لإجماع سكوتي من السلف على ظاهر الأدلة، ولو كان المراد

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٦) .

(٢) تقدم تخريجه في صفة العدل .

(٣) متفق عليه : البخاري (٢٢٧٢) ، ومسلم (٢٧٤٣) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٣٣) ، ومسلم (١٦٢٨) .

(٥) حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧١) .

غير ظاهر اللفظ لذكروه ، ولسلم سنده إلينا كما سلمت باقي الأدلة الشرعية ؛ لأنه سيكون من الذكر الذي تولى الله حفظه في قوله : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

ثم هل يمكن أن يوصف الثواب بهذه الصفات العظيمة المذكورة في الآيات السابقة ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؟»

لا يمكن

لو قلنا مثلاً : جزاء المتقين ذو الجلال والإكرام :

فهذا لا يجوز أبدًا ، والله ﷻ وصف هذا الوجه بأنه ذو الجلال والإكرام ، ذكر ذلك الشيخ العثيمين رحمه الله[1] وأضاف :

نقول : ما تقولون في قول الرسول ﷺ : «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[2] .

فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق ؟»

أبدًا لا يمكن .

وبهذا عرفنا بطلان قولهم ، وأن الواجب علينا أن نفسّر هذا الوجه بما أراده الله به وهو وجه قائم[3] .

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» ص (٢٣٠ - ٢٣١)

(٢) وهو في صحيح مسلم (١٧٩) .

(٣) «شرح الواسطية»للشيخ العثيمين طيب الله ثراه ص (٢٣١) .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (١).

فأي ثواب عليه رداء الكبرياء؟»

ومثله قوله ﷺ : «**وَأَسأْلك لذة النظر إلى وَجهِكَ**».

ومن أثر معرفة العبد بهذه الصفة :

أن يقصد بعمله وجه الله ﷻ، وأن يستعيذ بوجهه كما ورد عن النبي ﷺ ، ففي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ** ﴾ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» .

قَالَ : ﴿ **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ .

قَالَ : «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» .

﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ**» (٢).

وقد سأل رسول الله ﷺ ربه كثيرًا بوجهه الكريم .

والاعتناء بمن سأل بوجه الله، فيعطى السائل بوجهه سبحانه إلا إذا اقتضت

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٢٨) .

المصلحة عدم إعطائه [١].

ومن أثر إثبات صفة الوجه لله على العبد : الدعاء به على النحو الذي دعى به رسول الله ﷺ

حيث دعى فقال: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ والعَدْل فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»[٢].

وهذا من أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله ﷻ وجهًا يُتَلذَّذ بالنظر إليه مَن منَّ الله جل وعلا عليه ، وتفضل بالنظر إلى وجهه ، كما قال إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ ، فنسألك اللهم أن تجعل لنا الحظ الأوفر في ذلك ، إنك كريم

(١) ولكن أخرجه أبو داوود (٥١١٠) وأحمد (١/ ٢٤٩) بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ الله فَأَعْطُوهُ» لكن في إسناده بهذا السياق أبو نهيك وهو مجهول ، «وشر الناس من يُسأل بالله ولا يعطي» صحيح عن النبي ﷺ من وجه آخر ، خرجناه في كتابنا «ذم شر الناس ذي الوجهين» .

(٢) أخرجه النسائي، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٥) واللفظ له من حديث عمار بن ياسر بإسنادٍ حسن.

مجيب.

والله سبحانه وتعالى ذو المعارج

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ** ﴾ [المعارج: ٣].

الْمَعَارِجِ مِنْ نَعْتِ اللَّه تَعَالَى وَصَفَ بِذَلِكَ نَفْسه؛ لأَنَّ الْمَلائِكَة تَعْرُج إِلَيْهِ حكاه الحافظ(١) عن الفراء.

وقد أضاف الله إليه المعارج إضافة تشريف؛ لأن الله كان، ولا مكان يخضع لمقاييس البشر(٢)، وهو سبحانه وتعالى غير محتاج إلى مكان يستقرّ فيه.

ولله سبحانه وتعالى يد لا كالأيدي

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال سبحانه وتعالى لإبليس: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [ص: ٧٥].

---

(١) في «فتح الباري» (١٣/ ٥٠٣) وفي الآية قول آخر أنه ذو الفواضل العالية.

(٢) **والمكان مكان وجودي مشهود، ومكان غيبي**: المكان الغيبي موجود ولكن لا يخضع لمقاييس البشر، وهو مكان الروح، والحياة البرزخية..ونحو ذلك، وأما المكان الوجودي فهو المكان الذي يخضع لمقاييس البشر، ومعلوم لدينا ونراه.بخلاف المكان الغيبي.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ (١):

فِي هَذِهِ الآيَة إِثْبَات يَدَيْنِ لِلَّهِ ، وَهُمَا صِفَتَانِ مِنْ صِفَات ذَاته وَلَيْسَتَا بِجَارِحَتَيْنِ خِلافًا لِلْمُشَبِّهَةِ مِنْ الْمُثْبِتَة، وَلِلْجَهْمِيَّةِ مِنْ الْمُعَطِّلَة ، وَيَكْفِي فِي الرَّدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا بِمَعْنَى الْقُدْرَة،أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ لَهُ قُدْرَة وَاحِدَة فِي قَوْل الْمُثْبِتَة وَلا قُدْرَة فِي قَوْل النُّفَاة ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ قَادِر لِذَاتِهِ وَيَدُلّ عَلَى أَنَّ الْيَدَيْنِ لَيْسَتَا بِمَعْنَى الْقُدْرَة أَنَّ فِي قَوْله تَعَالَى لإِبْلِيس ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ إِشَارَة إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي أَوْجَبَ السُّجُود ، فَلَوْ كَانَتْ الْيَد بِمَعْنَى الْقُدْرَة لَمْ يَكُنْ بَيْن آدَم وَإِبْلِيس فَرْق لِتَشَارُكِهِمَا فِيمَا خُلِقَ مِنْهُمَا بِهِ وَهِيَ قُدْرَته ؛ وَلَقَالَ إِبْلِيس : وَأَيّ فَضِيلَة لَهُ عَلَيَّ وَأَنَا خَلَقْتنِي بِقُدْرَتِك كَمَا خَلَقْته بِقُدْرَتِك ، فَلَمَّا قَالَ ﴿ **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ دَلَّ عَلَى اِخْتِصَاص آدَم بِأَنَّ اللَّه خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ ، قَالَ : وَلا جَائِز أَنْ يُرَاد بِالْيَدَيْنِ النِّعْمَتَانِ ، لاسْتِحَالَةِ خَلْق الْمَخْلُوق بِمَخْلُوقٍ ؛ لأَنَّ النِّعَم مَخْلُوقَة وَلا يَلْزَم مِنْ كَوْنهمَا صِفَتَيْ ذَات أَنْ يَكُونَا جَارِحَتَيْنِ ، **وَقَالَ اِبْن التِّين** قَوْله ﷺ «**وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَان**»(٢) يَدْفَع تَأْوِيل الْيَد هُنَا بِالْقُدْرَةِ ، وَكَذَا قَوْله فِي حَدِيث اِبْن عَبَّاس رَفَعَهُ «**أَوَّل مَا خَلَقَ اللَّه الْقَلَم ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين**»(٣).

---

(١) فيما حكاه عنه الحافظ في«فتح الباري»(١٣/ ٤٧٥) .

(٢) في رواية البخاري(٧٤١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٧٤٥) بإسادٍ حسن عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ..فذكره وتمامه:« **قَالَ: فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَحْصَاهُ**
=

وفي صحيح البخاري في حديث الشفاعة أن أهل الحشر يقولـون لآدمعَلَيْهِ السَّلَامُ: «**خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ**»[١].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**يَدُ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُـهَا نَفَقَـةٌ...**» ، وفيـه «**...وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَانُ**» [٢].

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**...وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ...**»[٣].

ولله يدان كما دلت علي ذلك الآية : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ** ﴾ ، والمقـام في ذكر الآية ، وسياقها مقام تشريف ، ولو كان الله خلقه بأكثر من يدين لـذكره ؛ لأنه كلما ازدادت الصفة التي بها خلق هذا الشيء ازداد تعظـيم هـذا الشـيء ، ولو كان لله أكثر من يدين لذكرهما ؛ لأن المقام مقام يقتضي كثرة النعم ؛ لأنـه

=

عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ. فَقَالَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] ، فَهَلْ تَكُونُ النُّسْخَةُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ » .

أما عن بن عباس فأخرجه البيهقي في«القضاء والقدر» به ولكن في سنده جويبر وهو غير محمود الرواية، وأيضاً في سنده مبهم.

ولكن في صحيح مسلم (١٨٢٧)عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ،: قَالَ:: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**..الحديث .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٠) ، ومسلم

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١١) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٢) .

كلما ازدادت وسيلة العطاء كثر العطاء ، وهذا مقام مدح في الآية .

وأما قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [يس : ٧١].

فلا تعني أن لله أيد كثيرة ، وإنما الجمع هنا لتعظيم اليد كما في قوله «**إنا**»، و«**نحن**» ، و«**قلنا**» بل قد جاءت اليد بالإفراد كما في قوله ﷻ : ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح : ١٠] .و «**يَدُ اللَّهِ مَلأَى**» وجاءت بالمثنى: كما في الآية المذكورة ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان** ﴾ ، و ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ ، وجاءت بالجمع كما في قوله ﷻ : ﴿ **عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾ .

وبعض العلماء يقولون أن أقل الجمع اثنان .كما في قوله ﷻ : ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [التحريم : ٤] .

وهما اثنتان ، فالقلوب جمع والمراد : قلبان فقط ، وليس للمرأة ولا للرجل إلا قلب واحد ، كما في قوله ﷻ : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب : ٤] .

ومن الدليل على أن أقل الجمع اثنان قوله ﷻ : ﴿ **فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ** ﴾ [النساء : ١١] ، ف «أخوة» جمع، والمراد به اثنان، أي أكثر من واحد ثم إن جماعة الصلاة تصلح باثنين ، فلولا أن الثنتين جمع ما صحت الجماعة باثنين ، فإذا قلنا بأن أقل الجمع اثنان فلا إشكال بين الأدلة التي فيها «يد الله مُثنَّاة»، والأدلة التي فيها أن يد الله جمع.

وفي قوله ﷻ لموسى وأخيه هارون وهما اثنان : ﴿ **كَلا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ** ﴾ [الشعراء : ١٥] ، دليل على أن أقل الجمع اثنان ، فإنهﷻ قال:

«**مَعَكُمْ**» مع أنهما اثنين فقط «موسى وهارون عليهما السلام» .

لكن جمهور أهل اللغة يقولون أن أقل الجمع ثلاثة، وخروج الجمع في بعض الأدلة السالفة إلى الاثنين إنما كان لسبب .

ووجه الجمع : أن الأدلة التي فيها اليد «**جمع**» مراد بها التعظيم ، وأما «**الإفراد**» في اليد ؛ فالمراد به الذات ، فالمعنى الله فوقهم .

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

فاليد بمعنى القوة ، فهي مصدر آد يئيد بمعنى قوي ، وليس المراد بالأيد هنا صفة لله عز وجل ، ولهذا ما أضافها إلى نفسه ما قال بأيدينا بل قال «**بأيد**» أي بقوة[1] .

وقد وردت اليد المثناة بمعنى القوة في حديث النواس بن سمعان الطويل ففيه أن :

«...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ»[2] **فمعنى «يدان» أي قوة .**

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» للعثيمين ص (٢٤٥) بتصرف وقد استفدنا من مبحثه رحمه الله وتصرفنا في الألفاظ .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٧) .

كما وردت اليد بمعنى النعمة في سياق حديث المسور بن مخرمة في صلح الحديبية ، وفيه قول أبي بكر رضي الله عنه لعروة بن مسعود :

«وإِنِّي لأَرَى أَوْبَاشًا مِنْ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : «امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟» . فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ» [١].

وكما قال الشاعر :

وكم لظلامِ الليلِ عِندكَ من يدٍ   تُحَدِّثُ أن المانويَّة[٢] تكذِبُ

ولا يصح أن تحمل اليد في الأدلة السالفة المتقدمة قبل ذلك على النعمة أو القوة والاستدلال بحديثي النواس بن سمعان ، والمسور بن مخرمة وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ لأمور :

الأول : أن تفسير النصوص المتقدمة في صدر الكلام مخالف لظاهر اللفظ ن والظاهر يقدَّم على المؤوَل إلا بدليل .

الثاني : أنه لم يرد عن السلف ما يخالف الظاهر ، فدل على أنهم فهموا ذلك على ظاهره ، ولو كان عندهم معنى يخالف الظاهر لتكلَّموا به .

---

(١) وذلك في الحديث الطويل في صحيح البخاري في «الشروط» (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(٢) المانوية : فرقة من المجوس يقولون : إن الظلمة تخلق النور ، والنور يخلق الظلمة كذبًا وبهتانًا وتخرصًا .

فإن هؤلاء – الصحابة الأفاضل – لما استشكل عليهم ظاهر قوله ﷻ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

سألوا فقالوا : يا رسول الله ﷺ أينا لم يظلم نفسه ؟ حتى فسر النبي ﷺ لهم أن ظاهر الظلم هنا غير مراد ، وإنما الظلم الشرك ، فالشرك أحد أنواع الظلم الثلاثة كما في قول لقمان لولده : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وإذا كانت اليد أتت بمعنى القوة أو النعمة في بعض النصوص فإن ذلك :

ممتنع كل الامتناع في مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ .

فهل القوة تتعدد ؟وإجماع العقلاء على أن القوة لاتتجزَّأ، إنما هي قوة واحدة وهل النعمة نعمتان ؟ والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ ؟»» [النحل : ١٨] .

ولو كانت اليد بمعنى القوة في قوله سبحانه وتعالى لإبليس ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لم يكن لآدم فضل على إبليس كما تقدمت الإشارة إليه ؛ لأن كلاً منهما خلقه الله حينئذٍ بقوته ، بل لم يكن لآدم عليه السلام فضل على الكلاب والحمير والبغال والخنازير والقرود وإبليس وغيرهم ؛ لأن الله خلق كل هؤلاء بقوته .

ولقال إبليس:«وأنا يا رب أيضًا خلقتني بقوتك فما فضلُه عليَّ»؟» فعلم أن إبليس كان يعلم من هذه الآية أحسن مما يعلم هؤلاء من معناها .

ثم إن اليد جاءت على وجوه متنوعة يمتنع أن يراد بها النعمة أو القوة ، فجاء فيها : الأصابع والقبض والبسط والكف واليمين ، وكل هذا يمتنع أن يراد به القوة ؛ لأن القوة لا توصف بهذه الأوصاف [(١)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ :**«تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِى السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الْجَنَّةِ»** .

قَالَ : فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : «بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».قَالَ: «بَلَى». قَالَ:«تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .ثُمَ قَالَ:«أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟» قَالَ: «بَلَى» قَالَ: «إِدَامُهُمْ بَالاَمُ وَنُونٌ».قَالُوا:وَمَا هَذَا،قَالَ: «ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»[(٢)].والنون: الحوت.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»**[(٣)].

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» ص (٢٤٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢٠) ، ومسلم (٢٧٩٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٣٠) .

=

فلله ﷻ يد وأصابع على ما يليق به ليست كيد البشر ولا كأصابعهم

فَقَد جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ.

=

وأنبه إلى خطأ الحافظ ابن حجر في «الفتح»(٢/ ١٦٠)فإنه قال في تفسير قول النبي ﷺ :«**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ**»، هو قسم كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقسم به، والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله ؛ أي بتقديره وتدبيره » .

وهو قولٌ مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات ظواهر النصوص المتقدمة، وإثبات اليد له سبحانه .

وحكى (٣/ ٣٤٢) عن عياض في قوله ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ**» حديث (١٤١٠) قال : «لما كان الشيء الذي يُرتضى يُتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا ، واستعير للقبول لقول القائل تلقاها عرابة باليمين» أي: هو مؤهل للمجد والشرف ، وليس المراد بها الجارحة... وذكر أشياء كهذه» أ.هـ.

والصواب: إثبات اليمين لله تعالى، وأنه يقبل الصدقة إذا كانت عن الكسب الطيب ويضاعفها، والتأويل المذكور عن عياض محذور عند أهل السنة والجماعة، مخالف لعقيدتهم،وأسوأ من هذا : نقل الحافظ في «الفتح»(٣/ ٤٣٨)عن حُذَّاق الْمُتَكَلِّمِينَ قال:«مَا عَرَفَ الله مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ أَوْ أَضَافَ إِلَيْهِ الْيَدَ» ا.هـ

فإن إضافة اليد إليه سبحانه ثابتة في النصوص مع منافاتها لصفات المخلوقين، لكن هم مثَّلوا الله في أذهانهم.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[(١)].

وفي الرواية عند مسلم:«فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ»[(٢)].

وإسناد الوعي لله صحيح على ما يليق به سبحانه كما قال ﷺ :«**لاَ تُوعِى**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦)من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجها مسلم (٢٧٨٦)(٢٢) في الشواهد وهي لفظة مفسِّرة؛ لأن النبي ﷺ ضحك إقرارًا لما قال اليهودي.

وقد ذكر الحافظ في«الفتح»(١٣/ ٤٨٣)عن البعض كلامًا طويلاً عدم الخوض في بطلانه أولى مؤدَّاه :أن النبي ﷺ إنما ضحك إنكارًا على اليهودي، ولذلك قال ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ وبعضهم يطعن في الأحاديث الثابتة المذكورة ، وإن الحقيقة إنما هي على خلاف ما فهمه الراوي من أن النبي ﷺ ضحك تصديقًا وقال الحافظ : «وَلَوْ كَانَ الأَمْر عَلَى خِلاف مَا فَهِمَهُ الرَّاوِي بِالظَّنِّ لَلَزِمَ مِنْهُ تَقْرِير النَّبِيّ ﷺ عَلَى الْبَاطِل وَسُكُوته عَنْ الإِنْكَار وَحَاشَا لله مِنْ ذَلِكَ ،.

وَقَدْ اِشْتَدَّ إِنْكَار اِبْن خُزَيْمَةَ عَلَى مَنْ اِدَّعَى أَنَّ الضَّحِك الْمُذْكُور كَانَ عَلَى سَبِيل الْإِنْكَار ، فَقَالَ بَعْد أَنْ أَوْرَدَ هَذَا الْحَدِيث فِي«كِتَاب التَّوْحِيد» ص(٧٦) .

«وقد أجلَّ الله تعالى قَدر نبيِّه ﷺ عن أن يُوصف الخالق الباريء بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه تصديقًا وتعجبًا لقائله ، لا يصف النبيﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدِّق برسالته» .

وحكاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٤) بنحو من ألفاظه .

فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ».

أخرجه البخاري (١٤٣٤) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

والأثر للصفة: أن من بخل فالله يقطع عنه مادة البركة.

ومقصود أثر الصفة على العبد: أن ينتهى عن منع الصدقة خشية النفاد، فمن أوعى أوعى الله عليه، وهو قول أهل السنة.

وقول الحافظ في «الفتح» (٣٦٧/٣): «إسناد الوعى إلى الله مجاز عن الإمساك» تأويل بعيد مردود خلاف ظاهر النص.

وقد خلق الله بيده

١) **آدم**: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص: ٧٥].
ويقول الناس في المحشر: «... **أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ**» [(١)].

وفي رواية الصحيحين: «**اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**» [(٢)].

٢) **وكتب كتابًا عنده فوق العرش «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»**

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَمَّا**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤١)، ومسلم (١٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[١].

٣) وغرس كرامة أعلى أهل الجنة منزلة

ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، قَالَ : رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ، قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا**»[٢].٢

والتوراة كتبها بيده سبحانه: وآدم قال لموسى عليه السلام : «**أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»[٣].

ولله صورة لا كالصُوَر

ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في رؤية المؤمنين : «...**فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ**»[٤].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٢٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٩) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٢) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٣٩) .

وفي رواية : «أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا»[١]،

وقال ﷺ : «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[٢] أخرجه البخاري (٦٢٢٧) .

اِسْتَدَلَّ اِبْن قُتَيْبَة بِذِكْرِ الصُّورَة عَلَى أَنَّ لِلَّهِ صُورَة لا كَالصُّوَرِ كَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ شَيْء لا كَالأَشْيَاءِ[٣].

وأنبه إلى أن تأويل الصورة بالصفة ليس بجيد، بل لله صورة حقيقية لائقة به، كما أن له صفات كاملة حقيقية لائقة به أيضًا، وإثبات الصورة لربنا لا يلزم منه أن تكون مشابهة لصور المخلوقين، ففي نفس الحديث وصف الله آدم بقوله:« طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا » والله ليس كذلك، لأنه لو كان كذلك لكان خلق

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) .

(٢) حكاه عنه الحافظ ، وقد حكى الحافظ في «الفتح» (٥/ ٢٢٢) عن المازري قال: «غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره ، وقال : صورة لا كالصور»اهـ .

وما غلطه فيه هو الصواب، ونقل تصحيح إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل للحديث ، ثم حكى عن الطبراني في كتاب «السنة» حدثنا عبد الله بن أحمد قال : قال رجل لأبي: إن رجلاً قال: إن الله خلق آدم على صورته– أي صورة الرجل– فقال: كذب،هو قول الجهمية «الفتح» (٥/ ٢٢٣) .

وعلق الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله على حكاية الحافظ قول المازري فقال: «ليس قوله غلطًا » بل هو الصحيح في هذا الباب إلا أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع ما صح من أسماء الله وصفاته حقيقية ، على ما يليق بجلاله، وقد ثبت في الصحيحين الحديث : «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ» ، وإنما الغلط قول من نفى ما أطلقه الله على نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

(٣) وراجع «فتح الباري»(١٣/ ٥١٣) في كلام العلماء على إثبات الصورة .

جبريل وحملة العرش أكبر من الله، والله سبحانه ليس كذلك كما أن إثبات وجه وحياة له سبحانه لا يلزم منه مماثلة وجهه سبحانه لوجوه المخلوقين ولا حياته لحياتهم، وهذا باب مضطرد في جميع الصفات والأسماء لقوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] كذا هو الحال عند أهل السنة .

وقد شنَّع أحمد بن حنبل جداً على من قال: أن الصورة في في قوله ﷺ: « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » عائدة على آدم، يريد نفي الصورة عن الله فقال: « من لم يقل إن اللَّه خلق آدم عَلَى صورة الرحمن فهو جهمي »[1].

قلت«محمد»: ويؤيِّده النص الآخر الذي لا يقبل التأويل ولا التحريف: « فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ »[2] وهذا يعني أنها صورة حقيقية، ولكن لا نعلم كيفيتها، وقد أوَّل ابن خزيمة حديث الصورة ورددنا عليه عند شرحنا لـ «شرح السنة» للبربهاري، وهو مطبوع، والحمد لله .

وهل يُقال إن الاسم صفة لله سبحانه وتعالى ؟

هو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

ذكرها شيخ الإسلام في «الواسطية» وقال الشيخ العثيمين :

(١) انظر «طبقات الحنابلة»(١/ ٢١١).

(٢) أخرجه البخاري(٧٤٣٩).

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية في إثبات الاسم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[1].

وهل نثبت الحُجْزة لله عز وجل استدلالاً بحديث الرحم ؟

الجواب :

قد ورد إثبات ذلك في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ آخِذَةٌ بِحُجْزَةِ الرَّحْمَنِ، يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا**».

وإسناده حسن أخرجه أحمد (١/ ٣٢١) وله شواهد يصح بها . وقد سئل الألباني[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك فقال : «لا نستطيع أن نتكلم في هذا الحديث بأكثر مما جاء فيه فنقول : إنه عز وجل قد أخبر بذلك على لسان نبيه ﷺ

ومجال التأويل واسع لكننا نُسَلِّم تسليمًا ولا نتأول» أ.هـ

وقد بينا عن عدد من السلف وعلماء أهل السنة الأوائل إمرار مثل هذه الأحاديث على ظاهرها بلا تأويل، والله الموفق .

ولذلك

صح عن ابن عباس التشنيع على من لم يقبل عقله بالوارد في صفات الله عن رسول الله ﷺ.

(١) «شرح الواسطية» ص (٢٨٤) .

(٢) كما في «الفتاوىٰ الكويتيه» جمع عمرو سليم ص (٣٢) .

فأخرج معمر[١] بسندٍ صحيح عن هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ:أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعُرَاتُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهُمْ يُلْقَوْنَ فِيهَا {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} ، فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ-أَوْ قَالَ: قَدَمَهُ - فِيهَا فَتَقُولَ: قَطٍ قَطٍ قَطٍ، فَهُنَالِكَ تُمْلَأُ وَتَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا مَا شَاءَ».

عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ هَذَا، فَقَامَ رَجُلٌ فَانْتَقَضَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:«مَا فَرَّقَ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ».

---

(١) في «جامعه» (٢٠٨٩٣).

قواعد في باب الصفات

الأولى : لابد أن يكون الدليل منصوصًا عليه من كتاب الله ﷻ أو سنة رسول الله ﷺ ، والأدلة تؤخذ بظواهرها لا تُحرَّف ولا تُؤول ، كما كان يعتقد ظاهرها الصحابة الذين هم أعلم بالله ﷻ وأحسن عبادة بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والذين لو أنفق أحدنا مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه .

فالواجب ؛ حمل الصفات على ظاهرها بلا كيف كما حملوها .

الثانية : ليعلم أن عملنا حيال الصفات أن نعلم أن الصفات معلومة لدينا من ناحية المعنى مجهولة لنا من ناحية الكيف ، فلا نعلم كيفيتها كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

الثالثة : كثير ممن أنكر الصفات سبب إنكاره أنه توهم أنها تَشبه بالمخلوق إن ثبتت ، والآفة أنه مثَّل في نفسه ثُمَّ عَرَض ما بداخله فأنكره ، فهرب من التمثيل بالإنكار ، فوقع في التمثيل في ذهنه والتعطيل للصفة الحقيقية بقوله وإنكارها أو تحرِّيفها .

❋ فالله تعالى لا يماثل خلقه:

☐ قال في شأن نوح عليه السلام:﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣﴾ الإسراء.

وقال محمد ﷺ عن نفسه: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».(١)

وسَمَّى نفسه بنفس الأسماء :

فقال سبحانه عن نفسه: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ فاطر.

وقال: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ فاطر.

وقال أيضـًا عن نفسه: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾ التغابن.

فإذا نظرت في هذا مع ضميمة قوله سبحانه:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى. وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ مريم. وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ الإخلاص .

تبيَّن لك جليـًا المنهج الصواب المطلوب اعتقاده، والذي فيه الجمع بين الأدلة، وهو إثبات الصفات لله تعالى مع عدم تمثيل الله بخلقه، وبما أن الله لم يبين لنا كيفية الصفات، فالسؤال عنها وقول العبد فيها- والحالة هذه- بدعة، ورجم بالغيب، والتطلُّع إلى معرفتها أو تخيُّلها ضلال.

*** وفي اسم الرفيق:**

وقال أبو رِمْثَةَ رضي الله عنه : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ أَبِي، فَرَأَى الَّتِي بِظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،أَلَا أُعَالِجُهَا لَكَ فَإِنِّي طَبِيبٌ؟ قَالَ: «**أَنْتَ رَفِيقٌ، وَاللهُ الطَّبِيبُ**».[٢]

---

(١) أخرجه البخاري(١١٣٠) ومسلم (٢٨١٩).

(٢) أخرجه أحمد(١٧٤٩١) بسندٍ صحيح.

كذا سمَّى العبد رفيقـاً.

وفي الصحيحين قوله ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**».(١)

كذا سمى الله رفيقـاً.

ولا يعني ذلك أن يكون هناك تماثل بين الخالق والمخلوق.

❋ وكذلك اسم المبين.

قال سبحانه عن رسولهﷺ: «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ». فسمى الرسول مبينـاً.

وقال سبحانه عن نفسه: {وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٥] .

فسمى نفسه مبينـاً.

❋وكذلك اسم الحليم.

قال تعالى عن عبده إسماعيل علييه السلام: « فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ».

كذا سمَّى العبد حليمـاً.

وقال عن نفسه حليمـاً: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: ٢٣٥] .

وقال: « {إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمـاً غَفُوراً} »

---

(١) أخرجه البخاري(٦٩٢٧) ومسلم (٢٥٩٣).

وقال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**».[1] فسمى اللهَ حليمـاً.

***واسم الغنى.**

قال تعالى:« وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ » .

وقال:« (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) ، [سورة التوبة: ٢٨] »

وقالﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**» .[2] فهنا سمى العبد غنيـاً.

وقال سبحانه عن نفسه:

« قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ » .

***وإثبات الحياة لنفسه ولغيره.**

قال تعالى عن غيره:« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » .

وقال عن نفسه:« اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ». وقال:«هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

***وكذلك الحكم.**

وقال سبحانه عن العبد:« وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللهُ » فنسب الحكم إلى العبد.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

وقال ﷺ عن الله تعالى: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**».[١]

- **وكذلك الأعلى:**

قال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨ ﴾ طه.

وقال عن نفسه :

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ الأعلى.

٭ وكذلك القوى:

حكى كلمة ابنة الرجل الصاح لأبيها قالت: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝٢٦ ﴾ القصص.

وقال تعالى حاكيـًا عن الجن: ﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ۝٣٩ ﴾ النمل.

وأثبته لنفسه في أكثر من آية منها:

قوله: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤ ﴾ الحج.

٭ وكذلك اسم الرؤوف والرحيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠ ﴾ النور.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥) بسندٍ ثابت.

وقال عن نبيه ﷺ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة.

وكذلك أثبت الله تعالى العين للإنسان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ البلد.

*** وأثبت نبيه ﷺ العين لله:**

فقال وهو يحكي عن الدجال: « **إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ** ».[1]

وكذلك الكريم :

قال تعالى عن بعض عباده : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ التكوير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ الانفطار.

وكذلك العزة أثبتت لله وللرسول والمؤمنين، وكذلك إثبات الشهادة لله وللعبد، والفهم الصحيح: إثبات هذه الأوصاف والأسماء للخالق والمخلوق مع إثبات أنه سبحانه ليس كمثله شيء، والله المستعان.

الرابعة من القواعد المهمة في باب الصفات : أن الصفة لابد أن يصحَّ دليلُها ،

---

(١) أخرجه البخاري(٤٤٠٢) ومسلم (١٦٩).

فإذا كان دليلُها ضعيفًا فلا تثبت به الصفة ، وإن كان الدليل منازعًا فيه كانت الصفة منازعًا في إثباتها لله كذلك.

* ولذلك أورد بعض إخواننا صفات أخذت من أحاديث ضعيفة .

كصفة الجود ، والحياء ، وكونه له أنامل ، وصفة البشبشة ، والتردُّد ، فصفة الجود ليس منصوصًا عليها لله ، وإنما أُخذت من اسم «الجواد » لله ، وهو لم يصح دليله كما أشرنا قبل ، وبالتالي يثبت لله اسم الكريم والأكرم وهما يحملان المعنى ، ويُؤخذ منهما صفة الكرم وهي ثابتة لله ﷻ .

* والله ﷻ يحب الحياء والستر ويأمر بهما ويحض عليها ، ولكن لا يثبت لله اسم «الحيي» ولا «الستير» كما حُرِّر فيما سلف من قِبَل الأسانيد .

* وقد وُصِف الله بأن له أنامل في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : «**حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ فِي صَدْرِي**» وهو حديث ضعيف كما بينته في غير هذا الموطن .

كذلك لله تعالى صفة البشبشة

التي أُخِذت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«**مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلاةِ وَالذِّكْرِ؛ إِلا تَبَشْبَشَ اللَّهُ لَهُ كَمَا يَتَبَشْبَشُ**

أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ»[(١)] والخبر يحمل على ظاهره ولا نتأوله .

---

(١) فقد رواه سعيد المقبري واختلف عنه ، فرواه عنه الليث – من رواية الجماعة عنه – عن سعيد المقبري بن يسار عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ .

أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٧ ، ٣٤٠) ، وابن خزيمة (١٤٩١) ، والدارمي في «الرد على بشر المريسي» والحارث بن أبي أسامة (١٢٨بغية) والبيهقي في «الصفات» (٩٩٨)، وابن بشران في «الأمالي» (٧٨) من طرق عن الليث به، وقد رواه عن الليث جماعة كثيرة

وخالفهم قتيبة بن سعيد فرواه عن الليث عن المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ﷺ به ... هكذا بإسقاط أبي عبيدة، ذكره الدارقطني في «العلل»(١١/ ٩) ، وقال : «الصحيح عن الليث القول الأول» أ.هـ وهو واضح .

وخالف ابنُ أبي ذئب الليثَ .

ورواه عن المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ﷺ به .

أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨،٤٥٣)، وابن الجعد في «الجعديات» (٢٨٣٨) – ووقع فيه سقط سعيد بن يسار، والمحفوظ : رواية الجماعة بإثباته– وابن ماجة (٨٠٠)، والطيالسي (٢٤٥٥) ، وابن خزيمة (١٥٠٣)، وابن حبان (١٦٠٧ ، ٢٧٨) والحاكم (١/ ٢١٣) وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٥٩) وغيرهم من رواية جماعة عنه به .

والصحيح رواية الليث التي فيها رجل مجهول .

وثم رواية عن ابن عجلان أخرجها ابن خزيمة (٣٥٩) عن المقبري به كرواية ابن أبي ذئب إلا أنه أوقفه .

وقد ذكره الدارقطني في «العلل» وذكر خلافًا عليه على الرفع والوقف ، والصحيح الموقوف على أبي هريرة ، إلا أنه قد اختلطت على ابن عجلان أحاديث أبي هريرة ، ويبدو أن الاضطراب منه ، ثم هو لا يقاوم ابن أبي ذئب ولا الليث ، فيكون طريقه غير محفوظ لا =

وإن صحَّت صفة البشبشة لله ﷻ هي بمعنى الفرح، والفرح ثابت لله تعالى بالأدلة.

وعلى كل فإن عملنا حيال الصفات ، وكذلك الأسماء الجمع والإحصاء فقط ، فما صح الخبر به من ذلك اعتقدناه على ظاهره ، وقلنا : «آمنا به كل من عند ربنا» بلا كيف ولا تعطيل ولا توهم بالآراء .

وما ضعُف الخبر به من ذلك رددناه ، ولا مجال للدخول على هذه الغيبيات إلا من طريق كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، والله أعلم وأحكم ، وهذا لنا أفضل وأسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وصفة السكوت واردة لله سبحانه وتعالى

لم تصح عن رسول الله ﷺ ، ولكن تكلم بها الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرز الناس وأورعهم – بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – من أن يذكروا ما ينسب إلى الله ﷻ ما ليس يذكر.

فصح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ :«كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتْرُكُونَ

=

موقوفًا ولا مرفوعًا ، وإن صُحِّح الموقوف عنه ، وعلى ترجيح رواية الليث فإن في إسناده رجلاً قال عنه الدارقطني في «العلل» : مجهول .

لكن ليس بمستبعد أن تكون رواية ابن أبي ذئب محفوظة ، ويكون للمقبري شيخان في الحديث .

وعلى ذلك فالإسناد صحيح من طريق ابن أبي ذئب .

وقد قال علي بن المديني رحمه الله : الليث وابن أبي ذئب ثبتان في حديث سعيد المقبري.

أَشْيَاءَ تَقَذُّرًا فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ وَأَحَلَّ حَلاَلَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ . فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلاَلٌ وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ وَتَلاَ ﴿ **قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الأنعام : ١٤٥](١) .

وقول سلمان رضي الله عنه موقوفًا – في الراجح عنه –

«الْحَلالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ» (٢).

---

(١) وهذا أخرجه أبو داود (٣٨٠٠) بإسنادٍ صحيح .

(٢) وقد روي هذا مرفوعاً

فأخرجه الترمذي (١٧٢٦) ، وابن ماجة (٣٣٦٧) وغيرهما ، وهذا الحديث وإن صححه البعض مرفوعًا إلا أن صوابه الموقوف ، قال البخاري كما في «العلل» (٥١٣) عقب المرفوع : «ما أراه محفوظًا».

وروى سفيان بن عيينة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان هذا الحديث موقوفًا .

وقال الترمذي عقب الرواية المرفوعة : «وكأن هذا الحديث الموقوف أصح»

وقال أبو حاتم في «العلل» (١٥٠٣) بعد سؤال ولده له عن المرفوع : «هذا خطأ رواه الثقات عن التيمي عن أبي عثمان عن النبي ﷺ مرسل ليس فيه سلمان وهو الصحيح» .

ويظهر لي صحة الموقوف كما قال البخاري والترمذي .

وثم شاهد عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ قال :
=

وهو يغني إن شاء الله في إثبات الصفة .

وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ :

«فَثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ أَنَّ اللَّهَ يُوصَفُ بِالسُّكُوتِ؛ لَكِنَّ السُّكُوتَ يَكُونُ تَارَةً عَنْ التَّكَلُّمِ وَتَارَةً عَنْ إظْهَارِ الْكَلامِ وَإِعْلامِهِ» [(١)].

وما أوردوه في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **ـ التردُّد في قبض نفس المؤمن على ما يليق به** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **ـ**

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللَّهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ .... الحديث**» .

=

«إنّ اللهَّ حدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدُوها وفَرَضَ فَرَائِضَ فلا تُضَيِّعوها وحَرَّمَ أَشْياءَ فلا تَنْتَهكوها وتَرَكَ أَشْياءَ منْ غَيْرِ نِسْيانٍ منْ رَبِّكمْ وَلكِنْ رَحْمَةً منْهُ لكمْ فاقْبلوها ولا تَبْحَثُوا عَنْها» .

أخرجه الحاكم (٤/ ١١٥) ، والبيهقي (١٠/ ١٢) وغيرهما من طريق مكحول عن أبي ثعلبة ، ولم يسمع منه كما هو معروف ، فالسند ضعيف ، خلافًا لمن حسنه ؛ كالنووي في «شرح الأربعين» ، وأبي بكر بن السمعاني في «أماليه» فيما حكاه عنه الحافظ ابن رجب في «جامعه» ص(٤٨٥) في بحث له بخصوص الحديث ، وساق طرقه وصححه وليس فيه أصلاً موطن الشاهد .

وثَمَّ شاهد عن أبي الدرداء ، وإسناده ضعيف مرسل ، وإن صححه الحاكم وقال البزار : «إسناده صالح» ، وقد أعله ابن رجب في «جامعه» ص(٤٨٥) بعلتين ؛ الانقطاع والاختلاف في الرفع والوقف ، والله أعلم ، وثم شواهد أخرىٰ لا نرىٰ الإطالة فيما ليس له كبير فائدة هنا.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٧٩) .

وفيه: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَـنْ نَفْـسِ الْمُـؤْمِنِ، يَكْـرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» والحديث في طرقه مقال[1].

---

(١) فقد أخرجه البخاري (٦٥٠٢) . وفي إسناده خالد بن مخلد القطواني وهو «ضعيف» وفيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وهذا الحديث من غرائب الصحيح كما قال ابن رجب في «الجامع» ص(٦١٩) .

وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الطبراني وإسناده جيد رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني في «الأوسط» (٩٣٥٢) هارون بن كامل لم أجد فيه جرحًا ولا تعديلاً .

وشاهد عن ابن عباس ضَعْف إسناده ظاهر .

وآخر من حديث أبي أمامة لكن ليس فيه ذكر التردُّد .

وثم شاهد آخر عن حذيفة عند الطبراني جوَّد إسناده ابن رجب ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر.

والحاصل :أن هذا الحديث روئ من وجوه لا تخلو من مقال كما قال الحافظ ابن رجب .

لكن الذي يظهر لي أنه حديث حسن لشواهده إن شاء الله.

وطرقه : أما طريق البخاري بمفرده ؛ فقد استنكره العلماء حتى قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٦٤) في ترجمة خالد بن مخلد :

«حديث غريب جدًا لولا هيبة الجامع الصحيح لعدُّوه في منكرات خالد بن مخلد ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ ، وعنه نقل ابن رجب في «جامعه» .

ومن قبلهما قال المزي في ترجمة محمد بن عثمان بن كرامة – راوية عن مخلد –

«ليس له في الصحيح غيره ، وهو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتفرد به خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك»

وقد ساق ابن رجب في «جامعه» طرقه وتكلم عليها فراجع شرح الحديث (٣٨).

وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيَجِبُ أَنْ يُصَانَ كَلامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ الظُّنُونِ الْبَاطِلَةِ ؛ وَالاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَلَكِنَّ الْمُتَرَدِّدَ مِنَّا وَإِنْ كَانَ تَرَدُّدُهُ فِي الأَمْرِ لأَجْلِ كَوْنِهِ مَا يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الأُمُورِ لا يَكُونُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ مَا يُوصَفُ بِهِ الْوَاحِدُ مِنَّا فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا فِي ذَاتِهِ وَلا فِي صِفَاتِهِ وَلا فِي أَفْعَالِهِ ثُمَّ هَذَا بَاطِلٌ » فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا يَتَرَدَّدُ تَارَةً لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْعَوَاقِبِ وَتَارَةً لِمَا فِي الْفِعْلَيْنِ مِنْ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ فَيُرِيدُ الْفِعْلَ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَصْلَحَةِ وَيَكْرَهُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَفْسَدَةِ لا لِجَهْلِهِ مِنْهُ بِالشَّيْءِ الْوَاحِدِ الَّذِي يُحِبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيَكْرَهُ مِنْ وَجْهٍ... وَهَذَا مِثْلُ إرَادَةِ الْمَرِيضِ لِدَوَائِهِ الْكَرِيهِ بَلْ جَمِيعُ مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ مِنْ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَكْرَهُهَا النَّفْسُ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ...[(١)]

ومقصود الحديث :

أن العبد الذي هذا حاله صار محبوباً للحق مُحبًّا له؛ لما يقوم به من الفرائض والنوافل المحبوبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ .

والقاعدة : أن المحب يحب ما يحب محبوبه ويكره ما يكرهه.

فالولي المؤمن يكره الموت لكثرة آلامه وسكراته، والله عَزَّ وَجَلَّ يكره مساءته، ولكن لابد منه؛ لأن الله كتب الفناء على كل مَن عليها، فيحصل التردُّد على وجه يليق بذات الله عَزَّ وَجَلَّ .

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ١٣٠) وراجع مزيدًا لذلك في «فتح الباري» (١١/ ٤٠٦) .

فحقيقة التردُّد: أن يكون الشيء الواحد مُراداً من وجه ، مكروهاً من وجه، وإن كان لابد من ترجح أحد الجانبين، كما ترجَّح إرادة الموت ، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده ، فليس هذا التردُّد من أجل الشك في المصلحة ، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء ، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن .

وهذا لا يعني أنَّ الله ﷻ موصوفٌ بالتردُّد في القدرة أو في العلم، بخلاف الآدمي ، فهو إذا أراد أن يفعل الشيء يتردَّد ، إما لشكه في نتائجه ومصلحته ، وإما لشكِّه في قُدْرَته عليه : هل يقدر أو لا يقدر؟ أما الرب عَزَّ وجَلَّ فلا [(١)].

وأنبه إلى إطلاقات يصح إطلاقها على الله ﷻ لكن ليس فيها معنى الأوصاف، فتطلق عليه لكن لا يتصف بها .

ومما يجوز من الألفاظ إطلاقه على الله ﷻ لفظ «صفة» فيقال : لله ﷻ صفة

لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِ فَيَخْتِمُ بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ**»، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ**»[(٢)].

---

(١) ذكر نحوه الشيخ العثيمين رحمه الله في مقطع صوتي له وسئل عن ثبات صفة التردد لله. وانظر شرح الحديث في «جامع العلوم والحكم» ص(٦٣٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) .

فقوله «لأنها صفة الرحمن» دليل على جواز إطلاق كلمة صفة عليه .

قال الحافظ معلقًا على نفي ابن حزم «للصفة» لله ﷻ كلامًا مفيدًا لا بأس أن أنقله لعظم فائدته فإنه قال :

«فِي حَدِيث الْبَاب حُجَّة لِمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ لِلَّهِ صِفَة وَهُوَ قَوْل الْجُمْهُور ، وَشَذَّ اِبْن حَزْم فَقَالَ هَذِهِ لَفْظَة اِصْطَلَحَ عَلَيْهَا أَهْل الْكَلام مِنْ الْمُعْتَزِلَة وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَلَمْ تَثْبُت عَنْ النَّبِيّ ﷺ وَلا عَنْ أَحَد مِنْ أَصْحَابه ، فَإِنْ اِعْتَرَضُوا بِحَدِيثِ الْبَاب فَهُوَ مِنْ أَفْرَاد سَعِيد بْن أَبِي هِلال وَفِيهِ ضَعْف .

قَالَ : وَعَلَى تَقْدِير صِحَّته فـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّه أَحَد** ﴾ صِفَة الرَّحْمَن كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيث ، وَلا يُزَاد عَلَيْهِ بِخِلافِ الصِّفَة الَّتِي يُطْلِقُونَهَا فَإِنَّهَا فِي لُغَة الْعَرَب لا تُطْلَق إِلا عَلَى جَوْهَر أَوْ عَرَض كَذَا قَالَ

وَسَعِيد مُتَّفَق عَلَى الاحْتِجَاج بِهِ فَلا يُلْتَفَت إِلَيْهِ فِي تَضْعِيفه ، وَكَلامه الأَخِير مَرْدُود بِاتِّفَاقِ الْجَمِيع عَلَى إِثْبَات الأَسْمَاء الْحُسْنَى ، وَالأَسْمَاء الْمَذْكُورَة فِيهَا بِلُغَةِ الْعَرَب صِفَات ، فَفِي إِثْبَات أَسْمَائِهِ إِثْبَات صِفَاته ؛ لأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ حَيّ مَثَلًا فَقَدْ وُصِفَ بِصِفَةٍ زَائِدَة عَلَى الذَّات وَهِيَ صِفَة الْحَيَاة ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَوَجَبَ الاقْتِصَار عَلَى مَا يُنْبِئُ عَنْ وُجُود الذَّات فَقَطْ.

وَقَدْ قَالَ ﷻ : ﴿ **سُبْحَان رَبّك رَبّ الْعِزَّة عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ فَنَزَّهَ نَفْسه عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ مِنْ صِفَة النَّقْص ، وَمَفْهُومه أَنَّ وَصْفه بِصِفَةِ الْكَمَال مَشْرُوع [١]».

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٣) ط دار الحديث .

ويجوز إطلاق «شخص» على الله ﷻ؛ لأن النبيﷺ أطلق هذا اللفظ علـى اللهسبحانه وتعالى لحديث سعد بن عبادة مرفوعًا : «...**لاَ شَخْصَ أَغْيَـرُ مِـنَ اللَّـهِ ، وَلاَ شَـخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَلاَ شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ**»[١] .

والذين خوطبوا بهذا عرب يعلمون المراد منه ، ولا يقـع في قلـوبهم تشـبيه الله سبحانه وتعالى بالأشخاص ، وإلا لاضطرب في أذهانهم هـذا مـع قولـه سبحانه وتعالى : ﴿ **لَـيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ولسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك .

بل الحق أن السامعين لهذا الحديث مـن الصـحابة أشـرف عقـولاً ، وأصـح أذهانًا، وأسلم قلوبًا من ذلك ، كما قال ابن القيم في «الزاد» (٣/ ٥٨٨) عقـب سياق هذا الحديث[٢]

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة ، واللفظ لمسلم ، وعلق البخاري لفظة «لا شخص» وبوب البخاري له باب : قول النبيﷺ «لا شخص أغير من الله ﷻ» ، وذلك في كتاب التوحيد .

(٢) وقد غمز الخطابي رحمه الله في لفظة «**لا شخص**» وبالغ في الإنكار وتخطئة الراوي فقال : «إطلاق الشخص في صفات الله سبحانه وتعالى غير جائز ؛ لأن الشخص لا يكون إلا جسمًا مؤلَّفًا ، فخليق أن لا تكون هذه اللفظة صحيحة ، وأن تكون تصحيفًا من الراوي ، ودليل ذلك : أن أبا عوانة روى هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها ، ووقع في حديث ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنه وأسماء بنت أبي بكر وعائشة رضي الله عنهم بلفظ «**شيء**» ، فقال بعضهم «**لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**» وقال بعضهم «**لا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**» (يقصد حديث ابن مسعود وغيره في إثبات الغيرة لله ﷻ وهو في الصحيح وغيره) .
=

=

والشيء والشخص في الوزن سواء ، فمن لم يُمعن في الاستماع لم يأمن الوهم ، وليس كل من الرواة يراعي لفظ الحديث حتىٰ لا يتعداه ، بل كثير منهم يحدِّث بالمعنىٰ ، وليس كلهم فهمًا بل في كلام بعضهم جفاء وتعجرف ، فلعل لفظ «شخص» جرىٰ علىٰ هذا السبيل إن لم يكن غلطًا من قبيل التصحيف – يعني السمعي –

ثم قال – عفا الله عنه – ثم إن عبيد الله بن عمرو انفرد عن عبد الملك فلم يتابع عليه واعتوره الفساد من هذه الأوجه» أ.هـ

حكىٰ نحو هذا عنه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٣٨٢) عقب حديث (٦٣٠) وعنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٦) بترتيب وتنسيق .

وأقول – وبالله التوفيق –

وفي كلامه مغالطات : منها : قوله أن أبا عوانة روىٰ هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها ، فهذا خطأ بل لم أقف علىٰ أحد لم يذكرها في الرواة عنه إلا موسىٰ بن إسماعيل التبوذكي ، فإنه روىٰ «لا أَحَدَ أَحَبُّ...» ، وقد رواه غير أبي عوانة عن عبد الملك فذكرها

فرواه مسلم (١٤٩٩) ، وابن أبي شيبة (٤/ ٥٤) ، (٥/ ٤٤٨) ، وابن أبي عاصم (٥٢٣) ، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٩٠) رقم (٩٢٢) من طريق زائدة عن عبد الملك به فذكرها وتابعه عبيد الله بن عمرو أيضًا علىٰ ذكرها

أخرجه البخاري (٧٤١٦) معلقًا ، والدارمي (٢٢٢٧) ، وأبو عوانة (٤٧٢٠) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٠) .

بل أكثر الرواه عن أبي عوانة ذكروا هذه اللفظة «**لا شَخَصَ أَغْيَرُ**... »

=

=

فرواه عبيد الله بن عمر القواريري والفضل بن الحسين الجحدري عند مسلم (١٤٩٩)، ومحمد بن عبيد بن حساب، ومحمد بن أبي بكر المقدمي عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٢)، والطيالسي عند أحمد (٤/ ٢٤٨، وأبي عوانة (٤٧٢١، والحاكم (٤/ ٣٩٨)، ويحيى الحماني عند الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٩٠) رقم (٩٢١)، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب عند ابن مندة في «التوحيد» (٧٢٣) والإسماعيلي كما قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٥) (سبعتهم) رووه عن أبي عوانة عن عبد الملك بذكر لفظة «**لا شَخَصَ أَغْيَرُ**... »؛ فكيف يقول الخطابي: إن أبا عوانة روى هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها.

وكون الحديث مرويٌّ عن بعض الصحابة؛ كأبي هريرة رضي الله عنه وأسماء وغيرهما ليس فيه لفظ «**شخص**» ليس دليلاً على توهيم الرواة الثقات الأثبات بغير بينة وبرهان

وقد روى عبد الله بن أحمد هذا الحديث في «زوائد المسند» (٤/ ٢٤٨) من طريق عبيد الله القواريري به، ثم نقل قول عبيد الله – الثابت عنه –:

«ليس حديثٌ أشد على الجهمية من هذا الحديث قوله: «**لا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِدْحَةٌ مِنْ اللهِ عز وجل**»

وأشار ابن مندة في كتاب «التوحيد» إلى عدم انفراد أبي عوانة به فقال:

«رواه زائدة وعبيد الله بن عمرو عن عبد الملك» ثم ذكر رواية عبيد الله مسندة برقم (٧٢٤)من طريق عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك. فأين قول الخطابي «انفرد به أبو عوانة»؟»

فكأن الذي طعن في اللفظة ما راجع الكتب التي ذكرناها، فلا يعتدّ بكلامه.

وقد تلقى هذا عن الخطابي رحمه الله أبو بكر بن فُوْرَك فقال: لفظ الشخص غير ثابت من طريق السند، فإن صح فبيانه في الحديث الآخر، وهو قوله «لا أحد»، فاستعمل الراوي لفظ «شخص» موضع «أحد».

=

كما يصح إطلاق لفظ شيء على الله ﷻ

قال ﷻ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٩]

ففي هذه الآية صحة إطلاق اسم « شَيْءٍ» على الله؛ لأن قوله ﷻ:﴿اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ وقع جوابًا عن قوله ﴿ أَيُّ شَيْءٍ ﴾ فاقتضى إطلاق اسم ﴿شَيْءٍ﴾ خبرًا عن الله ﷻ ، وإن لم يرد صريحًا ، وعلى هذا لو أطلقه المؤمن على الله ﷻ لما كان في إطلاقه تجاوز للأدب ولا إثم .

وقد قال ﷻ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

=

قال ابن فُوْرَك : «منعنا من إطلاق لفظ الشخص أمور :

أحدها : أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع.

الثاني : الإجماع على المنع منه.

الثالث : أن معناه : الجسم المركب المؤلف.

قلت «محمد» : أما قوله أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع ؛ فقد تبين قبْلُ أن الخبر ثابت السند لا مطعن يعتبر فيه .

وأما قوله : «الإجماع على المنع منه «يعني الإجماع الذي حكاه ابن بطال : «أجمعت الأمة على أن الله لا يجوز أن يوصف بأنه شخص ؛ لأن التوقيف لم يرد به»

وأنا في ريب من نقل هذا الإجماع ، وقد تعقبه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٦) بقوله : «كذا قال ، والمنقول عنهم خلاف ما قال». وأما قوله: أن إثبات هذا اللفظ معناه : الجسم المركب المؤلف، فليس بصحيح إلا في التمثيل الذهني عنده وذلك ليس بلازم والله أعلم.

وقال ﷺ : «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ» فسمى القرآن شيئًا، والقرآن صفة لله سبحانه وتعالى[(١)].

لكن أنبه إلى :

أنه وإن ساغ أن يخبر عنه بشيء ونحو ذلك لكن لا يُدْعَى سبحانه وتعالى بِمِثْلِ هَـذِهِ الأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَدْحِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ : يَا شَيْءُ إذا كَانَ هَذَا لَفْظًا يَعُمُّ كُلَّ مَوْجُودٍ» كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(٢)].

فهذا يخبَر به عن الله عز وجل لا يُدْعَى به ، فلا يُدْعَى إلا بالأسماء الحسنى [(٣)].

وإنما «شيء» يرجع إلى الذات نفسها كما أشار ابن القيم رحمه الله [(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله :

«ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ؛ كالشيء والموجود والقائم بنفسه ، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا» [(٥)].

قال البخاري عقب الآية :«فسمى الله سبحانه وتعالى نفسه شيئًا ، وسمى النبي ﷺ

---

(١) وإلى هذا ذهب البخاري في صحيحه في تبويبه لحديث (٧٤١٧) .

(٢) في «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣٠١) .

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٤٢) .

(٤) في «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٦) ط نزار الباز .

(٥) «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩) .

القرآن شيئًا[١]، وهو صفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ .

وقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» :

«حَكَي اِبْن بَطَّال أَيْضًا أَنَّ فِي هَذِهِ الآيَات وَالآثَار رَدًّا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لا يَجُوز أَنْ يُطْلَق عَلَى اللَّه شَيْء،كَمَا صَرَّحَ بِهِ عَبْد اللَّه النَّاشِئ الْمُتَكَلِّم وَغَيْره» [٢].

ويجوز إطلاق المنادي على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيقال : الله ينادي ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في إثبات الكلام والصوت لله

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ**» [٣].

---

(١) في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ سَمَّاهَا» .

أخرجه رَحِمَهُ اللَّهُ تحت الباب برقم (٧٤١٧) من حديث سهل بن سعد .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٨) .

(٣) وهو حديث ثابت خرجناه في إثبات اسم الله «الديان» .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : «**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : يَا آدَمُ . فيَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**»[(١)].

ويجوز القول بأن الله سبحانه وتعالى يستخلف

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ [النور : ٥٥] .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الأنعام: ١٣٣]

وقال ﷺ : «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[(٢)].

ويجوز إطلاق الذات على الله سبحانه وتعالى فيقال : «ذات الله » أو «ذات الإله»

قال خبيب : «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ»[(٣)] ، وعلم بذلك النبي ﷺ فلم ينكره فكان جائزًا قاله الحافظ رحمه الله في

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٨٣) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٤٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٢) .

«الفتح»[١].

قال البخاري تبويبًا للخبر المشار إليه «باب ما يذكر في الذات والنعوت» .

وقال ﷺ : «**إِنَّ إِبْرَاهِيم لَمْ يَكْذِب قَطُّ إِلا ثَلاث كَذَبَات كُلّ ذَلِكَ فِي ذَات اللَّه**»[٢].

وقد ورد قول ابن عباس : «تَفَكَّرُوا فِي كُلّ شَيْء وَلا تَفَكَّرُوا فِي ذَات اللَّه»[٣].

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٦٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ، ومسلم (٢٣٧١) .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٣،٢) ، وعبد الله بن أحمد كما في «صفة العلو» لابن قدامة رحمه الله ص(١٠٦) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦١٨، ٨٨٧) من طرق عن علي بن عاصم عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله وتمامه : «فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك » ، وإسناده ضعيف من قِبَل عاصم ابن علي ووالده واختلاط عطاء .

وقد توبع والده من خالد بن عبد الله

أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» ثنا وهب بن بقية عن خالد عن عطاء به ، ولكن ليس فيه لفظ «ذات الله» اللفظ المطلوب إثباته وإنما لفظه «ولا تفكروا في الله» والمدار على عطاء الذي اختلط ، وتجويد الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٦٤) للإسناد ليس بجيد .

وقد أخرج البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الأسماء والصفات»**[١]

عن أبي الدرداء قال : لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس .

وعلى كل حال ما صح كافٍ في الإثبات للمراد ، والله أعلم .

ولفظ «الذات» في الأحاديث بمعنى «من أجل» أو بمعنى حق .

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الفتح»**[٢] **(٤٦٥/١٣)** : «اَلَّـذِي يَظْهَـر أَنَّ الْمُـرَاد جَـوَاز إِطْلاق لَفْظ ذَات لا بِالْمَعْنَى الَّذِي أَحْدَثَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ ، وَلَكِنَّـهُ غَيْـر مَـرْدُود إِذَا عُرِفَ أَنَّ الْمُرَاد بِهِ النَّفْس لِثُبُوتِ لَفْظ النَّفْس فِي الْكِتَاب الْعَزِيز»[٣].

وأنبه إلى أن الظل المنسوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ **، وهو في الحقيقة ينسب إلى الله** عَزَّوَجَلَّ **تارة وينسب إلى العرش تارة ، والظل يضاف إلى الله** عَزَّوَجَلَّ **إضافة ملك وتشريف**[٤]

فالأول :

---

(١) برقم (٦١٩) من طريق عبد الرزاق وهو في «المصنف» (٢٠٤٧٣) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء به ، وإسناده منقطع ، ولا ينفعه قول الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٦٤) : «رجاله ثقات» .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٦٥) .

(٣) يعني قول اله تعالى عن عيسى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

(٤) والحق أن الظل في الأحاديث هو ظل العرش لا ظل الرحمن ، كما سيأتي ، فالظل من صفات العرش لا صفات الرحمن .

كقول النبي ﷺ :«**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» [(١)].

وقوله ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**» [(٢)].

وفي حديث أبي اليسر عن النبي ﷺ قال :«**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ**» [(٣)].

وقد ذكر بعضهم أن المقصود بالظل هنا : ظل العرش ؛ لحديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسنادٍ حسن «**سَبْعَة يُظِلُّهُمْ اللَّه فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»... قاله الحافظ في «الفتح» .

ثم أضاف بعد سياق كلام له «فَيرْجَّح أَنَّ الْمُرَاد ظِلّ الْعَرْش» [(٤)].

قلت : ويؤيده القيد الذي ورد في الأحاديث مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً ، أَوْ وَضَعَ لَهُ ، أَظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» وإسناده ثابت صحيح[(٥)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٦٦) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٣٠٠٦) في ذكر قصة أبي اليسر بسياقها الطويل .

(٤) قاله الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٧٩) .

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) والترمذي (١٣٠٦) .

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»(١).

وفي حديث عبادة بن الصامت : «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**»(٢).

وفي حديث أبي قتادة : «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٣).

والحاصل : أن الأحاديث التي أُثبت فيها ظل لله عز وجل ورد في طرقها تقيد الظل بالعرش ، وإنما نسب إلى الله عز وجل ؛ لأن الله يملكه فنسب إليه نسبة ملك وتشريف ، والمقصود في الأحاديث : إثبات الظل للعرش وليس لله ، كما أشار الحافظ في «الفتح» (٤) .

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٨) وفي مسند أحمد (٥/ ٢٣٧) الحديث بلفظ : «الْمُتَحَابُّونَ فِي الله عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ» .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٨) بإسنادٍ صحيح .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٠) بإسنادٍ صحيح ، وأصله في «صحيح مسلم» (١٥٦٣) دون ذكر اللفظ الذي يشهد لما نحن بصدده .

(٤) وقد نقل (٢/ ١٧٨) عن عياض قال : «إضافة الظل إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو ملكه ثم قال الحافظ : كذا قال، وكان حقه أن يقول : إضافة تشريف ليحصل امتياز هذا على غيره ، كما قيل
=

وفي الأحاديث إشارة إلى أنه لا ظل يومها إلا للعرش كما في حديث معاذ ابن جبل وعبادة بن الصامت ، فيبعد بهما أن يكون ظل للعرش وظل للرحمن[١] .

فحصر الظل للعرش لا غير ، والله أعلم ، وقد فسَّر ابن رجب الحنبلي «في ظله» أي «ظل عرشه» [٢] .

وأنبه هنا على تنبيهات أخرى في هذه الأبواب أبواب الصفات :

=

للكعبة : بيت الله ، مع أن المساجد كلها ملكه ، وقيل : المراد بظله كرامته وحمايته ، كما يقال : فلان في ظل الملك ، وهو قول عيسىٰ بن دينار وقواه عياض» .

قلت «محمد» لكن الظل ثابت للعرش كما في الأحاديث ، ويبعد أن يكون هناك ظل للعرش وظل لله ؛ لقوله ﷺ : «**يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» فإنه يدل علىٰ حصر الظل لشيء واحدٍ لا غير فيحمل المطلق علىٰ المقيد في الأحاديث .

(١) وإن كان في القيامة وفي الجنة ظلال أخرىٰ لكن مقيدة بأشخاص بسبب أعمال عملوها وليست للجميع ، منها : ظل الصدقة الوارد في قوله ﷺ : «**كل امْرِئٍ فِي ظلّ صدقته حَتَّى يُقْضَى بَين النَّاس أَو قَالَ : حَتَّى يحكم بَين النَّاس**» أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧) وغيره بإسنادٍ صحيح .

وظل الشجرة الواردة في قوله ﷺ : «**إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ**» ولكن المراد بظلها كنفها ، والحديث أخرجه البخاري ومسلم (٢٨٢٦) .

(٢) «فتح الباري» لابن رجب (٥/ ٣٢) له ، وهو تفسير القرطبي للحديث كما في «التذكرة للقرطبي» بتحقيقي باب : ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها .

أولاً : لا مجال للعقل فيها، وإنما هي توقيفية كالأسماء تمامًا.

ثانيًا : مع إثبات الصفات المتقدمة ينزه أهل السنة عن الله المثل إذ ليس كمثله شيء .

ثالثًا : لم نتناول الصفات السلبية ، وإنما همنا الكلام على الصفات الثبوتية، أي : الصفات الثابتة لله ﷻ التي أثبتها الشارع له والتي لا نقص فيها .

أما الصفات السلبية التي سُلِبَت عن الله ﷻ ؛ كالنوم والسِّنة والظلم والحيف والجهل والموت والعجز والتعب والنسيان والإعياء ونحو ذلك ؛ فلسنا بصدد الكلام على ذلك . والمعتَقَد أن تُنفى عن الله ﷻ .

رابعًا : الأَحَادِيثِ بَلَغَتْنَا أَوْ لَمْ تَبْلُغْنَا اعْتِقَادُنَا فِيهَا – أهل السنة – وَفِي الآيِ الْوَارِدَةِ فِي الصِّفَاتِ : أَنَّا نَقْبَلُهَا وَلا نُحَرِّفُهَا وَلا نُكَيِّفُهَا وَلا نُعَطِّلُهَا وَلا نَتَأَوَّلُهَا وَعَلَى الْعُقُولِ لا نَحْمِلُهَا ، وَبِصِفَاتِ الْخَلْقِ لا نُشَبِّهُهَا ، وَلا نُعْمِلُ رَأْيَنَا وَفِكْرَنَا فِيهَا وَلا نَزِيدُ عَلَيْهَا وَلا نَنْقُصُ مِنْهَا بَلْ نُؤْمِنُ بِهَا وَنَكِلُ عِلْمَهَا إِلَى عَالِمِهَا كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَهُمْ الْقُدْوَةُ لَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ(١) .

تنبيه:

آيات وأحاديث وصفات نؤمن بها كما جاءت في صفة الرب من غير تشبيه ولا

---

(١) من كلام شيخ الإسلام في بيان مذهب السلف في «الاعتقاد» في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٨٥) ثم ذكر علماء السلف القائلين بذلك ؛ كمالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ فراجع كلامه .

تفسير.

وقد أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات»(٩٠١) من طريق أبي داود الطيالسي قال:

كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة: لا يحدّون ولا يشبّهون ولا يمثّلون، يروون الحديث لا يقولون: كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر.

قال أبو داود: وهو قولنا.

قلت (البيهقي): وعلى هذا مضى أكابرنا.

وأسند اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٧٤٠) عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسَّر شيئًا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارَق الجماعة.

فإنهم لم يصفُوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.

قال ابن عبد البر:

«أَهْل السُّنَّة مُجْمِعُونَ عَلَى الإِقْرَار بِهَذِهِ الصِّفَات الْوَارِدَة فِي الْكِتَاب وَالسُّنَّة، وَلَمْ يُكَيِّفُوا شَيْئًا مِنْهَا... وحكى إِمَام الْحَرَمَيْنِ فِي الرِّسَالَة النِّظَامِيَّة

قال : اِخْتَلَفَتْ مَسَالِكُ الْعُلَمَاء فِي هَذِهِ الظَّوَاهِر فَرَأَى بَعْضهمْ تَأْوِيلهَا وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَاب وَمَا يَصِحّ مِنْ السُّنَن ، وَذَهَبَ أَئِمَّة السَّلَف إِلَى الانْكِفَاف عَنْ التَّأْوِيل وَإِجْرَاء الظَّوَاهِر عَلَى مَوَارِدهَا وَتَفْوِيض مَعَانِيهَا إِلَى اللَّه تَعَالَى وَالَّذِي نَرْتَضِيه رَأْيًا وَنَدِين اللَّه بِهِ عَقِيدَة اِتِّبَاع سَلَفِ الأُمَّة لِلدَّلِيلِ الْقَاطِع عَلَى أَنَّ إِجْمَاع الأُمَّة حُجَّة فَلَوْ كَانَ تَأْوِيل هَذِهِ الظَّوَاهِر حَتْمًا لأَوْشَكَ أَنْ يَكُون اِهْتِمَامهمْ بِهِ فَوْق اِهْتِمَامهمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَة ، وَإِذَا اِنْصَرَمَ عَصْر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ عَلَى الإِضْرَاب عَنْ التَّأْوِيل كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْه الْمُتَّبَع أ.هـ[1]

قال الحافظ بن حجر بعد سياقه لأقوال السلف في التنصيص على ذلك:

تَقَدَّمَ النَّقْل عَنْ أَهْل الْعَصْر الثَّالِث وَهُمْ فُقَهَاء الأَمْصَار كَالثَّوْرِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ وَمَالِك وَاللَّيْث وَمَنْ عَاصَرَهُمْ ، وَكَذَا مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِنْ الأَئِمَّة ، فَكَيْف لا يُوثَق بِمَا اِتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْل الْقُرُون الثَّلاثَة ، وَهُمْ خَيْر الْقُرُون بِشَهَادَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَة ﷺ[2].

قال ﷺ[3]: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ**

---

(١) حكاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٩١) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٩١، ٤٩٢) فهذا هو الصواب ، وهو ينقض تأويله لبعض الصفات مما ذكرنا الرد عليه في موطنه فيما تقدم .

(٣) فيما أخرجه مسلم (٢٥٣٣) وغيره.

يَلُونَهُمْ... الحديث»[١] وقد اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ.

وقد حكى الحافظ[٢] عن الشيخ شهاب الدين السَهرَوَردي في «كتاب العقيدة» له قال:

أَخْبَرَ اللَّه فِي كِتَابه وَثَبَتَ عَنْ رَسُوله ﷺ الاسْتِوَاء وَالنُّزُول وَالنَّفْس وَالْيَد وَالْعَيْن، فَلا يُتَصَرَّف فِيهَا بِتَشْبِيهٍ وَلا تَعْطِيل، إِذْ لَوْلا إِخْبَار اللَّه وَرَسُوله مَا تَجَاسَرَ عَقْل أَنْ يَحُوم حَوْل ذَلِكَ الْحِمَى.

قَالَ الطِّيبِيُّ: هَذَا هُوَ الْمَذْهَب الْمُعْتَمَد وَبِهِ يَقُول السَّلَف الصَّالِح.

وَقَالَ غَيْره: لَمْ يُنْقَل عَنْ النَّبِيّ ﷺ وَلا عَنْ أَحَد مِنْ أَصْحَابه مِنْ طَرِيق صَحِيح التَّصْرِيح بِوُجُوبِ تَأْوِيل شَيْء مِنْ ذَلِكَ وَلا الْمَنْع مِنْ ذِكْره، وَمِنْ الْمُحَال أَنْ يَأْمُر اللَّه نَبِيّه ﷺ بِتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبّه وَيُنْزِل عَلَيْهِ ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْت لَكُمْ دِينكُمْ** ﴾ ثُمَّ يَتْرُك هَذَا الْبَاب فَلا يُمَيِّز مَا يَجُوز نِسْبَته إِلَيْهِ مِمَّا لا يَجُوز مَعَ حَضّه عَلَى التَّبْلِيغ عَنْهُ بِقَوْلِهِ «لِيُبَلِّغ الشَّاهِد الْغَائِب» حَتَّى نَقَلُوا أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَأَحْوَاله وَصِفَاته وَمَا فُعِلَ بِحَضْرَتِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ اِتَّفَقُوا عَلَى الإِيمَان بِهَا عَلَى الْوَجْه الَّذِي أَرَادَهُ اللَّه مِنْهَا، وَوَجَبَ تَنْزِيهه عَنْ مُشَابَهَة الْمَخْلُوقَات بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ فَمَنْ أَوْجَبَ خِلاف ذَلِكَ بَعْدهمْ فَقَدْ خَالَفَ سَبِيلهمْ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيق.

---

(١) والمراد بالقرن الأول: قرن الصحابة رضي الله عنهم، والثاني: قرن التابعين، والثالث: أتباع التابعين.

(٢) في «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٣).

تنبيه آخر :

إنه وإن قال العلماء : من زعم أن الله لا يتكلم ، ولا يسمع ، ولا يبصر، ولا يرضى، ولا يغضب، فهو كافر. إن رأيتموه واقفًا على بئر ، فألقوه فيها[(١)].

فهذا كلامهم في الجملة، وأما تنزيله على شخص بعينه فلا؛ لأنه ربما كان متأولاً أو جاهلاً، أو كان ثم مانع من عقوبته، كمن لم تبلغه الحجة أو نحو ذلك ، والله ﷻ يقول: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

تنبيه مهم :

إنكار بعض الغلاة الخالفين المخالفين للسلف لبعض الصفات أو الأسماء كان له أصل ، فقد وقع في زمن أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون وأنكروه .

فعن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنه وذكر عنده رجلاً[(٢)] يُحدِّث بحديث أبي هريرة رضي الله عنه يعني في وضع الجبار قدمه في النار فانتفض ، فقال ابن عباس رضي الله عنه : «ما فرق من هؤلاء يجدون عند محكمه ويهلكون عند متشابهه» [(٣)].

طريقة السلف أسلم وأحكم وأعلم وأما قول بعضهم أن طريقة السلف أسلم

---

(١) حكاه أحمد بن حنبل عن أبي معمر الهذلي كما في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٧٠)، وزاد أحمد : «بهذا أدين الله عزوجل».

(٢) وفي بعض الطرق أنه رجل من الخوارج .

(٣) صحيح : أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٩٥) ، وفي «تفسيره» (٣/ ٢٣٩) تفسير سورة ق ، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٦) ، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٩) ، وأبو الفضل المقريء في «المعجم» (١٩٣) وغيرهم من طريق ابن طاووس عن أبيه به ، وإسناده صحيح بلا شك .

وطريقة الخلف في إثبات الصفات أعلم وأحكم فقد تعقب ذلك العلماء وقالوا :

«لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ ؛ لأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ طَرِيقَة السَّلَف مُجَرَّد الإِيمَان بِأَلْفَاظِ الْقُرْآن وَالْحَدِيث مِنْ غَيْر فِقْه فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّ طَرِيقَة الْخَلَف هِيَ اِسْتِخْرَاج مَعَانِي النُّصُوص الْمَصْرُوفَة عَنْ حَقَائِقهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَات ، فَجَمَعَ هَذَا الْقَائِل بَيْن الْجَهْل بِطَرِيقَةِ السَّلَف وَالدَّعْوَى فِي طَرِيقَة الْخَلَف ، وَلَيْسَ الأَمْر كَمَا ظَنَّ ، بَلْ السَّلَف فِي غَايَة الْمَعْرِفَة بِمَا يَلِيق بِاَللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي غَايَة التَّعْظِيم لَهُ وَالْخُضُوع لأَمْرِهِ وَالتَّسْلِيم لِمُرَادِهِ»[1].

س : ما معنى الكفر في صفات الله ﷻ؟

الجواب :الكفر في صفات الله ﷻ هو إنكار ما علم ثبوته منها بعد البلاغ أو الإلحاد فيه بتحريفه عن المقصود بدون شبهة يعذر بمثلها.

ومن خالف الحق في ذلك عنادًا بعد البيان وإقامة الحجة فهو كافر غير معذور، ومن خالف في ذلك متأولاً لشبهة يعذر بمثلها فهو مخطئ معذور، ويؤجر على اجتهاده إن كان من أهل الاجتهاد[2].

تنبيه :

عدم التوسع في إطلاق عبارات تحتمل حقًا وباطلاً، كصفة «الحركة» أحسن .

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٧) .

(٢) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٣/ ١٧٤) بتصرف .

فالحافظ ابن حجر يقول في «فتح الباري» (٧/١٥٤)[١]:

معتقد سلف الأمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحويل .

وقد علق عليه الشيخ عبد الله الدويش رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال** :

اعلم أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله سبحانه ما أثبته لنفسه من صفات الكمال، وما وصفه به رسوله ﷺ ينزهونه عما لا يليق بجلاله وعظمته، ولا يتوسعون بإطلاق عبارات تحتمل حقًا وباطلاً كمثل هذه العبارات المذكورة.أ.هـ .

تنبيه :

يجوز إطلاق حابس الفيل على الله كما في قوله ﷺ «**مَا خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**» [٢].

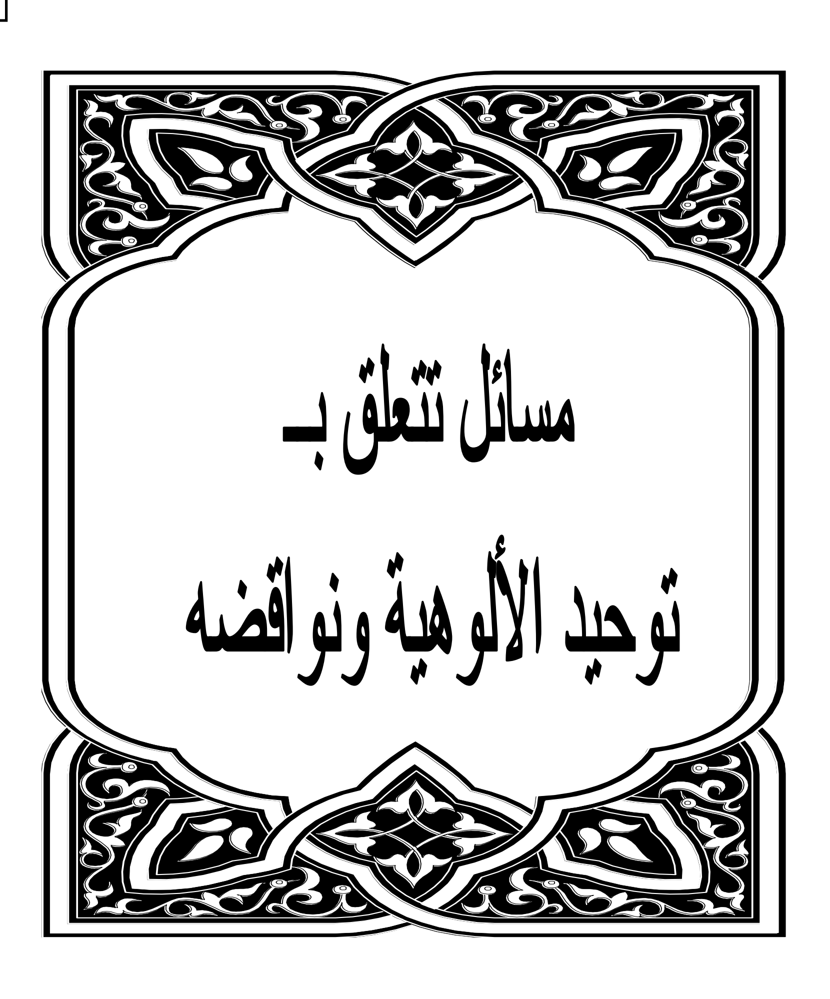
ولا يقال: حبسها أمر الله[٣].

□

(١) إلى جانب كثير في شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١) .

(٣) كما ورد عن بعضهم فراجع «فتح الباري» (٥/ ٤٠٩) .



مسائل تتعلق بـ توحيد الألوهية ونواقضه

تمهيد :

اعلم أن حاجة الإنسان ماسة إلى عبادة الله والأُنس به والشوق إليه ...

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [١]:

حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته ، ولا في خوفه، ولا في رجائه ، ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له ، ولا في الحلف به ، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها ، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته ، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ، ورضاه وإكرامه لها ،ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك ، بل ينتقل من نوع إلى نوع ، ومن شخص إلى شخص ، ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب، في وقت آخر .

وكثيرًا ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له، ولا ملذ ، بل قد يؤذيه اتصاله به ، ووجوده عنده، ويضره ذلك .

وإنما يحصل له بملابسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه ، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره ، وهو يؤثر ذلك لما له في

---

(١) كما في «طريق الهجرتين» ص(٦٩) ط دار ابن رجب .

حكها من اللذة ، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة، وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب .

والعاقل يوازن بين الأمرين ، ويؤثر أرجحهما وأنفعهما ، والله الموفق المعين ، وله الحجة البالغة كما له النعمة السابغة.

الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية

توحيد الألوهية هو توحيد العبادة لله تعالى وإفراده بها وإخلاص الدين له من توكل ومحبة وخوف وإنابة ... ونحو ذلك

والفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

أن توحيد الربوبية: فعل الرب مثل: الخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر وإنبات النبات، وتدبير الأمور، والحكم بين الناس ونحو ذلك .

وتوحيد الألوهية : فعلك أيها العبد ، مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة [1].

والربوبية والألوهية متلازمان إذا اجتمعا افترقا في المعنى ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى

فقول الملكين لصاحب القبر :«من ربك ؟» أي من إلهك الذي تعبده .

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي إلهًا .

(١) قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب انظر «مجموع رسائل في التوحيد» ص(٣٧١) ط مطابع الرياض .

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَـٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ – ٣] معني الرب : هنا أي المالك للشيء المتصرف فيه ، ومعنى الإله هنا : المعبود بحق ، المستحق للعبادة دون ما سواه .

ذلك أن توحيد الربوبية قد اعترف به المشركون ، وما نجَّاهم من العذاب المهين .

ومعنى الإله : المعبودُ بحقٍ وهو المألوه .

و الرب : بمعنى المالك للشيء وصاحبه .

مسائل تتعلق بالتوحيد

\

أول واجب على العباد :

اعلم – علمني الله وإياك – أن أول واجبٍ على العباد هو توحيد الله ﷻ لقول ابن عباس رضي الله عنهما لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ...الحديث**»[١].

والمقصود:

الإقرار بالشهادتين والقيام بالعبادة الخالصة لله تعالى .

وَقَدْ تَمَسَّكَ بلفظ «فإذا عرفوا الله»[٢] مَنْ قَالَ أَوَّل وَاجِب الْمَعْرِفَة كَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَاسْتَدَلَّ بِأَنَّهُ لا يَتَأَتَّى الإِتْيَان بِشَيْءٍ مِنْ الْمَأْمُورَات عَلَى قَصْد الامْتِثَال ، وَلا الانْكِفَاف عَنْ شَيْء مِنْ الْمَنْهِيَّات عَلَى قَصْد الانْزِجَار إِلا بَعْد مَعْرِفَة الآمِر وَالنَّاهِي .

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم ، والأدلة في ذلك كثيرة .

(٢) الوارد في رواية عند البخاري (١٤٥٨) ، ومسلم (١٩)

واعْترضَ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْمَعْرِفَة لا تَتَأَتَّى إلا بِـالنَّظَرِ وَالاسْـتِدْلال ، وَهُـوَ مُقَدِّمَـة الْوَاجِب فَيَجِب فَيَكُون أَوَّل وَاجِب النَّظَر ، وَذَهَبَ إِلَى هَذَا طَائِفَة كَابْنِ فُورَك.

وتعُقّبَ بأنَّ النَظر ذُو أَجْزَاء يَتَرَتَّب بَعْضهَا عَلَى بَعْض ، فَيَكُون أَوَّل وَاجِـب جُزْء مِنْ النَّظَر وَهُوَ مَحْكِيّ عَنْ الْقَاضِي أَبِي بَكْر بْن الطَّيِّب وَعَنْ الأُسْـتَاذ أَبِـي إِسْحَاق الإِسْفَرَايِينِيّ: أَوَّل وَاجِب الْقَصْد إِلَى النَّظَر .

وَجمَعَ بَعْضهمْ بيْن هذِهِ الأقْوال بِأَنَّ مَنْ قَالَ أَوَّل وَاجِـب الْمَعْرِفَـة أَرَادَ طَلَبًـا وَتَكْلِيفًا ، وَمَنْ قَالَ النَّظَر أَوْ الْقَصْد أَرَادَ اِمْتِثَالا ؛ لأَنَّـهُ يُسَـلَّم أَنَّـهُ وَسِـيلَة إِلَـى تَحْصِيل الْمَعْرِفَة ، فَيَدُلّ ذَلِكَ عَلَى سَبْق وُجُوب الْمَعْرِفَة... الخ.

والحاصل أنَّ وَجْه الْجَمْع بَيْن هذه الألفاظ المروية :

«**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ**» رواية مسلم (١٩) .

ورواية : «...**أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ** »المتقدمة وروايـة : «**فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ**» رواية مسـلم وفي روايـة:«... **فَـإِذَا عَرَفُـوا اللَّـهَ**» رواية مسلم .

أَنَّ الْمُـرَاد بِالْعِبَـادَةِ:التَّوْحِيـد، وَالْمُـرَاد بِالتَّوْحِيـدِ:الإِقْـرَار بِالشَّـهَادَتَيْنِ ، وَالإِشَارَة بِقَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى التَّوْحِيد، وَقَوْله: فَإِذَا عَرَفُـوا اللَّـه أَيْ عَرَفُـوا تَوْحِيـد اللَّه ، وَالْمُرَاد بِالْمَعْرِفَةِ الإِقْـرَار وَالطَّوَاعِيَـة فَبِـذَلِكَ يُجْمَـع بَـيْن هَـذِهِ الأَلْفَـاظ الْمُخْتَلِفَة فِي الْقِصَّة الْوَاحِدَة وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيق[1] .

قـال الله ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّـذِينَ مِـنْ قَبْلِـكَ لَـئِنْ أَشْـرَكْتَ**

---

(١) قاله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٣٠) .

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطاغوت ﴾

[النحل : ٣٦].

وقال ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

واعلم أن سبب كفر أكثر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو[(١)] في الصالحين ، ولذلك نهى الله ﷻ أهل الكتاب عنه فقال : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾[(٢)]

وقال ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»[(٣)] ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

(١) ومعنى الغلو : الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد ، وسواء كان الغلو في الحب أو البغض ، فكله مذموم ، ومن معاني الغلو : التشدد ومجاوزة الحد .

(٢) وقال ﷺ : «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ...» أي : لا تمدحوني ، وقد أخرجه البخاري (٣٤٤٥) ، وفي صحيح مسلم (٢٦٧٠) قوله ﷺ : «هلك المتنطعون» والمتنطع هو : المتشدد الغالي المتكلف .

ونهى ﷺ أن يُتخذ قبره وثنًا يعبد ، وهذا من أثر الغلو .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن ، وجعل من مسند الفضل ابن عباس ، وراجع «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٦٣) ، وقد صححه شيخ الإسلام في «الاقتضاء» ص (١٠٦) ، وفي «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٣) ، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٠٧) في: «فصل بعض الكبائر» .

وَنَسْرًا﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا ، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ(١) عُبِدَتْ»(٢).

وشرار الخلق عند الله عز وجل من عَبَد الله عند قبر رجل صالح .

فكيف إذا كان صاحب القبر مجهولاً أو غير صالح ؟ فكيف إذا كان في القبر رجلاً نصرانيٌّ(٣) أو معتوهٌ أو حمارٌ أو نحو ذلك ؟» فكيف إذا كان يتقرَّب

(١) يعني : زالت المعرفة بحالها .

والمعنىٰ : زالت المعرفة بهذه الأصنام أو نُسي علم تلك الصور .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) .

(٣) وخذ لذلك مثلاً : ذاك القبر المزعوم عندنا في مصر بـ «قبر الحسين رضي الله عنه» المبني عليه مسجد بل ليس من جسده شيء في مصر أصلاً ، لا جسده ولا رأسه كما هو مذكور في كتب التاريخ .

قال القرطبي في «التذكرة» ص(٧٠٥) بتحقيقي عن كون الرأس في القاهرة : «باطل لا يصح ولا يثبت» .

وبنحوه جزم شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٤٥١) ، وابن كثير في «البداية والنهاية» بتحقيقي (٨/ ٣٧٢)، بل قال شيخ الإسلام في «اختياراته الفقهية» ص(١٤٣، ١٤٤) في معرض جزمه ببطلان القبر المزعوم أنه قبر أويس القرني غربي دمشق، وقبر هود عليه السلام ، وقبر خالد بن الوليد رضي الله عنه بحمص، وقبر أبي مسلم الخولاني، وقبر علي بن الحسين الذي بمصر . ثم قال :
=

إليه بنذر أو قربان أو ذبح أو غير ذلك؟»

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ**

=

«وَمِنْهَا «مَشْهَدُ الرَّأْسِ» الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ ، فَإِنَّ الْمُصَنِّفِينَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الرَّأْسَ لَيْسَ بِمِصْرِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ . وَأَصْلُهُ أَنَّهُ نُقِلَ مِنْ مَشْهَدٍ بِعَسْقَلانَ ، وَذَاكَ الْمَشْهَدُ بُنِيَ قَبْلَ هَذَا بِنَحْوِ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً فِي أَوَاخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَهَذَا بُنِيَ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِنَحْوِ مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَالْقَاهِرَةُ بُنِيَتْ بَعْدَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِنَحْوِ ثَلاثِمِائَةِ عَامٍ : قَدْ بَيَّنَ كَذِبَ هَذَا الْمَشْهَدِ ابْنُ دِحْيَةَ فِي «الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ» وَأَنَّ الرَّأْسَ دُفِنَ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بكار . وَالَّذِي صَحَّ مِنْ أَمْرِ حَمْلِ الرَّأْسِ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّهُ حُمِلَ إلَىٰ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَىٰ ثَنَايَاهُ وَقَدْ شَهِدَ ذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَفِي رِوَايَةٍ : أَبِي بَرْزَةَ الأسلمي وَكِلاهُمَا كَانَ بِالْعِرَاقِ وَقَدْ وَرَدَ بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ أَوْ مَجْهُولٍ : أَنَّهُ حُمِلَ إلَىٰ يَزِيدَ . وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَىٰ ثَنَايَاهُ وَأَنَّ أَبَا بَرْزَةَ كَانَ حَاضِرًا وَأَنْكَرَ هَذَا . وَهَذَا كَذِبٌ ؛ فَإِنَّ أَبَا بَرْزَةَ لَمْ يَكُنْ بِالشَّامِ عِنْدَ يَزِيدَ وَإِنَّمَا كَانَ بِالْعِرَاقِ . وَأَمَّا « بَدَنُ الْحُسَيْنِ» فَبِكَرْبَلاءَ بِالاتِّفَاقِ.

قلت «محمد»:«فعل زياد هذا برأس الحسين في صحيح البخاري(٣٧٤٨) وعقاب الله له على فعلته تلك في «سنن الترمذي»(٣٧٨٠).

قَالَ شيخ الإسلام : وَقَدْ حَدَّثَنِي الثِّقَاتُ طَائِفَةٌ عَنْ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ وَطَائِفَةٌ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلَفٍ الدِّمْيَاطِيِّ وَطَائِفَةٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ القسطلاني وَطَائِفَةٌ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ : كُلُّ هَؤُلاءِ حَدَّثَنِي عَنْهُ مَنْ لا أَتَّهِمُهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِهِمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ كُلٌّ حَدَّثَنِي عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِنْ هَؤُلاءِ أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ أَمْرَ هَذَا الْمَشْهَدِ وَيَقُولُ : إنَّهُ كَذِبٌ وَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ قَبْرُ الْحُسَيْنِ وَلا شَيْءٌ مِنْهُ وَالَّذِينَ حَدَّثُونِي عَنْ ابْنِ القسطلاني ذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : «إنَّمَا فِيهِ نَصْرَانِيٌّ»... وقد علقت على هذا في هامش «التذكرة» للقرطبي ، وكتابي «تدبير الأبنية والعمران» وقد طبعا والحمد لله .

الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّه» [١].

وقد ختم النبي ﷺ حياته بالتحذير من هذا

فعن عائشة وابن عباس قالا رضي الله عنه : «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ[٢] يَطْرَحُ خَمِيصَةً[٣] لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٤] يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا .

ودعا ﷺ على من اتخذ قبور الأنبياء مساجد

فقال ﷺ : «**قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٥].

ولا يظن أن ذلك كان خاصًا بالأمم الذين من قبلنا

ففي حديث جندب رضي الله عنه مرفوعًا : «**... أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [١].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٧) ، ومسلم (٥٢٨) .

(٢) أي : جعل .

(٣) كساء له أعلام.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٥) ، ومسلم (٥٣١) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٧) ، ومسلم (٥٣٠) .

وكذلك في حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**» (٢).

وكان هذا هو آخر ما تكلم به ﷺ (٣)

ولذلك جزم كثير من العلماء بمنع أو بطلان الصلاة عند هذه القبور(٤)

=

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥) من طريق عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود به .

وإسناده جيد كما قال شيخ الإسلام في «الاقتضاء» ص(٣٣٠) وابن القيم في «إغاثة اللهفان» ص(١٨٦) .

(٣) ففي مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٥) بإسنادٍ صحيح عن أبي عبيدة بن الجراح قال : آخر ما تكلم به النبي ﷺ : «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ » .

وروي عن علي عند البزار (٣/ ١٧٧) رقم (٨٤٢) بإسنادٍ لا يصح .

وفي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلي أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ أَلا فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ....الحديث» وقد تقدم .

(٤) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ١٦٣):

اِتِّخَاذُ الْمَكَانِ مَسْجِدًا هُوَ أَنْ يُتَّخَذَ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَغَيْرِهَا كَمَا تُبْنَى الْمَسَاجِدُ لِذَلِكَ وَالْمَكَانُ الْمُتَّخَذُ مَسْجِدًا إِنَّمَا يُقْصَدُ فِيهِ عِبَادَةُ الله وَدُعَاؤُهُ لا دُعَاءُ الْمَخْلُوقِينَ.فَحَرَّمَ ﷺ أَنْ تُتَّخَذَ قُبُورُهُمْ مَسَاجِدَ بِقَصْدِ الصَّلَوَاتِ فِيهَا كَمَا تُقْصَدُ الْمَسَاجِدُ وَإِنْ كَانَ الْقَاصِدُ لِذَلِكَ إِنَّمَا يَقْصِدُ عِبَادَةَ الله وَحْدَهُ لأَنَّ ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ إلا أَنْ يَقْصِدُوا الْمَسْجِدَ لأَجْلِ صَاحِبِ الْقَبْرِ وَدُعَائِهِ وَالدُّعَاءِ بِهِ وَالدُّعَاءِ عِنْدَهُ فَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ اتِّخَاذِ هَذَا الْمَكَانِ لِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ لِئَلا يُتَّخَذَ ذَرِيعَةً إِلَى الشِّرْكِ بِالله. أ .هـ

وقال في «الاقتضاء» ص(٣٣٠) :

=

فالذين يتخذون القبور مساجد شرار الخلق ؛ لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك ، والبدع كما هو واضح في بلاد المسلمين ، فما دعوا غير الله ﷻ واستغاثوا بغير الله إلا لظنِّهم أن صاحب القبر الذي بُني عليه مسجدٌ يجوز أن يدعي ويستغاث به .

=

«المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين».

وقال في «المجموع» (٣/ ٣٩٨) :

«اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الإِسْلامِ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُشْرَعُ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَلا تُشْرَعُ الصَّلاةُ عِنْدَ الْقُبُورِ ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ الصَّلاةُ عِنْدَهَا بَاطِلَةٌ» .

وقال في «المجموع» (٢٧/ ٤٤٨) :

اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الإِسْلامِ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُشْرَعُ بِنَاءُ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ عَلَى الْقُبُورِ ، وَلا يُشْرَعُ اتِّخَاذُهَا مَسَاجِدَ وَلا يُشْرَعُ الصَّلاةُ عِنْدَهَا ، وَلا يُشْرَعُ قَصْدُهَا لأَجْلِ التَّعَبُّدِ عِنْدَهَا بِصَلاةٍ أَوْ اعْتِكَافٍ أَوْ اسْتِغَاثَةٍ أَوْ ابْتِهَالٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، كَرِهُوا الصَّلاةَ عِنْدَهَا ؛ ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ قَالَ : إنَّ الصَّلاةَ عِنْدَهَا بَاطِلَةٌ لأَجْلِ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهَا .

قلت : وأما ما وقع ذكره في «فتح الباري» (٥/ ٤٢٧) : «وفي رواية موسىٰ بن عقبة عن الزهري فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدًا » .

فهذا لا يثبت ؛ لأنه مرسل أو معضل ، ثم إن مراسيل الزهري من أضعف المراسيل كما في «الجرح والتعديل» (١/ ٢٤٦) عن يحيىٰ القطان أنه كان يقول عن مراسيل الزهري وقتادة : «بمنزلة الريح» ، ثم إنه منكر ؛ لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي مفاداها حرمة اتخاذ المساجد على القبور .

ولما كان هؤلاء تسبَّبوا في صرف العبادة لغير الله ﷻ بسبب اتخاذهم القبور مساجد ؛ استحقوا أن يطلق عليهم شرار الخلق لتسببهم في ذلك .

فإذا كان الذي في القبر المبني عليه المسجد رجلٌ صالحٌ أو نبيٌّ ؛ فإننا بذلك نكون قد تبعنا سنن المغضوب عليهم الذين ضلوا ولعنوا من اليهود والنصارى، وقوم نوح الذين جمعوا بين فتنة تعظيم القبور وتصوير الصور

وإذا كان المبني عليه القبر ليس بصالح فتلك سفاهة في الفهم والعمل نَجَّانا الله منها ، ومَن تشبه بقوم فهو منهم، ويُحشر معهم .

ومما يدل على أن الغلو في قبور الصالحين هو الذي يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله ﷻ :

ما أخرجه أحمد والحميدي وغيرهما بإسنادٍ حسن من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [(١)].

وفي رواية:«**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد**».

فمن أسباب عبادة الناس للأموات بناء المساجد والقباب على قبورهم ، ولذلك جمع النبي ﷺ بين دعائه أن لا يتخذ قبره وثنًا وبين اتخاذ القبور مساجد

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦) والحميدي (١٠٢٥) من طريق حمزة بن المغيرة الكوفي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ وإسناده حسن لحال حمزة وبقية رجاله ثقات ، وله شاهد في «الموطأ» (١/ ١٧٢) (٨٥) عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً .

في حديث واحد .

ولا يجوز التبرك بالصالحين والأولياء – إن كانوا صالحين – ولا بآثارهم ولا بفضلهم ، ولا يُقَبَّلوا بعد الموت تبركًا ، ولا تُقَبَّل قبورهم مهما كانوا من أهل الفضل والولاية [(١)].

(١) **وقد وقع في مواطن من «فتح الباري» خلاف هذا** ، ووقع خلط بين ما ورد بشأن النبي ﷺ فاستنبط منه الحافظ – عفا الله عنه – منه ما يكون مثله في أهل الفضل من الأمة، وهو خطأ ؛ لأن أهل الفضل من أمته لا يصح قياسهم عليه ﷺ.

وهذا ظاهر عمل السلف، فلم يُحفَظ عن أحدِهم التبرك بالصالحين المشهود لهم ، فكيف بغيرهم ممن هو دونهم في المنزلة والفضل ؟»

* ففي «فتح الباري» (٣/ ١٤٣) في حديث تقبيل أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ بعد موته : قال الحافظ : «وفي هذه الأحاديث جواز تقبيل الميت تعظيمًا وتبركًا» .

* وكذلك استنبط في «فتح الباري» (٣/ ١٦١) في حديث أم عطية(١٢٥٣) في تكفين زينب ابنة النبي ﷺ وفيه قوله : «فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي» ، قَالَتْ : فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ ، فَقَالَ : «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ» تَعْنِي الإِزَارَ، حيث جعله رحمه الله أصل في التبرك بآثار الصالحين.

* وفي «فتح الباري» (٣/ ١٧٢) في حديث إلباس النبي ﷺ عبد الله بن أُبي قميصه بعد ما دفن والنفث عليه من ريقه، قال :

« يؤخذ من هذا التبرك بآثار الصالحين سواء علمنا أنه مُؤَثِّرٌ في حال الميت أو لا» .

* وفي «فتح الباري» (٣/ ١٧٩) في حديث (١٢٧٧) المرأة التي جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها ... فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها ، وخرج إلى أصحابه وإنها إزاره ، فحسَّنها فلان، فقال : اكسينها ما أحسنها .
=

=

قال القوم : ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها ، ثم سألتَه وعلمتَ أنه لا يرد ، قال : إني والله ما سألته لألبسها ، وإنما سألته لتكون كفني ، قال سهل : فكانت كفنه .

قال الحافظ : «فيه التبرك بآثار الصالحين» .

* وفي «فتح الباري» (٣/ ٤٤٨) في حديث تحنيك النبي ﷺ عبد الله بن أبي طلحة

قال الحافظ : «فيه قصد أهل الفضل لتحنيك المولود لأجل البركة» .

* وفي «فتح الباري» (٥/ ٤١٦) في حديث صلح الحديبية (٢٧٣٢) وما فعله الصحابة مع رسول الله ﷺقال الحافظ : «فيه طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة» ، وهذه الخصوصية فيه واضحة.

* وفيه أيضًا (٥/ ٤١٦) نفس الموطن قال : «فيه التبرك بآثاره» .

* وفي «فتح الباري» (٦/ ٧٢٩) في حديث (٣٥٨١) لما تَعَشَّى أبو بكر ﷺ عند النبي ﷺوأبى أضيافه أن يطعموا الطعام وأن عبد الرحمن بن أبي بكر قال عن طعام أبي بكر ﷺ : «وَايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنَ اللُّقْمَةِ إِلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلُ...» فهذه البركة الحاصلة للأضياف .

قال الحافظ : «وفيه : التبرك بطعام الأولياء والصلحاء ، وفيه : عرض الطعام الذي تظهر فيه البركة على الكبار وقبولهم ذلك» .

ولم يبين – عفا الله عنه– كون ذلك من خصائص النبي ﷺ .

* وفي «فتح الباري» (٨/ ٤٢١) في شرحه لحديث صلاة النبيﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول واستغفاره له ، الحديث برقم (٤٦٧٢) وفيه : أن ولده عبد الله جاء إلى رسول اللهﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه .

قال الحافظ – بغير تخصيص ذلك برسول اللهﷺ – : «فيه جواز سؤال الموسر من المال مَن ترجي بركته شيئًا من ماله لضرورة دينية» .

=

=

* وفي «فتح الباري» (٩/ ٢٩٨) تحت شرح حديث (٥١٧٩) قولهﷺ: «أَجِيبُوا هذه الدعوةَ إذا دُعِيتم» ، وكان عبد اللهَّ يأتي الدَّعوة في العُرْسِ وغيرِ العُرْس وهو صائم .

قال الحافظ في معرض الكلام علىٰ فوائد الحضور للدعوة : «وفي الحضور فوائد أخرىٰ كالتبرك بالمدعو والتجمل به والانتفاع بإشارته ، والصيانة عما لا يحصل له الصيانة لو لم يحضر ، وفي الإخلال بالإجابة تفويت ذلك» .

قلت : كل هذا خاص بالنبي ﷺ ليس فيه ما يدل علىٰ التبرك بغيره أو بآثار غيره ، ولم يثبت أن الصحابة رضي الله عنهم تبركوا بمثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة المشهود لهم بالفضل بينهم بالإجماع ، فالهدي ما اهتدوا به ، والله أعلم .

وراجع «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١٠) .

تنبيه :

* وفي «فتح الباري» (٤/ ١١٦) في حديث أبي هريرة مرفوعًا : «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا» .

قال : وكل مؤمن له من نفسه سائق إلىٰ المدينة لمحبته في النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة ؛ لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه ، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم ، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه .

هذا استنباط بعيد ، فالتبرك بآثار الأنبياء بعد موتهم من الغلو المنهي عنه في دين الإسلام سدًا للذريعة ، فهو ذريعة إلىٰ الشرك ولم يحصل مثله ولا نحوه عند أكثر الصحابة ، وقد أشار إلىٰ النهي عنه المحدِّث الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «إنما هلك الذين من قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم» .

أخرجه عبد الرزاق (٢٧٣٤) ، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦) ، والطحاوي في «المشكل» (١٢/ ٥٤٤) بإسنادٍ صحيح ثابت كما قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١٠) عن المعرور بن سويد قال: «كنت مع

=

=

عمر رضي الله عنه بين مكة والمدينة ، فصلىٰ بنا الفجر ، فقرأ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ ، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ثم رأىٰ أقوامًا ينزلون فيصلون في مسجد فسأل عنهم ، فقالوا : مسجد صلىٰ فيه النبي ﷺ ، فقال : «إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا ، من مر بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمض» .

وفي رواية عنه عند الطحاوي في «شرح المشكل» (١٢/ ٥٤٥) بإسنادٍ صحيح أنه قال : «من أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلىٰ فيها رسول الله ﷺفليصل فيها ولا يتعمدنها» .

والوارد عن الصحابة من التبرك بآثارهﷺ مباح تدور عليه الأحكام التكليفية الخمسة.

وأما أمر فضلية الذهاب للصلاة في مسجد قباء ؛ فقد ورد فيه ما أخرجه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة المنورة» (١/ ٤٢) بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٨٦) وهو كذلك عن سعد بن أبي وقاص قال : «لأن أصلىٰ فىٰ مسجد قباء ركعتين أحب إلىٰ من أن آتىٰ بيت المقدس مرتين ، و لو يعلمون ما فىٰ قباء لضربوا إليه أكباد الإبل» .

وفي صحيح البخاري(١١٩١) عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، كَانَ لاَ يُصَلِّي مِنَ الضُّحَىٰ إِلَّا فِي يَوْمَيْنِ: يَوْمَ يَقْدَمُ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْدَمُهَا ضُحًىٰ فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ المَقَامِ، وَيَوْمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَرِهَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ فِيهِ، قَالَ: وَكَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَزُورُهُ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، وراجع الأحاديث بعده (١١٩٣، ١١٩٤)

ووجه الجمع أن هذا خاص بقباء، وأدلة أخرىٰ في المساجد الثلاثة التي يجوز لها شدّ الرحال، وأما ما عدا ذلك ؛ فعلىٰ ما قال عمر رضي الله عنه ، والله أعلم .

ولم يحفظ عن أحدٍ من الصحابة أنهم تبركوا بآثار مثل أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما أو غيرهم ممن كانوا يعتقدون فيهم الولاية والصلاح والسبق ، وقد فضلهم النبي ﷺ ولا شك أنهم القوم ، فلمَّا لم يفعلوا ولا أحدهم عُلم أنهم فهموا من هذه الأدلة الخصوص بالنبيﷺ .

* وفي «فتح الباري» (٣/ ٥٧٨) في شرح حديث ابن عمر (١٦٠٩)

=

نعم يجوز التبرك بمكان صلاته ﷺ ونحو ذلك إذا أمنت ذريعة الشرك

كما في حديث عتبان بن مالك أن النبي ﷺ أتاهُ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ : «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟**» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ فَكَبَّرَ النبي ﷺ وَصَفَفْنَا

=

«لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين» عقب أخبار فيها استلام الأركان كلها .

قال الحافظ : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره .

فأما تقبيل يد الآدمي ؛ فيأتي في «كتاب الأدب»، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم ير به بأسًا واستبعد بعض أتباعه صحة ذلك .

ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني - أحد علماء مكة من الشافعية - جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين ، وبالله التوفيق أ .هـ .

قلت«محمد»: وأنت ترى يرحمك الله بُعد الاستنباط ، ولا يقبل شيء إلا بدليل .

وأغرب من هذا قول الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٥١) في حديث عتبان بن مالك لما دعى النبي ﷺ ليصلي في بيته في مكان يتخذه بعد ذلك مصلى وأجابه ﷺ : يستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليُتبرك به أنه يجيب إذا أُمن الفتنة .

وقوله أيضًا (١/ ٦٥٢) : فيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه ويتبرَّكوا به .

وهذا فيه نظر ؛ فالحديث دليل على أن ذلك للنبي ﷺ، فلا يقاس عليه غيره لتفاوت ما بينهما من الفضل، وقد تقدَّم قول مر رضي الله عنه - إن كان ثمَّ من آثار الأنبياء شيء أصلاً- .

وقد علق الشيخ ابن باز بنحو ما ذكرته وزاد فقال : «ولأن فتح هذا الباب قد يفضي إلى الغلو والشرك كما وقع من بعض الناس نسأل الله العافية» .

خَلْفَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ» أخرجه البخاري (٤٢٤) .

كذا استأذن النبي ﷺ؛ لأنه دُعي ليتبرك صاحب البيت بمكان صلاته عليه الصلاة والسلام ، فسأل ليصلي في البقعة التي يحب تخصيصها بذلك كما قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٤٦) نفسه – رحمه الله – .

وفي رواية أنه قال: وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...الحديث**»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥) .

وقد ورد ما يدل على المراد في عدة أحاديث في الصحيح .

ففي صحيح البخاري (١٢٤١) «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ... الحديث » .

وفي صحيح البخاري (١٢٦٩) «لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ».

وحديث (١٢٧٠) «عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنه أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ» .

وفي صحيح البخاري(١٢٧٧) أن رجلاً سأل النبي ﷺ البردة لتكون كفنه.

وفي صحيح البخاري (١٥٠٢) عن أنس رضي الله عنه قال: «غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ لِيُحَنِّكَهُ ، فَوَافَيْتُهُ... الحديث» .

وفي صحيح البخاري (٢٧٣٢) حديث صلح الحديبية، وفيه: «أن النبي ﷺ مَا تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا

=

=

تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ» ، قال الحافظ : «فيه التبرك بآثاره »وفي صحيح البخاري(١٨٧١) بنحوه سيأتي .

وقد أخرج البخاري (٦٢٨١) عَنْ أَنَسٍ ﷺأَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطَعًا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ، قَالَ: فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ، سك : هو طيب مركب، وفي النهاية طيب معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل، قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةُ أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ» .

وفي ذكر الشَعْر غرابة في هذه القصة كما قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٨٤) **وزاد** : «وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره عند الترجل» .

ثم رأيتُ في رواية محمد بن سعد ما يزيل اللبس ، فإنه أخرج في «طبقاته» (٨/ ٣١٥) والبزار(٧٣١٤) بسندٍ صححه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٨٤) وهو كذلك على شرط مسلم عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ لما حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعره فأتى به أم سليم فجعلته في سُكها.

قالت أم سليم : «وكان يجيء فيقيل عندي على نطع وكان معرقًا، فجعلت أسلت العرق ...الحديث» .

فيستفاد من هذه الرواية أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى الشعر الذي عندها ، لا أنها أخذت من شعره لما نام .

وفي رواية مسلم (٢٣٣١) في نفس الحديث قال أنس : «... فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ**» قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ» .

=

وقد قال عبد الله بن أحمد عن والده:سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺويتبرَّك بمسِّه ويقبِّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرُّب إلى الله عز وجل، فقال :«لا بأس بذلك»[١]

وقد استدل الإمام أحمد بفعل ابن عمر على الجواز.

=

فكأنه ﷺ صوَّب ما صنعت، فإنه سكت إقرارًا .

وفي رواية إسحاق بن أبي طلحة عند مسلم أنها قالت : نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا ، قَالَ : «**أَصَبْتِ**» .

وعَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : قُلْتُ : لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ ، فَقَالَ : لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . أخرجه البخاري (١٧٠)

وفي صحيح البخاري (١٨٧) عن أبي جحيفة قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ» .

وفي (٥٠١) «فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَمَسَّحُونَ بِوَضُوئِهِ» .

وفي صحيح البخاري (١٩٤) قول جابر : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ الْمِيرَاثُ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلالَةٌ ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ .

(١) «العلل»(٣٢٣٤).

أعني ما أخرجه ابن حبان [(١)] بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَتَتَبَّعُ آثَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُلُّ مَنْزِلٍ نَزَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَّمَ يَنْزِلُ فِيهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَجِيءُ بِالْمَاءِ، فَيَصُبُّهُ فِي أَصْلِ السمرة كي لا تيبس.

قال أحمد : أما على هذا فلا بأس.

قال: ورخص فيه. ثم قال: ولكن قد أفرط الناس جدًّا وأكثروا في هذا لمعنى، فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده.[(٢)]

وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله – يعني أحمد بن حنبل –: قبر النبي صلى الله عليه وسلم يمس ويتمسح به؟ فقال: ما أعرف هذا. قلت له: فالمنبر؟ فقال: أما المنبر فنعم قد جاء فيه. قال أبو عبد الله: شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر: أنه مسح على المنبر.[(٣)]

قلت«محمد»: الحمد لله لم يعد من هذه الآثار شيء إلا على سبيل التخرُّص.

ولا يجوز التبرك بالنبيﷺ ولا يُدعى بعد مماته ، ولا يُخصص بالاستغفار عند قبره كما يَفعل الجهال ، أما الاستدلال بقوله ﷻ :

---

(١) برقم (٧٠٧٤).

(٢)وانظر«اقتضاء الصراط المستقيم»(٢/ ١٤٣)

(٣) المصدر السالف(٢/ ٢٤٤).

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .على ذلك فلا

إذ إن ذلك المجيء إنما كان في حال حياته لا بعد مماته ؛ لأن الأحاديث بينت أنه يقال له يوم القيامة : «**إِنَّك لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**» .

فظهر من ذلك أنه لا علم له بحال الأحياء إلا ما خصه الدليل من كون الله تعالى يرد عليه روحه حتى يرد عليه السلام لا غير .

فكيف يخاطب خطاب الأحياء وهو في قبره ﷺ ؟» ثم إن الخلفاء فمن بعدهم لم يثبت أن واحدًا منهم جاءه بعد موته وشكى له ظلمه لنفسه ، أو أنه تعمد الاستغفار لله تعالى عند قبره الشريف ﷺ ، ألا فالفهم ما فهموه ي .

وَجُل استدلالات من أجاز التبرك استدلالاته متهاوية متهافتة ، تهافتها واضح ظاهر لا لبس فيه ، ولا يستحق تسويد الورق بالمداد به ، والله أعلم .

كالاستدلال بقوله ﷻ عن التابوت : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

إذ المقصود : إما «هارون وموسى ﻋﻠﻴﻬﻤﺎ السلام» و «آل» مقحمة للتعظيم ، وإما أن إتيان الملائكة بآثار ذلك كعلامة على مُلْكِ من أرسله الله ليكون له الملك عليهم في الجهاد في سبيل الله ، لإثبات تفضيله عليهم بالعلم والتأييد من

الملائكة.

فأين هنا التبرك بآثار الصالحين رضي الله عنهم ؟» ولو صح في الأنبياء – مع كونه ربما لا يكون شرعًا لنا – فلا يصح قياس الصالحين عليهم .

وما يروى عن العلماء كالشافعي أنه تبرك بثوب الإمام أحمد أو أبي حنيفة فلا يصح نسبة ذلك إليه .

وقد أدرك الشافعي من هم أجل من أحمد ؛ كمالك وابن عيينة ، ولم يتبرك بآثار أحد منهم ، وقد نص في كتبه على كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة والضلال.

وأنبه إلى أن تَبَرُّك الصحابة بذاته وآثاره ﷺ في حياته لا يناقض التوحيد ؛ لأن هذا الفعل ليس من باب الغلو المذموم ، وإلا لما أقرهم الرسول ﷺ على فعله

فَثَمَّ صور من تبرك الصحابة رضي الله عنهم

قالت عائشة رضي الله عنها : «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا» [1] .

وفي صحيح مسلم [2] عن أنس قال : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا فَرُبَّمَا

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠١٦) ، ومسلم (٢١٩٢) .

(٢) برقم (٢٣٢٤) وبوب النووي له بباب : قرب النبي × من الناس وتبركهم به .

جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا» .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :«لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ» (١).

وفي صحيح البخاري عن أبي جحيفة : «وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنْ الْمِسْكِ» (٢) .

وتقدم ذكر تبرك الصحابة بشعره ﷺ وريقه وثيابه وعرقه .

وفي صحيح مسلم(٣) عَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأنصاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ ، ثُمَّ قَالَ : لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «السُّفْلُ أَرْفَقُ» فَقَالَ : لاَ أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا ، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلْوِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقِيلَ لَهُ لَمْ يَأْكُلْ فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَحَرَامٌ هُوَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لاَ وَلَكِنِّى أَكْرَهُهُ**» ، قَالَ : فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ أَوْ مَا كَرِهْتَ... الحديث» .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٥) .

(٢) صحيح البخاري: (٣٥٥٣) .

(٣) برقم (٢٠٥٣) .

وإذا جاز لبعض الصحابة رضي الله عنهم أن يتبركوا ببعض آثاره ﷺ ؛ كشعره أو ثيابه أو خاتمه أو آنيته ﷺ ، فإن هذه الآثار الآن قد فُقدت مع طول الزمن وكثرة الحروب؛ وربما دُفنت مع أصحابها تبركًا أو غير ذلك .

والمقصود: أنها اندرست، وما يدَّعيه الكذبة من بعض آثار النبيﷺ عند مسجد الحسين في مصر أو غيرها فلا يثبت صحة أنه سيفه ولم يبق لها أثر فانقطع التبرك الآن بآثاره ﷺ تمامًا.

وأما الصالحون؛ فلا يُتَبَرَّك بآثارهم قياسًا عليه؛ لأن هذا قياسًا فاسدًا ؛ إذ هو قياس مع الفارق ، والله أعلم .

وكذلك التبرك ، بغيره بل لا يُتعمد شدُّ الرحال إلى قبره ، لكن يشد الرحال إلى مسجده ، فإذا ذهب المرء إلى المسجد فإنه يذهب إلى قبره ويسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، كما كان الصحابة يفعلون كما جزم شيخ الإسلام رحمه الله ، ولا يستقبل الغير بالدعاء ، وزيارة قبره ﷺ ليست واجبة باتفاق العلماء[1]، وما يُزعَم أنه من آثار رسول الله ﷺ في أيامنا باطل كذب لا دليل عليه.

ثم إن سدّ باب التبرك بآثار النبي ﷺ - إن وجدت - هو من باب سد ذرائع الشرك ، وقد سدّه التابعون فمن بعدهم من الصالحين فلم يكونوا يتبركون بآثار الصحابة رضوان الله عليهم ، وعليه درج مَن بعدهم رضي الله عنهم ، فلم يأت أنهم تمسحوا بآثار الصحابة أو العلماء بشيء قبله منهم أهل العلم .

(١) فيما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوىٰ» (٢٦/٢٧) .

وأخرج ابن إسحاق[١] في باب كشف جثة دانيال النبي والبيهقي[٢] في«الدلائل» عن أَحْمَد بْن عَبْدِ الْجَبَّار، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَار، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ، قَالَ: لَمَّا افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي بَيْتِ مَال الْهُرْمُزَانِ سَرِيرًا عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ لَهُ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه، فَدَعَا لَهُ كَعْبًا، فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، أَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ. قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا. فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ: مَا كَانَ فِيهِ؟ فَقَالَ: سِيرَتُكُمْ، وَأُمُورُكُمْ، وَدِينُكُمْ، وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ. قُلْتُ: فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ؟ قَالَ: حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا، لِنُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاسِ لَا يَنْبُشُونَهُ، فَقُلْتُ: وَمَا تَرْجُونَ مِنْهُ؟ قَالَ: كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حُبِسَتْ عَلَيْهِمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ. قُلْتُ: مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: دَانْيَالُ ، فَقُلْتُ: مُذْ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ مَاتَ؟ قَالَ: مُذْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ تَغَيَّرَ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا شُعَيْرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ، إِنَّ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ، وَلَا تَأْكُلُهَا السِّبَاعُ.[٣]

---

(١) في«السيرة»ص٦٦.

(٢) في«دلائل النبوة»(١/ ٣٨١).

(٣) وإسناده حسن،وقد صححه ابن كثيرفي«تاريخه»(٢/ ٢٠)وعلق على أنه إن كان محفوظاً فليس هو النبي دانيال...،وعلَّق ابن القيم عليه في «الإغاثة»(١/ ٢٠٣) بما حاصله أنه لو كان الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين،أو ما شابه ذلك ما فعل الصحابة به مثل ذلك.

والأموات لا يسمعون الأحياء إلا فيما خصَّه الدليل وقيَّده بوقت معين .

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وقوله ﷻ فيمن يدعون غير الله ﷻ أمواتًا وغيرهم : ﴿ **إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر : ١٤] .وهذا نفي مطلق .

وأما سماع أهل قليب بدر من مشركي مكة ؛ فأحياهم الله ﷻ لرسوله ﷺ توبيخًا لهم

وحديثهم رواه ابن عمر رضي الله عنه قال:«اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ : «**وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا**».فَقِيلَ لَهُ:تَدْعُوأَمْوَاتًا فَقَالَ : «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ**» [١].

أخرجه البخاري في «الجنائز» وزاد في المغازي:

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا [٢].

فأسمع الله كفار قريش الذين حاربوا رسول الله ﷺ في غزوة بدر لحِكمَة من الحِكَم التي أرادها الله ﷻ .

وأما سماع الميت حين يوضع في قبره الوارد في حديث أنس رضي الله عنه عن

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٠) .

(٢) راجع صحيح البخاري (٣٩٧٦) .

النبي ﷺ قال : «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ – حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ... الحديث**» (١).

فهذا الحديث يدل على حماية النبي ﷺ جناب التوحيد ، تقيد سماع الميت بوقت مخصوص خصه الدليل وشبهه في ذلك .

وقد أمر النبي ﷺ بمحو الشرك وأصله ، وحذّر من الذرائع المؤدية إليه

كما في حديث علي بن أبي طالب ﷺ لأبي الهياج الأسدي قال له : «أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ» (٢).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**(٣)**، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٣٨) ، ومسلم (٢٨٧٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٦٩) .

(٣) أي : بترك الصلاة فيها ، وقد أمر ﷺ بالصلاة فيها ؛ لئلا تكون قبورًا فقال : «اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا» أخرجه البخاري (٤٣٢) ، ومسلم (٧٧٧) ، وهو دال على أن القبور هي التي لا يصلى فيها .

كُنْتُمْ»[١].

فلا يُجعل قبره ﷺ عيدًا بتكرار المجيء إليه ، والدعاء عنده ، والاجتماع إليه بصفة متكررة – كما تتكرَّر الصلاة – أو الصلاة عنده أو الاستغاثة ، والاستعانة به ...والأحاديث المتقدمة في ثناياها سد ذرائع الشرك .

فينبغي أن لا يعظَّم قبر ولا يغرس ولا تبنى عليه القباب ونحو ذلك مما يكون ذريعة إلى الشرك .

ولئن كان النبي ﷺ نهى أن يتخذ قبره عيدًا ، وهو أفضل وأشرف قبر على وجه الأرض ؛ فقبر غيره من باب أولى عند أولي الألباب .

ومن حماية النبي ﷺ حِمى التوحيد وسدَّه لجميع طرق الشرك الموصلة إليه :

ما رواه عبد الله بن الشخير قال :جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**السَّيِّدُ اللَّهُ**» قَالَ : أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلا يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ**»[٢].

(١) وهو حديث حسن : أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) وغيره من طريق عبد الله بن نافع عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وعبد الله بن نافع «حسن الحديث» ، وبقية رجاله ثقات ، ولذلك حسنه شيخ الإسلام في «الاقتضاء» ص(٣٢١) والشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد» ص(١١٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤) بإسنادٍ صحيح وجود إسناده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد» ص(٢٨٦) .

كذا خشي ﷺ أن يشرك مع الله به ، فنهى ﷺ عن ذلك[١] .

وفي حديث أنس ﷺ : أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ : يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى أنا محمد بن عبد الله عبده ورسوله**» [٢].

وقال ﷺ : «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» .

والمعنى : ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ .

وهذا من باب سد الذرائع التي قد توصل الناس إلى الغلو، ثم إلى الشرك[٣].سد رسول الله ﷺ جناب الشرك

---

(١) مع أنه قال : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كما في صحيح مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٧ ، ١٠٠٧٨) بإسناد صحيح ، وقد جوَّده الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب «التوحيد» ص (٢٨٧) .

(٣) ومن ذلك قول رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي : «أَلا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ ؟ فَنَفَرْتُ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَا لَنَا» أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ، ومسلم (٢٤٧٦) .

وذو الخلصة : كانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية ، فأزال النبيﷺ ما يفتتن به الناس من بناء وغيره.
=

وتصوير ذوات الأرواح حرام لا يجوز تصويرها ، سواء كان التصوير باليد أو بأي آلة إذا كان المصوَّر من ذوي الأرواح؛

لقوله ﷺ :«**قَالَ اللَّهُ ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً**»[(١)] .

فالمصوِّرون من أظلم الناس ، وهم أشد الناس عذابًا في النار

قال ﷺ : «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ**»[(٢)] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**»[(٣)] .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»[(٤)] .

=

وكذلك أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمس الصور كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسلم (٩٦٩).

وتبعه أصحابه رضي الله عنهم كما ورد عن ثمامة بن شُفي قال : «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ – وهي جزيرة بأرض الروم – فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا ، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا» أخرجه مسلم (٩٦٨) .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٥٩) ، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ، ومسلم (٢١٠٧) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢١١٠) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٦٣) ، ومسلم (٢١١٠) .

وسواء كان التصوير تصويرًا لما له ظل أم لا؛ لأن الأحاديث عامة.

وأصحاب هذه الصور الذين صوَّروها يعذبون يوم القيامة و، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم[١].

ووجود الصور في البيت يمنع دخول الملائكة ، وإن كانت مُخَبَّأة ، إلا ما دعت إليه الضرورة – والضرورة تقدر بقدرها – .

لقول النبي ﷺ : «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةٌ**» [٢].

وأما دليل منع الملائكة من الدخول حتى وإن كانت الصور مخبأة.

فقد أخرجه مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه:« وَاعَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِى سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ ، فنظرالنبي ﷺ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ : «**يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَا هُنَا؟**» ، فَقَالَتْ : «وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ» ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**وَاعَدْتَنِى فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ**» فَقَالَ : «مَنَعَنِى الْكَلْبُ الَّذِى كَانَ فِى بَيْتِكَ» .

ومن سد ذرائع الشرك :

نهيه ﷺ عن العبادة في مكان يعبد فيه غير الله

---

(١) كما قال ﷺ في صحيح البخاري (٥٩٥١) ، ومسلم (٢١٠٧) فإنه قال ﷺ : «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٢٢) ، ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة .

كما في حديث ثابت بن الضحاك قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ[1]، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ**»، قَالُوا: لاَ، قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ**»، قَالُوا: لاَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»[2].

ومن ذلك: نهيه ﷺ عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة لا لقبر ولا لغيره؛

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[3].

ومن ذلك:

نهيه ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها منعًا من التشبه بالمشركين

ففي حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَحَرَّوْا بِصَلاَتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلاَ غُرُوبَهَا**»[4].

---

(١) موضع بين الشام وديار بكر. قاله أبو عبيد، وقال البغوي: أسفل مكة دون يلملم، انظر «عون المعبود» (٩/ ١٠١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٥١) وإسناده صحيح، وله شاهد بمعناه، وله شاهد من حديث ميمونة بنت كردم اليسارية رضي الله عنها عن أبيها عند ابن ماجة (٢٠٣٠)، وأحمد (٦/ ٣٦٦) بنحو من معناه.

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨٣)، ومسلم (٨٢٨) وزاد مسلم: «فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ شَيْطَانٍ».

وفي رواية لمسلم من حديث عمرو بن عبسة : «**فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ... الحديث**» [١].

ومنها : النهي عن الحلف بغير الله كما ذكرنا دليله في موطنه

والنهي عن تعليق التمائم في قوله ﷺ : «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»[٢].

وفي صحيح البخاري الأمر بقطع أَيِّ قلادة من وتر في رقبة ، أي بعير[٣].

والنهي عن التشاؤم بقوله ﷺ : «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ[٤] وَلاَ صَفَرَ[٥]**» [٦].

ومن ذلك : النهي عن التسمي بملك الأملاك كما بينا دليله

قال ﷺ : «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ**» متفق عليه .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٣٩٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦) بإسنادٍ حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) انظر صحيح البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥) من حديث أبي بشير الأنصاري .

(٤) فيه تأويلان : أَحَدهمَا : هِيَ الطَّائِر الْمَعْرُوف مِنْ طَيْر اللَّيْل وَقِيلَ : هِيَ الْبُومَة وَالْعَرَب كانت تَتَشَاءَم منها وتقول : أنَّهَا كَانَتْ إِذَا سَقَطَتْ عَلَىٰ دَار أَحَدهمْ رَآهَا نَاعِيَة لَهُ نَفْسه ، أَوْ بَعْض أَهْله وَالثَّانِي : أَنَّ الْعَرَب كَانَتْ تَعْتَقِد أَنَّ عِظَام الْمَيِّت ، أو رُوحه تَنْقَلِب هَامَة تَطِير ، وَهَذَا هو تَفْسِير أَكْثَر الْعُلَمَاء ، وَهُوَ الْمَشْهُور ، انظر «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٢١٥) .

(٥) هي دَوَابّ فِي الْبَطْن ، وَهِيَ دُود وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي الْبَطْن دَابَّة تَهِيج عِنْد الْجُوع ، وَرُبَّمَا قَتَلَتْ صَاحِبهَا ، وَكَانَتْ الْعَرَب تَرَاهَا أَعْدَىٰ مِنْ الْجَرَب . انظر المصدر السابق .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٥٧) ، ومسلم (٢٢٢٠) .

ومن ذلك النهي عن إتيان العرافين وسؤالهم أو التداوي عندهم

لقوله ﷺ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[١].

كل هذا ورد عن النبي ﷺ ؛ لسد الذرائع المؤدية إلى الشرك بكل صوره ، والله الموفق .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٣٠) .

السحر وحرمته

والسحر حق ثابت وجوده ، - من أنكره أنكر معلومًا من الدين بالضرورة - يُخشى عليه

وقد سُحِرَ النبي ﷺ - ولا يقدح ذلك في نبوته ، بل فيها تأييد لنبوته ورسالته- وقد نجاه الله بآيات يرقى بها المسحور من أمته إلى يوم القيامة.

قالت عائشة رضي الله عنها :سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ، ثُمَّ قَالَ : «**أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلَانِ ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ[1] . قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ . قَالَ : فِي مَاذَا قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ[2] وَجُفِّ[3] طَلْعَةٍ ذَكَرٍ . قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**»[4].

وقد قال ﷻ : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ [الفلق : ٤] .

وقد نجَّا الله ﷻ نبينا ﷺ من كيد الكائدين ، وأنزل المعوذتين اللتين ما تعـوذ

---

(١) أي مسحور .

(٢) هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط ، وقد ورد في بعض الروايات «مشاطة» بالطاء .

(٣) هو وعاء طلع النخل ، وهو الغشاء الذي يكون عليه ، ويطلق على الذكر والأنثى ، وقيد هنا بالذكر.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) .

المتعوِّذ بمثلهما ، وبرأ نبيه من السحر ، وشفاه ، وعافاه ، وقرَّبه ، وحباه ، وكان من الحكم الإلهية ؛ أننا تعلمنا أن النبي ﷺ بشرٌ يُصيبه ما يُصيب البشر ليتم لنا الائتساء بقوله ﷻ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

فمن منن الله ﷻ علينا بسبب سحر نبينا ﷺ : أن الشرع دلّنا على كيفية الرقية إذا أُصيب المسلم بسحر .

ولم يؤثِّر السحر عليه فيما يتعلَّق بنسيان أو التقصير في شيء مما يتعلَّق بالرسالة.

ومزاولة السحر حرام يؤدي إلى الكفر ولا يفلح صاحبه ، ولا خير في تعلمه إن لم يكن تعلّمه حرامًا أصلاً وفتنة ، وقد أجمع السلف وأصحاب الحديث على تحريمه

قال ﷻ : ﴿ **وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ [طه : ٦٩] .

وقال ﷻ عن هاروت وماروت : ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

واعلم

أن الساحر كافرٌ ، ولذلك حُكم بقتله كما سيأتي .

وليعلم متناول السحر وغيره أن السحر من المهلكات

قال ﷺ : «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ ﷺ : «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»(١). متفق عليه(٢)

وتلبُس الشيطان ببدن المصروع ثابت بكيفية تتعلق بعلم الغيب لا ندري كيفيتها

قال الله ﷻ : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾(٣) [البقرة : ٢٧٥] .

---

(١) وقد قال الصابوني رحمه الله في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» ص (٨١) : «يشهدون – يعني أهل السنة والجماعة – أن في الدنيا سحرًا وسحرة ، إلا أنهم لا يضرُّون أحدًا إلا بإذن الله ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، ومن سُحِر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضرّ أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر بالله ﷻ ، وإذا وصف ما يكفر به استُتيب ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه ، وإن وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يُفهَم نُهِي عنه ، فإن عاد عُزِّر ، وإن قال : السحر ليس بحرام ، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله ؛ لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه . أ.هـ.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (٨٩) .

(٣) وشرح كيفية التلبيس أو الجزم بمكان الجني من الإنسان ، أو أنه خرج ودخل ، أو أنه القرين ، أو أنه قسيس ، أو أنه امرأة ، أو رجل أو طفل من تُرُّهَات المعالجين من التخرص والقول بغير علم بل كذب ، فقد قال تعالى عن الشيطان وعلاقته ببني آدم : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] أم أن المعالج ليس من بني آدم ؟».

وفي هذا الباب مذلة أقدام ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، والله الموفق .

والساحر كافر، حده ضربة بالسيف على عنقه ؛ لإراحة الناس من كفره وشره ، وعلى ذلك عمل الصحابة الكرام ﭫ الذين طهَّروا الأرض من رجس الكفار ، وإليه ذهب جمهور العلماء – فلا كثر الله من أمثال هؤلاء الأشرار–

فعن ابن عمر ﭭ أن جَارِيَة لحفصة سحرتها ، وَاعْترفت بذلك ، فَأمرت بهَا عبد الرَّحْمَن بن زيد فَقَتلهَا ، فَأنْكر ذَلِك عَلَيْهَا عُثْمَان ، فَقَالَ ابْن عمر : مَا تنكر عَلَى أم الْمُؤمنِينَ من امْرَأَة سحرت وَاعْتَرَفت ؟» فسكت عثمان[(١)].

وعَنْ جُنْدُبٍ الْبَجَلِيِّ : أَنَّهُ قَتَلَ سَاحِرًا كَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ثُمَّ قَالَ : ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[(٢)]

وجاء النهي عن تعلم علم النجوم وعدم التعلق بها فلا يعلق شيئًا عليها[(٣)]

لقوله ﷺ : «**مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ إِلا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ مَا زَادَ زَادَ**»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ :

(١) صحيح : أخرجه عبد الرزاق (١٨٧٤٧) والبيهقي (٨/ ١٣٦) . ولعل عثمان أنكر عليها تنفيذها الحدود بغير إذن السلطان ؛ لأن عمر أمير المؤمنين أمر بقتل كل ساحر ، كما عند عبد الرزاق (١٠/ ١٨٠) بإسناد صحيح ، وكان هذا ضمن كتابه الذي أرسله إلى الأحنف بن قيس ولم يُنكر عليه منكر .

(٢) أخرجه البيهقي (٨/ ١٣٦) بإسناد ثابت ، وانظر «تبصير النساء» (٥/ ٤٢٧) الطبعة الأولى

(٣) وهي التي تسمىٰ في الصحف بالأبراج والحظّ والبخت ونحو ذلك .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧) ، وأبو داود (٣٩٠٥) من طريق الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس ﭭ ، وصحح إسناده شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٣).

فَقَدْ صَرَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ مِنْ السِّحْرِ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّـهُ ﷻ : ﴿ **وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ وَهَكَذَا الْوَاقِعُ ؛ فَإِنَّ الاسْتِقْرَاءَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ النُّجُومِ لا يُفْلِحُونَ ؛ لا فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ[١].

وقد قال ﷺ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَـهُ صَـلاَةٌ أَرْبَعِـينَ لَيْلَةً**»[٢].

وقد أخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح عن طاووس عن ابـن عبـاس رضي الله عنهما قال: إن قوما يحسبون أبا جاد[٣] وينظرون في النجوم ، ولا أرى لمن فعـل ذلـك من خلاق[٤].

وكيف يكون له خلاق وهو يدعي المعرفة بعلم الغيب وينـازع رب العـالمين في انفراده به ؟» نعوذ بالله من الضلال .

وقد خَلَقَ الله هَذِهِ النُّجُـومَ لِـثَلاَثٍ : زِينَـةً لِلسَّـمَاءِ ، وَرُجُومًـا لِلشَّـيَاطِينِ ، وَعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَـا ، فَمَـنْ تَـأَوَّلَ فِيهَـا بِغَيْـرِ ذَلِـكَ أَخْطَـأَ وَأَضَـاعَ نَصِـيبَهُ ،

---

(١) انظر «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٣) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٣٠) .

(٣) أي حروف الهجاء ، فيكتبون الحروف ويضمونها إلى بعض ، ويقولون : يقع كذا ويقع كذا ، فسرها الشيخ ابن باز رحمه الله في «شرحه كتاب التوحيد» .

(٤) صحيح : أخرجه عبد الرزاق (١٩٨٠٥) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٥١٩٦) و«الكبرىٰ» (٨/ ١٣٩) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه به .

وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ[١].

وتصديق الكهان – وهو من يدعي علم الغيب – يقطع الصلة بين العبد وربه ، ويؤول بالإنسان إلى الكفر ؛

ولذلك قال النبيّ ﷺ فيما رواه مسلم عن بعض أزواج النبيّ ﷺ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[٢].

وهذا محمول على ما لو صدقه .

فقد ورد هذا القيد في الرواية عند أحمد ، فإنها بلفظ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»[٣].

وفي أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه قال : «مَنْ مَشَى إِلَى سَاحِرٍ، أَوْ كَاهِنٍ ، أَوْ عَرَّافٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». وإسناده صحيح موقوفًا[٤].

---

(١) كذا قال قتادة رحمه الله ، وقد رواه عنه البخاري معلقًا تعليقًا مجزومًا به في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٧١) عنه بإسناد صحيح

(٢) صحيح : تقدم

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٦٨) وغيره بإسناد قوي ، وصفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر راوية الحديث «ثقة» على الراجح .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢) وابن الجعد في «الجعديات» (٢٥٥٤) وغيرهما من طريق

=

وقد ورد في الباب حديثٌ مرفوعٌ إلى النبيّ ﷺ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**».

وفي رواية : «**فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»[١].

ولم لا يكون الأمر كذلك وتصديقهم دليل على الانسلاخ من الأوامر

=

أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن عبد الله بن مسعود . وإسناده ثابت ، وقد جوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) وقال :

«ومثله لا يُقال بالرأي ، وهو كذلك» .

وقد روي مرفوعًا بإسنادٍ غير سالم .

وله طريق آخر موقوفًا أخرجه عبد الرزاق (١٩٣١) عن محمد بن المثنىٰ عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله قال : «من أتىٰ كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ » ، وإسناده صحيح أيضًا .

(١) إلا أن في أسانيد المرفوع مقال ، ويُصححه بعض أهل العلم ، وليس ببعيد فله شواهد كثيرة محتملة للتقوية ، وقد قوىٰ بعضها الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) وغيره ، واستُشْكل التكفير فيه ، والبراءة مما أنزل علىٰ محمد ﷺ التي هي في رواية أحمد (٢/ ٤٠٨) .

وثم شيء آخر ؛ وهو أن ثَمَّ معارضة بين عقوبة من تعاطي شيئًا من هذا ، بينما في الأحاديث التي هي أصح منه فيها تقييد العقوبة بعدم قبول صلاته أربعين يومًا فقط»

ويمكن أن يجمع بين الوعيدين بأن تحمل الأحاديث علىٰ حالين ، فعدم قبول صلاته لكونه ذهب ولم يصدقه، وتصديقه للساحر يستلزم عدم القبول لصلاته ؛ لأنه كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ وصار بتصديقه لكاهن بريء من القرآن وأحاديث الرسول ﷺ التي أفادت النهي عن تصديقه، وهذا الجمع غير سالم ؛ لكون التقييد ورد في رواية أحمد بالتصديق ، وليس في التكفير ، والله الموفق .

الشرعية الآمرة بعدم تصديقهم، والأخبار التي أفادت انفراد عالم الغيب به سبحانه ، وأنه لا يُظهِر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء العرَّافون والكهنة والمنجمون والرَّمَّالون ونحوهم ليسوا من الرسل، بل هم أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام .

أما لو لم يصدقه السائل ، فيظهر أنه لا يجوز أن يذهب إليهم أصلاً تحقيرًا لشأنهم، وتناسيًا واحتقارًا لهم، وإعراضًا عنهم إماتةً لشأنهم، لأن سؤالهم وسيلة إلى تصديقهم وتعظيم قدرهم والأدلة السالفة تفيد تحريم الذهاب إليهم أصلاً .

وأحيانًا يخبر الساحر بأمور حق ؛ فكيف يَتوصَّل إليها الساحر مع أن من صدق بأن الكاهن أو الساحر يعلم الغيب فهو كافر فضلاً عن أن يدعيه هو ؟

أجاب النبيّ ﷺ بقوله :

«إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِك، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟، قَالُوا : الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا

يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ» [١] .

فيصدق الناس الكلمات الكثيرة بسبب واحدة صحيحة ، وإنما أطْلَع الله هؤلاء على مثل هذا امتحانًا للعباد ليُفتَن من قَدَّم نَظَرَه على الوحي الذي قال له : إنه «كذوب»، وليحيي من حيي عن بينة، فلا ينبغي الاغترار بخبر صدق يأتي به هؤلاء، بل الواجب عدم الإصغاء إليهم وإن صَدَقوا أحيانًا .

لكن أهل السنة يعتقدون أن السحر لا يضر أحدًا إلا بإذن الله ، ومن اعتقد بأن السحر يضر أو ينفع بغير إذن الله فقد كفر لمخالفته .

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

ومن اعتقد إباحته وجب قتله إن استتيب فلم يتب ؛ ذلك لأن المسلمين أجمعوا على تحريمه كما تقدم، وممن قال باستتابة الساحرالإمام الصابوني[٢] .

وهل يجوز حل السحر بالسحر ؛ كأن يحل المعقود عن زوجته بالسحر ؟ وإذا كان لا يجوز ؛ فكيف يحل المعقود عن زوجته ؟

الجواب :

لا يجوز حلّ السحر بالسحر ؛ لأن في ذلك تقرُّب كل من الساحر والمسحور له أو الساحر وحده إلى الشيطان بنوع معين من أنواع العبادات

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٠١) .

(٢) فراجع كتاب «اعتقاد السلف» ص ٨٠ وشرحي لكتاب« التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب

فيدُلّه الشيطان على ما يخفى عليه ، وهذا ما يسمى بالنُّشْرَة[(١)].

وفي سنن أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ[(٢)] فَقَالَ : «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[(٣)].

وقال سعيد بن المسيب في النُّشرة : لا بأس بها[(٤)].

وهذا محمول على النُّشرة بالطرق الشرعية التي هي الرقية بأم الكتاب ، وآية الكرسي المنفِّرة للشيطان ، والمعوذتين اللتين نزلتا في مثل ذلك ، وسورة البقرة

---

(١) وسميت النشرة ؛ لأنها تنشر ما طواه الساحر وتفرِّق ما جمعه ، وهي ضرب من الرقية والعلاج الذي يُعَالَج به من كان يظن أن به مس من الجن .

(٢) النَّشرة بالضم : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن ، سميت نُشرةً ؛ لأنه يُنشر بها عنه ما خامدة من الداء ، أي : يُكشف ويُزال ، قاله ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ١٢٨) .

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٦٨) وغيره عن أحمد عن عبد الرزاق عن عقيل بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر مرفوعًا ، وإسناده صحيح لولا أن ابن معين ذكر أن رواية وهب عن جابر صحيفة .

قلت : الصحيفة مقبولة الرواية لكن إذا كانت مع ثقة.

وقد جوَّد إسناد الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «التوحيد» ص١٤٥ .

وقد رواه عبد الرزاق (١٩٧٦٢) موقوفًا من نفس الطريق ، لكن فيه همام بن منبه بدلاً من وهب.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٤) من طريق مسكين بن بكير عن شعبة عن أبي رجاء عن الحسن عن أنس مرفوعًا .

لكن رواه أبو داود في «المراسيل» (٤٥٣) من طريق علي بن الجعد عن شعبة عن أبي رجاء عن الحسن مرسلاً ، وصحح البيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٥١) إرساله .

(٤) أخرجه ابن الجعد في «الجعديات» (٩٤٨) بإسناد صحيح عنه .

التي لا تستطيعها السحرة ونحو ذلك .

ولو أُخذت ورقات السدر الأخضر (النبق) فدُقَّت وجُعلت في ماء وقُـريء عليها من القرآن بعض ما تقدم مع وضع اليد في الماء أثناء القراءة ، فلا محظـور في ذلك .

وقد جربناه كثيرًا ووجدناه نافعًا ولله الحمـد ، ولا بـأس بالرقيـة إذا كانـت بالعربية ما لم تكن شركًا كما أشار النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (٢٢٠٠) .

وقـد قـال بـه بعـض العلمـاء كمـا وجـد في كتـب وهـب بـن منبـه عنـد عبدالرزاق[١]

والطيرة شرك : لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**». ثَلاَثًا [٢] .

---

(١) في المصنف (١١/ ١٣) ، وراجع «إعـلام المـوقعين» لابـن القـيم (٤/ ٣٩٦) ط دار الجيـل وقـال عبدالرزاق (١٩٧٦٥) : قال معمر : في الرجل يجمع السحر يغتسل به إذا قرأ عليه القرآن ، فـلا بأس به .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٠) ، وأحمد (١/ ١٨٩) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩) ، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٠) من طريق الثوري عن سلمة بن كهيل عن عيسىٰ بن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به .

وتابعه شعبة عند الحاكم (١/ ٦٤) ؛ فرواه عن سلمة به ، وإسناده صحيح رجاله ثقات ، وقد أشار الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٤٥) إلىٰ رواية علىٰ وجه آخر بإسنادٍ آخر فيها وهم قبيح .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[١].

ومقصود الحديث :

الطِّيَرَةُ شِرْكٌ عَلَى مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ فِيهَا ومعنى قَـوْل عَبْـدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا جَرَتْ بِـهِ الْعَـادَةُ، وَقَضَتْ بِهِ التَّجَارِبُ، لَكِنَّهُ لا يُقِرُّ فِيهِ بَلْ يُحْسِنُ اعْتِقَادَهُ أَنْ لا مُـدَبِّرَ سِـوَى اللهِ تَعَالَى، فَيَسْأَلُ اللهَ الْخَيْرَ وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ وَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ مُتَوَكِّلا عَلَـى اللهِ ﷻ[٢].

وَإِنَّمَا جَعَلَ النبيّ ﷺ ذَلِكَ شِرْكًا لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يَجْلِـب نَفْعًـا أَوْ يَـدْفَع ضُرًّا ، فَكَأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهُ مَعَ اللَّه تَعَالَى ، وَقَوْل ابن مَسـعُودٍ ﷺ «وَلَكِـنَّ اللَّـه يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» إِشَارَة إِلَى أَنَّ مَنْ وَقَعَ لَهُ فَسَـلَّمَ لِلَّـهِ وَلَـمْ يَعْبَـأ بِـالطِّيَرَةِ أَنَّـهُ لا

(١) أي ما منا من أحدٍ إلا ويتطيَّر إلا أن الله يذهب أثر هذا بالتوكل عليه ، أو قد حكىٰ البيهقي في «الشعب» (٢/ ٦١) عقب حديث (١١٦٧) عن الإمام أحمد قال «وما منا إلا ... بعد قوله «الطيرة شرك» هذا مدرج من قول عبد الله بن مسعود ﷺ ، وليس من قول النبيﷺ .

وقال المزي في «تهذيب الكمال» ترجمة عيسىٰ عن الترمذي أنه سأل البخاري قال : كان سليمان ابن حرب يقول في هذا : «وما منا إلا...» هذا عندي من قول ابن مسعود ، وقد حكاه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٣) عن الترمذي ، وبه جزم ابن القيم فقال في «المدارج» (٢/ ٤٩٢) ط دار الكتاب العربي وغيره فقال : هذه الزيادة مدرجة في الحديث من قول ابن مسعود وجاء ذلك مبينًا وعزا - رحمه الله - آخر الحديث لابن مسعود في «الحادي» ص ١٧٩ .

(٢) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٦١) .

يُؤَاخَذ بِمَا عَرَضَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ[١].

والحاصل: أن صاحب الهمة والعزيمة: لا يتقيَّد بتخويف أو تحزين أو صدٍّ عن المطالب [٢]، ولا يصرف إليه همته ، وإذا سمع ما يسرّه استبشر وقوي رجاؤه وحَسُن ظنه، وحمد الله وسأله إتمامه واستعان به على حصوله ، وإذا سمع ما يسوءَه : استعاذ بالله ووثق به وتوكل عليه ولجأ إليه والتجأ إلى التوحيد ، وقال «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك ، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» [٣].

فالمؤمن لا يتطير ؛ فإن التطير شرك ولا يصده ما سمع عن مقصوده وحاجته ؛ بل يتوكل على الله ﷻ ويثق به ويدفع شر التطير عنه .

وكفارة من ردَّته الطيرة عن حاجته ؛ أن يعترف أن لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خيره ﷻ

وقد أخرج الإمام أحمد بإسناد يحسن إن شاء الله من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ**» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ لا**

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٢١٣) ط. المعرفة .

(٢) ومن جعل هذا نصب قلبه وعلق به همته كان ضرره به أكثر من نفعه .

(٣) قاله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٢ – ٤٩٣) بتصرف يسير جدًا .

خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ وَلا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[1].

والبعد عن الألفاظ الشركية والكفرية واجب وسد ذرائع الشرك مطلب شرعي فمن الإيمان أن ينسب الإنسان ما أصابه من الخير لفضل الله ﷻ لا لأسباب يقع عندها الفعل.

قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] .

وفي الصحيحين عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟**» . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) ، وابن وهب في «الجامع» (٦٥٨) لكن في الإسناد ابن لهيعة ، وفيه مقال ، وإن روى عنه ابن وهب – أحد العبادلة – وروايته عنه مستقيمة.

وروى ابن وهب في «الجامع» عقب (٦٣٩) رواية إسنادها صحيح عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس عن أبي عبد الرحمن الحُبلي عن فضالة بن عبيد بلفظ : «من ردته الطيرة فقد قارف الشرك» ، وظاهر الإسناد الصحة .

وقد أشار الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٣) إلى رواية له عن عبد الله بن عمرو موقوفًا بلفظ : «من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ولا رب لنا غيرك .

قلت : أخرج ذلك ابن أبي شيبة (٩/ ٤٥) ط عوامه عَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَن نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ كَعْبٌ لِعَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو : هَلْ تَطَيَّرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ ؟ قَالَ : أَقُولُ اللَّهُمَّ لاَ طَيْرَ إلاَّ طَيْرُك ، وَلاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرُك ، وَلاَ رَبَّ لَنَا غَيْرَك ، قَالَ : أَنْتَ أَفْقَهُ الْعَرَبِ .

وأخرج (١٠/ ٤٤٣) عن محمد بن الحسن قال : ثنا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ، عَن غَيْلاَنَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ كَانَ إذَا نَعَبَ الْغُرَابُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لاَ طَيْرَ إلاَّ طَيْرُك ، وَلا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُك ، وَلا إلَهَ غَيْرُك .

أَعْلَمُ . قَالَ : «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي**(١) **وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(٢).

والطعن في نسب الناس والتعيير بالأمهات ، والتفاخر بالعائلات والأصهار

---

(١) وقد اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كُفْرِ مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا عَلَى قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا هُوَ كُفْرٌ بِاللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَالِبٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ مُخْرِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ قَالُوا وَهَذَا فِيمَنْ قَالَ ذَلِكَ مُعْتَقِدًا أن الكوكب فاعل مدبر منشىء لِلْمَطَرِ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَزْعُمُ وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ وَالشَّافِعِيُّ مِنْهُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ قَالُوا وَعَلَى هَذَا لَوْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مِنَ اللهَّ تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ وَأَنَّ النَّوْءَ مِيقَاتٌ لَهُ وَعَلَامَةٌ اعْتِبَارًا بِالْعَادَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ مُطِرْنَا فِي وَقْتِ كَذَا فَهَذَا لَا يَكْفُرُ وَاخْتَلَفُوا فِي كَرَاهَتِهِ وَالْأَظْهَرُ كَرَاهَتُهُ لَكِنَّهَا كَرَاهَةُ تَنْزِيهٍ لَا إِثْمَ فِيهَا وَسَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّهَا كَلِمَةٌ مُتَرَدِّدَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ فَيُسَاءُ الظَّنُّ بِصَاحِبِهَا وَلِأَنَّهَا شِعَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ وَالْقَوْلُ الثَّانِي فِي أَصْلِ تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُرَادَ كُفْرُ نِعْمَةِ اللهَّ تَعَالَى لِاقْتِصَارِهِ عَلَى إِضَافَةِ الْغَيْثِ إِلَى الْكَوْكَبِ وَهَذَا فِيمَنْ لَا يَعْتَقِدُ تَدْبِيرَ الْكَوْكَبِ وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ الرِّوَايَةُ الْأَخِيرَةُ فِي الْبَابِ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَكَافِرٌ وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ. شرح النووي على صحيح مسلم(٢/ ٦٠ ،٦١).

قلت«محمد»:الرواية الأولى أخرجها الطبراني في«الدعاء»(٩٦٣) بإسنادٍ لا يصح لإرساله، والرواية الثانية بمعناها في صحيح مسلم (٧٢) ولفظه:« مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا» وَفِي حَدِيثِ الْمُرَادِيِّ: «بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا» وفي رواية:« أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ. يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ » فقوله ع ذلك يدل على أن المقصود كفر النعمة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨٤٦) ، ومسلم (٧١) .

والأقارب والآباء والأمهات والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الأموات من أمور الجاهلية التي طمسها الإسلام ، وكذلك الفخر بالأحساب ؛ لأن رفعة الإنسان إنما تكون بعمله ، أما عمل غيره مما تلبس به من خير وشجاعة وكرم ونحو ذلك ، فليس إلا لصاحبه

ففي حديث أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**». وَقَالَ : «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[1].

ولما عير أبو ذر غلامه بأمه الأعجمية وقال له : يا ابن السوداء ، قال له ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[2].

وهذا الإسلام الحنيف قد أذهب عنّا عُبِّيَّة الجاهلية وفخرَهم بأقوامهم وآبائهم .

فلئن فخرت بآباء لهم نسبٌ قلنا صَدَقْتَ ، ولكن بئسما ولدوا .

والمحبة والطاعة والموالاة والمعاداة ينبغي أن لا تكون إلا لله ﷻ ولرسوله ﷺ والمؤمنين ، وأما المحبة لغير الله ؛ فإن المودة يوم القيامة بهم مقطوعة .

والأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، فتثمر هذه المحبة تقديم الشرع على كل رأي من هوى ورجال وولاة وغير ذلك .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩٣٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) .

قال الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] [(١)] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ

---

(١) فالمحبة الشركية : هي المحبة مع محبة الله تعالىٰ ؛ لأنه لا يمكن أن توجد محبة لأحد لذاته إلا لله تعالىٰ، ومحبة الله هي محبة تقتضي ذلاً وتعظيمًا ، فإذا أحب الإنسان شيئًا كمحبته لله تعالىٰ وكانت المحبة بينهما متساوية فهذا شرك المحبة .

قال ﷻ عن الكفار في النار : ﴿ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧، ٩٨] .

وقال ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] يعدلون بربهم غيره.

وتعلق العبد بما سوىٰ الله مضرة عليه إذا أخذ منه القدر الزائد علىٰ حاجته في عبادة الله ...

واعلم أن كل من أحب شيئًا لغير الله فلابد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سببًا لعذابه ولهذا كان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، يمثل لأحدهم كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يأخذ بلهزمته يقول: أنا كنزك ، أنا مالك، كما أشار شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ»(١/ ٢٨) وهذا في حديث النبي ﷺ كما في صحيح البخاري(١٤٠٣) ومسلم(٩٨٨) .

إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١].

وهذه المحبة المذكورة هي التي تجلب للمحب حلاوة الإيمان التي لا يعدلها لذة ونعيم وحلاوة.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٢].

وقال ﷺ: «**لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ، لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»[٣].

الولاية لله تعالى

والولي لله سبحانه وتعالى هو المؤمن التقي، وهذا هو الفاضل الكريم على الله عز وجل

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وَإِذَا كَانَ "أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عز وجل هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ**

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٤١).

أَوْلِيَاؤُهُ إلا الْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وَالنَّاسُ يَتَفَاضَلُونَ فِي الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَهُمْ مُتَفَاضِلُونَ فِي وِلايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ كَمَا أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ...»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في درجة إيمان الأولياء:

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ إيمَانًا مُجْمَلا ، وَأَمَّا الإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ فَيَكُونُ قَدْ بَلَغَهُ كَثِيرٌ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ بَعْضُ ذَلِكَ فَيُؤْمِنُ بِمَا بَلَغَهُ عَنْ الرُّسُلِ وَمَا لَمْ يَبْلُغْهُ لَمْ يَعْرِفْهُ ، وَلَوْ بَلَغَهُ لآمَنَ بِهِ ؛ وَلَكِنْ آمَنَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إيمَانًا مُجْمَلا فَهَذَا إذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهِ مَعَ إيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ مِنْ وِلايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ إيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ وَمَا لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْهُ مَعْرِفَتَهُ وَالإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ بِهِ فَلا يُعَذِّبُهُ عَلَى تَرْكِهِ؛ لَكِنْ يَفُوتُهُ مِنْ كَمَالِ وِلايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ فَمَنْ عَلِمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ وَآمَنَ بِهِ إيمَانًا مُفَصَّلا وَعَمِلَ بِهِ فَهُوَ أَكْمَلُ إيمَانًا وَوِلايَةً لِلَّهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مُفَصَّلا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ؛ وَكِلاهُمَا وَلِيٌّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[(٢)].

وليس من شرط الولاية أن يكون الولي عالماً بكل علوم الشريعة معصومًا لا يغلط ولا يخطئ ولا ينسى؛

لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجوَّز عن أخطاء الأمة ، وما نسيه الشخص ، فيمكن أن يخطئ

(١) كما قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٨٦) بتصرف .

(٢) المصدر السابق (١١/ ١٨٨، ١٨٩) وذكر لذلك أدلة فليراجعها من شاء .

العبد ثم يستغفر ويغفر الله ﷻ له ، بل ربما يكون بعد مقارفة الذنب أحسن وأعظم حالاً ومآلاً .

قال ﷻ : ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقد قال ﷺ : «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[١] فأخطأ وهو من أهل الاجتهاد .

والحاصل :

أن أولياء الله ﷻ تجب موالاتهم ، وتحرم معاداتهم ، كما أن أعداءه تجب معاداتهم ، وتحرم موالاتهم .

قال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٥ ، ٥٦] .

وقد وصف الله ﷻ أحباءه الذين يحبهم ويحبونه بأنهم أذلة على المؤمنين

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) .

أعزة على الكافرين .

قال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

جعلنا الله ﷻ من أوليائه الذين لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة .

وأهل السنة: يثبتون الكرامات لا ينفونها ويؤمنون بوجودها ، فكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضوع والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية وممن تابعهم، لكن كثيرًا ممن يدعيها أو تُدَّعي له يكون كذابًا أو ملبَّسَاً عليه .

وأيضًا : فإنها لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله ، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره من الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين ،كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء : أمطري فتمطر، وللأرض:أنبتي فتنبت، كما قال ﷺ- فيما يرى الناس- وأنه يقتل واحدًا ثم يحيه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة كما سيأتي في ذكر

أحواله إن شاء الله[١].

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء، ومشى على الماء، لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى يُنظَر وقوفه عند الأمرِ والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

وكرامات أولياء[٢] الله ﷻ إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في

---

(١) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (٢/ ٤٦٠).

(٢) والكرامة: أمر خارق للعادة يظهره الله ﷻ علىٰ يد عبد حَيٍ من عباده الصالحين إكرامًا له، فيدفع به عنه ضرًا أو يحقق له نفعًا أو ينصر به حقًا وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد، كما أن الأنبياء لا يملكون أن يأتوا بالمعجزات من عند أنفسهم كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. وقد أشير إلىٰ ذلك في «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (١/ ٥٧٤) وقد حصلت كرامات لبعض من مات، والله الموفق.

والفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة يعم كل خارق للعادة ويسمىٰ ذلك آيات وهي للنبي ﷺ، أما الكرامة؛ فلا تكون إلا خارقة للعادة في كثير من الأحيان وتحصل للولي والنبي.

قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٧٣): المشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقًا، لكن استثنىٰ بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء، فقال: ولا يصلون إلىٰ مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك، فإن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك، قد كثر جدًا حتىٰ صار وقوع ذلك **ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي، ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن**
=

الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل : «انشقاق القمر» ، و«تسبيح الحصى في كفه»، وغير ذلك مما لابد من الإيمان به .

وكرامات الصحابة والتابعين وبعض أهل الأمم الماضية من أولياء الله ﷻ الصالحين كثيرة مثل :

تسليم الملائكة على عمران بن حصين، وقصة جريج العابد[(١)]،وإضاءة العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر[(٢)] وغيره ، ودنو الملائكة كهيئة الظلة فيها المصابيح تستمع لقراءته [(٣)].

أكل خبيب بن عدي من قطف عنب وما في مكة ثمرة وهو محبوس للقتل[(٤)]، وتبشير أبي بكر بأن ما في بطن امرأته خارجة أنثى وقد مات ولم تكن ولدت قبل[(٥)]، ثم ولدت بعد موته ابنة سميت أم كلثوم ، وهي التي تزوجها طلحة بن عبيد الله.

=

وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك ، فإن كان متمسكًا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ، ومن لا فلا، وبالله التوفيق .

(١) وهي في صحيح البخاري (١٢٠٧) ، ومسلم (٢٥٥٠) .

(٢) وهذا ثابت صحيح عند أحمد (٣/ ١٩٠).

(٣) وهذا في صحيح مسلم (٧٩٦) ، والبخاري (٥٠١٨) معلقًا .

(٤) وهذا في صحيح البخاري (٤٠٨٦) .

(٥) كما في موطأ مالك ص(٧٥٢) واللالكائي في «كرامات الأولياء» (٦٩) بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين .

ونداء عمر رضي الله عنه على سارية بن زنيم أميره في الجهاد فسمعه سارية ، وكان في العراق[١] ، وإجابة دعوة سعد بن أبي وقاص وغير ذلك مما احتمل الصحيح من ذلك مؤلف خاص ، وفي الباب مؤلفات[٢] .

ومن بيان الفوارق بين «كرامات الأولياء» و«الأحوال الشيطانية»

أَنَّ " كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ : سَبَبُهَا الإِيمَانُ وَالتَّقْوَى ، وَالأَحْوَالُ الشَّيْطَانِيَّةُ : سَبَبُهَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَقَدْ قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فَالْقَوْلُ عَلَى

---

(١) وهذا عند أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٥٥) بإسنادٍ حسن .

(٢) وقد طبع لأحد إخواننا طلبة العلم حسن بن العربي سدَّده الله ووفقه وجعله هاديًا مهديًا «الصحيح من كرامات الأولياء» والحمد لله .

فالكتب مشحونة بالضعيف الذي اشتهر على ألسنة القصاص اشتهارًا لم تناله الكرامات الصحيحة السند ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد صحت أحاديث كثيرة فيها كرامات لبعض الأولياء.

والمقصود هنا :

أن من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات تحدث للأولياء المتقين.

وقد اشتهر عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقًا ، لكن إنما تكون لمن اتبع الشرع ظاهرًا وباطنًا فصدق غَيبه والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات لا للذين لهم مكاشفات شيطانية من السحر والدجل والشعوذة ونحو ذلك .

اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَالشِّرْكُ وَالظُّلْمُ وَالْفَوَاحِشُ قَدْ حَرَّمَهَا اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ فَلا تَكُونُ سَبَبًا لِكَرَامَةِ اللَّهِ ﷻ بِالْكَرَامَاتِ عَلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ لا تَحْصُلُ بِالصَّلاةِ وَالذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بَلْ تَحْصُلُ بِمَا يُحِبُّهُ الشَّيْطَانُ وَبِالأُمُورِ الَّتِي فِيهَا شِرْكٌ كَالاسْتِغَاثَةِ بِالْمَخْلُوقَاتِ أَوْ كَانَتْ مِمَّا يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى ظُلْمِ الْخَلْقِ وَفِعْلِ الْفَوَاحِشِ فَهِيَ مِنْ الأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ لا مِنْ الْكَرَامَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ[1] .

فَمَا كَانَ سَبَبُهُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ فَهُوَ مِنْ خَوَارِقِ أَعْدَاءِ اللَّهِ لا مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَمَنْ كَانَتْ خَوَارِقُهُ لا تَحْصُلُ بِالصَّلاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالدُّعَاءِ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ عِنْدَ الشِّرْكِ : مِثْلُ دُعَاءِ الْمَيِّتِ وَالْغَائِبِ أَوْ بِالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ وَأَكْلِ الْمُحَرَّمَاتِ : كَالْحَيَّاتِ وَالزَّنَابِيرِ وَالْخَنَافِسِ وَالدَّمِ وَغَيْرِهِ مِنْ النَّجَاسَاتِ وَمِثْلِ الْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ ؛ لا سِيَّمَا مَعَ النِّسْوَةِ الأَجَانِبِ والمردان وَحَالَةُ خَوَارِقِهِ تَنْقُصُ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَتَقْوَى عِنْدَ سَمَاعِ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ فَيَرْقُصُ لَيْلا طَوِيلا فَإِذَا جَاءَتْ الصَّلاةُ صَلَّى قَاعِدًا أَوْ يَنْقُرُ الصَّلاةَ نَقْرَ الدِّيكِ وَهُوَ يَبْغُضُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَيَتَكَلَّفُهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَحَبَّةٌ وَلا ذَوْقٌ وَلا لَذَّةٌ عِنْدَ وَجْدِهِ وَيُحِبُّ سَمَاعَ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَيَجِدُ عِنْدَهُ مَوَاجِيدَ . فَهَذِهِ أَحْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ ؛ وَهُوَ مِمَّنْ يَتَنَاوَلُهُ قَوْلُه ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [الزخرف : ٣٦] [2].

---

(١) انظر «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٨٧) .

(٢) انظر المصدر السابق (١١/ ٣٠٢) .

ولا يجوز تهنئة الكفار بأعيادهم .

فقد نهى الله ﷻ المؤمنين أن يوالوا اليهود وغيرهم من الكفار ولاء ود ومحبة وإخاء ونصرة، وأن يتخذوهم بطانة ولو كانوا غير محاربين للمسلمين .

لقوله ﷻ : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

أما إذا كانوا أصحاب معروف على المسلمين وحصل منهم منافع مباحة معهم من بيع وشراء وهدايا وهبات ونحو ذلك فهؤلاء لسنا منهيون عن مقابلتهم بنفس صنيعهم مع بغض عقائدهم وما هم عليه من الكفر المبين .

وفي ذلك قوله ﷻ : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة : ٨ ، ٩][١] .

(١) انظر «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٢/ ٦٥) بتصرف يسير .

أما الكفر بالله ﷻ المتمثل في أعيادهم وشعاراتهم ؛ فلا نُقرُّهم عليه ، ولا نهنئهم به ؛ لأن تهنئتنا لهم والحالة هذه يعتبر من الرضا بما هم عليه من الكفر، وفيه تكثير لسوادهم بين المسلمين ، وهي فتنة عظيمة وتمييع لعقيدة المسلمين وتعاليم الإسلام تخالف مراسَمهم ، بل لا نُمكنهم من إلقاء كلماتهم على المسلمين لئلا يثيروا شبهات عليهم ، ويُلبِّسوا عليهم دينهم .

وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» (٤٣٦/٣)

«لا يجوز للمسلم تهنئة النصارى بأعيادهم ؛ لأن في ذلك تعاونًا على الإثم وقد نهينا عنه قال ﷻ : ﴿ **وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] كما أن فيه توددًا إليهم وطلبًا لمحبتهم وإشعارًا بالرضى عنهم وعن شعائرهم وهذا لا يجوز ، بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيين بغضهم ؛ لأنهم يحادّون الله ﷻ ويشركون معه غيره ويجعلون له صاحبة وولدًا قال ﷻ : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال ﷻ : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾

[الممتحنة : ٤] .

وانظر إلى هذا الأثر الذي أخرجه عبد الرزاق بإسناده [(١)] عَنْ أَسْلَمَ مولى عمر عَنْ عُمَرَ حِينَ قَدِمَ الشَّامَ صَنَعَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى طَعَامًا ، فَقَالَ لِعُمَرَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَجِيئَنِي وَتُكْرِمَنِي أَنتَ وَأَصْحَابُكَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الشَّامِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنَّا لاَ نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ مِنْ أَجْلِ الصُّوَرِ الَّتِى فِيهَا يَعْنِى التَّمَاثِيلَ .

وثم كلام جامع للإمام ابن القيم في هذا رجوت إن نقلته برمَّته – مع طوله – أن يكون له الأثر البالغ للقراء الكرام – في تهنئة أهل الكفر – بزوجة أو ولد أو قدوم غائب أو عافية أو سلامة من مكروه ونحو ذلك قال :

« اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي ذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ فَأَبَاحَهَا مَرَّةً وَمَنَعَهَا أُخْرَى، وَالْكَلَامُ فِيهَا كَالْكَلَامِ فِي التَّعْزِيَةِ وَالْعِيَادَةِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنْ لِيَحْذَرِ الْوُقُوعَ فِيمَا يَقَعُ فِيهِ الْجُهَّالُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى رِضَاهُ بِدِينِهِ، كَمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: مَتَّعَكَ اللَّهُ بِدِينِكَ أَوْ نَيَّحَكَ فِيهِ، أَوْ يَقُولُ لَهُ: أَعَزَّكَ اللَّهُ أَوْ أَكْرَمَكَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَأَعَزَّكَ بِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا فِي التَّهْنِئَةِ بِالْأُمُورِ الْمُشْتَرَكَةِ.

وَأَمَّا التَّهْنِئَةُ بِشَعَائِرِ الْكُفْرِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَحَرَامٌ بِالِاتِّفَاقِ مِثْلَ أَنْ يُهَنِّئَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ وَصَوْمِهِمْ، فَيَقُولَ: عِيدٌ مُبَارَكٌ عَلَيْكَ، أَوْ تَهْنَأُ بِهَذَا الْعِيدِ، وَنَحْوَهُ، فَهَذَا إِنْ سَلِمَ قَائِلُهُ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُهَنِّئَهُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٦١١) ومن طريقه ابن المنذر في «الأوسط» (٢/ ١٩٣) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٨) ، والبيهقي (٧/ ٢٦٨) وعلقه البخاري عقب حديثه مجزومًا به في «باب الصلاة في البيعة» وراجع «تغليق التعليق» (٢/ ٢٣٢) والأثر ثابت .

بِسُجُودِهِ لِلصَّلِيبِ، بَلْ ذَلِكَ أَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ وَأَشَدُّ مَقْتًا مِنَ التَّهْنِئَةِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ وَارْتِكَابِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ وَنَحْوِهِ.

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ لَا قَدْرَ لِلدِّينِ عِنْدَهُ يَقَعُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَدْرِي قُبْحَ مَا فَعَلَ، فَمَنْ هَنَّأَ عَبْدًا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ بِدْعَةٍ أَوْ كُفْرٍ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْوَرَعِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَجَنَّبُونَ تَهْنِئَةَ الظَّلَمَةِ بِالْوِلَايَاتِ، وَتَهْنِئَةَ الْجُهَّالِ بِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ وَالْإِفْتَاءِ تَجَنُّبًا لِمَقْتِ اللَّهِ وَسُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ، وَإِنْ بُلِيَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ فَتَعَاطَاهُ دَفْعًا لِشَرٍّ يَتَوَقَّعُهُ مِنْهُمْ فَمَشَى إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَدَعَا لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.[1]

ويحرم أن يتخذ اليهود والنصارى وأضرابهم من ملل الكفر إخوانًا أو أولياء

لقوله ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة: ٥١].

وقد حُصِرَت الأخُوة في المسلمين

فقال ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ**»[2].

ولا يجوز موادَّة الكفار ولا مخالطتهم مخالطة تنشأ عنها فتنة

أما مؤاكلتهم ومخالطتهم والإحسان إليهم بما يُرغِّبُهم في الإسلام؛فلا بأس

(١) انظر «أحكام أهل الذمة» (١/ ١٥٣، ١٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

به مع الأمن من الفتنة وعدم المودة[١]، وعلى ذلك أدلة ، وكان رسول الله ﷺ يفعل بعضه .

وبالتقوى والإيمان تنال الولايةُ في الدين

قال ﷻ : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ ، ٦٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

ويستكمل الإيمان بالحب لله والبغض له ﷻ ، وكذلك العطاء والمنع

في حديث أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[٢].

وإذا كان ينبغي أن تكون المحبة لله ﷻ بدرجة لا يشاركه فيها غيره ، فكذلك الخوف والخشية ينبغي أن تكون من الله وحده ولا يُرضي أحدًا بسخط الجبار ﷻ الذي قلوب العباد بيده يصرفها كيفما شاء

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

---

(١) انظر «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٢/ ٦٧) .

(٢) إسناده حسن : أخرجه أبو داود (٦٤٨١) وغيره .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [التوبة : ١٨] .

وقال عز وجل : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ [العنكبوت : ١٠] .

فمن التمس رضا الله عز وجل وإن سخط الناس يوشك أن يجعل الله له عقبى حسنة ، فلا ترضي الناس بسخط الله عز وجل

قال كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخاطبه عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم له عن سبب تخلفه عن الغزوة وتحير كيف يخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ...»الحديث[1]، وغيره وارد عن عائشة رضي الله عنها .

ولا عجب فقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِذَا شَاءِ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَه قَلَّبَهُ ، والله هو الذي يُلقِي المحبة في قلوب العباد لشخص ما أو ينزعها من قلوبهم.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) .

والمؤمن يعيش في الدنيا بجناحين : الخوف والرجاء ، ويُغلِّب جانب الرجاء عند الموت ، ويحسن ظنه بربه يغلِّب جانب الخوف[1] في الدنيا ؛ ليجتهد في الدنيا في العبادة وتحصيل الصلاح

ولا يأمن مكر الله ﷻ فذاك خسارة ، ولا ييأس العبد من رحمة الله ﷻ فذاك ضلال وخسران

قال الله ﷻ : ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٩٩]

وقال : ﴿ **وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر : ٥٦] .

وقال يعقوب عليه السلام : ﴿ **وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فالأمن من مكر الله ﷻ كبيرة من كبائر الذنوب تفضي إلى التساهل في ارتكاب الحرام ، ويجرّ إلى التهلكة .

وكذلك اليأس يسبِّب سوء الظن بالله ﷻ ، وانكسار النفس عن العمل للآخرة .

---

(١) والخوف الشركي : أن يخاف الإنسان من شخص أن يصيبه بشيء في أي وقت شاء من مرض أو فقر أو نحو ذلك .

ألا فليعلم أن الضر والنفع لمن شاء لا يملكه إلا الله تعالى ، وهو من خصائص الألوهية التي لا يجوز صرفها لغيره سبحانه قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

والرجاء الشركي : رجاء شيء من أحد ما مع اعتقاد أنه قادر على ذلك بغير تقديره سبحانه لذلك .

وقد عدَّها ابن مسعود رضي الله عنه من أكبر الكبائر .

فقال رضي الله عنه : «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله»(١) .

فالمؤمن في الدنيا يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي – نجانا الله منها – وهو آمن .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس في الدنيا وجعلهم في كبد ومشقة وعناء في كل مراحل حياتهم ، وهيأهم للابتلاء يسمعون ويبصرون ، والبلاء لا بد أن يكون موجعًا ، فمن لم يتحل بالصبر(٢) فسدت عليه أموره وفاته مقصوده ، ومن تحلى بالصبر فإنما يوفى أجره بغير حساب في الدارين ، ويهد الله عز وجل قلبه في الدنيا ، فيسعد في الآخرة ؛ لإحسانه الذي نتج عن تقواه وصبره

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] (٣) .

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه عبد الرزاق (١٩٧٠١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما قال ابن كثير في«تفسيره» (١/ ٦٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٩) ، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٦) رقم (٨٧٨٣) وما بعده من طرق عدة عن أبي الطفيل عن ابن مسعود به ، وهو صحيح بلا شك كما قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٩) ط دار طيبة .

(٢) والصبر صبر عن المعصية، وصبر على الطاعة ، وصبر على المصائب والبلايا التي تصيب المرء في الدنيا .

(٣) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨) ، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٥) ، والبيهقي (٤/ ٦٦) وغيرهم بإسناد يصحح عن علقمة قال في تفسير الآية : «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله سبحانه وتعالى فيسلم لها ويرضى بها» .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم :

«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»(١) .

واعلم أن الله إذا أراد بعبده الخير عجل له بالعقوبة ، واسألوا الله العافية فلن تطيق

ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢) .

وأشد الناس بلاءً الأمثل فالأمثل ، فإذا أحب الله عز وجل عبدًا ابتلاه ليرفع درجته ويُكفِّر عنه .

ففي حديث سعد بن أبي وقاص قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ، فَقَالَ : «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ رَقِيقَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) بإسناد يقوىٰ بشاهد أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) من حديث عبد الله بن مغفل وثَمَّ شواهد أخرىٰ .

ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دَاكَ» ، قَالَ : فَمَا تَزَالُ الْبَلايَا بِالرَّجُلِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ[(١)]» .

والحلف إنما يكون بمعظَّم ، ولا ينبغي للمؤمن أن يُعظم غير الله ﷻ فلا يحلف إلا به ، وأن من يحلف بغيره فقد وقع في الشرك

قال الله ﷻ : ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقال النبيّ ﷺ : «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٢)] .

وقال ﷺ : «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[(٣)] .

ولا تقول لأحدٍ : ما شاء الله وشئت

ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الأَمْرِ فَقَالَ الرَّجُلُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَجَعَلْتَنِي للَّهَ عَدْلاً ؟ قلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»[(٤)] .

---

(١) إسناده حسن : عن سعد . وله شواهد يصح بها ، أخرجه أحمد (١/ ١٧٣، ١٧٤٢) ، وابن حبان (٢٩٢٠) ، والحاكم (١/ ٤٠) وراجع تخريجه والكلام عليه بتوسع في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ، ومسلم (١٦٤٦) .

(٣) حسن لطرقه ولشواهده إن شاء الله : أخرجه أبو داود (٣٢٥١) ، وله شاهد عند أحمد (٢/ ٦٧) بلفظ : «من حلف بغير الله ؟ فقال له قولاً شديدًا ، والقول الشديد هو «فقد أشرك» ، وراجع تخريج الألباني للخبر في «الإرواء» (٨/ ١٩) .

(٤) حديث حسن : أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٢٥) ، وغيره بإسناد يحسن ، وله شاهد من حديث الطفيل بن سخبرة وهو الآتي بعده .

وأخرج الإمام أحمد عَنْ طُفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا : نَحْنُ الْيَهُودُ قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ فَقَالَتْ الْيَهُودُ : وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنْ النَّصَارَى فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ النَّصَارَى ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ قَالُوا : وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا**» قَالَ : عَفَّانُ قَالَ : نَعَمْ فَلَمَّا صَلَّوْا خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «**إِنَّ طُفَيْلا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَنْهَاكُمْ**[(١)] **عَنْهَا قَالَ : لا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ**»[(٢)].

كل هذا نبه عليه النبي ﷺ لحماية جناب التوحيد وحسم لمادة الشرك فحقق ﷺ التوحيد وعلَّمه أمته ، فنفى الشرك بكل وجه حتى في الألفاظ .

---

(١) ولكن كيف يجمع بين هذا وبين قول أم سليم لرسول الله ﷺ:« إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ»أخرجه البخاري(٦٠٩١) ومسلم (٣١٣)؟ فيقال: إن ذلك الأمر آخره ﷺ لما اقتضته المصلحة، فلعلة حيائه من الإنكار عليه لقرب عهدهم بالجاهلية ثم هيجته رؤيا الطفيل رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد (٥/ ٧٢) ، والدارمي (٢٦٩٩) ، وابن ماجة (٢١١٨) من طريق ربعي بن خراش عن الطفيل به ، وروي على وجوه أخر ، ولكن هذا الوجه هو الذي رجحه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٣) ، وحكى الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٠) أن الحفاظ رجحوا هذا الوجه .

وقد قال المَلَك للأعمى والأبرص والأقرع :
«فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ»[١].

وقد ذكر بعض العلماء أن هذا القول «ما شاء الله وشئت» من الشرك الأصغر ، وقد يكون من الشرك الأكبر إذا أراد أن له أشياء مستقلة يتصرف فيها[٢] .

ودل هذا على أن ذلك من الشرك الأصغر وإلا ما سكت ﷺ عن تأخيره

ومن هزل بشيء مما جاء به الشرع عن الله أو رسول الله ﷺ أو استهزأ بالرسول ﷺ أو القرآن أو أهل الإيمان فهو كافر ، وإن كان يلعب ولم يقصد السخرية والاستهزاء كما هو الظاهر من النصوص.

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦]

وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره»من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب قال : قال مخشي بن حمير : لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن ، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر :
«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا ، فإن هم أنكروا وكتموا ،

---

(١) صحيح : ضمن حديث مطول أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز رحمه الله ص (٢١٩) .

فقل : بلى ، قد قلتم كذا وكذا» ، فأدركهم فقال لهم : الذي أمر به رسول الله ﷺ ، فجاءوا لرسول الله ﷺ يعتذرون ، وقال مخشى بن حمير : يا رسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبي ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً** ﴾

فكان الذي عفا الله عنه : مخشي بن حمير فتسمى : عبد الرحمن...» الحديث[(١)].

ولم يسألهم ﷺ عن قصدهم في استهزائهم، وقد قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ[(٢)]:

«لَا يَخْلُوأَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ، فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ.فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْعِلْمِ وَالْحَقِّ، وَالْهَزْلُ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ».

فهذا يبين أن المستهزئ بالشرع إن كان مسلمًا فقد كفر وارتدّ بعد الإيمان

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٥٥٧) عن أبيه ثنا الحسن بن الربيع ثنا عبد الله بن إدريس قال : قال ابن اسحاق... فذكره ، وإسناده حسن ، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث .

وله طرق أخرىٰ بنحوه أخرجه الطبري (١٦٩١٢) ط. الرسالة عن ابن عمر رضي الله عنه يمكن أن يتقوىٰ به أيضًا إن شاء الله ، والله أعلم .

وله مراسيل أخرىٰ .

(٢) فيما حكاه القرطبي في«تفسيره»(٨/ ١٨٢).

إذا تنقص بالرسول ﷺ ، أو قال: إنه كذاب، أو لم يبلّغ الرسالة، وما أشبه ذلك مما يدل على التنقُّص، وهكذا من قال:إن القرآن متناقض أو أنه لم يستوفِ ما يحتاجه الناس، أو أن الشريعة لم تستوفِ ما يحتاجه الناس، وما أشبه ذلك مما هو على سبيل الذمّ والتنقص.

أما إذا قال : قد جاءت السنة ببيان أشياء ليست في القرآن فهذا حق ، ولكن إن قاله قاصدًا الذم ، وأن الناس بحاجة إلى القوانين ، وأن النصوص لا تكفي ، فهذا كفر وردَّة ، وكذا من قال أن الجنة خيال ليست حقيقة[1].

وعلى المرء أن يقرّ ويعترف أن ما بـه مـن نعمـة كـرزق مـال أو فهـم أو علـم أو منصب ؛ كـرئيس أو وزيـر أو أمـير أو ضـابط ... أو أي شـيء مـن أنـواع المعـارف في الصناعات الدنيوية أو المناصب إنما هـو مـن الله ﷻ ، **وأن مالـه إنمـا هـو مـن رزق الله**ﷻ **وليس عن علم بوجود المكاسب ، لا لشرفه ولا من اتخـاذ أسـبابها ، وحتـى معرفته وإقراره بما ذكرنا هي نعمة من الله** ﷻ [2]

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾ [فصلت : ٥٠] . فالخير والرحمة منه ﷻ .

وقال قارون الذي ذمَّه الله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي** ﴾[القصص : ٧٨]

---

(١) قاله الشيخ ابن باز في شرحه لكتاب التوحيد ص (٢٢٨) .

(٢) لا يقول كقول من قال الله ﷻ عنه : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص : ٧٨] ، ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف : ٣٤] .

وفي الصحيحين في قصة الأبرص والأقرع والأعمى الـذين ابـتلاهم الله ﷻ بالعطاء .

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «**إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَى الأَبْرَصَ . فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ . قَالَ فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا . فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ ، إِنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ ، قَالَ أَحَدُهُمَا : الإِبِلُ ، وَقَالَ الآخَرُ : الْبَقَرُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ . فَقَالَ : يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا . وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّى هَذَا ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ . قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ . قَالَ : فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلاً ، وَقَالَ : يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا . وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ . قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ : الْغَنَمُ . فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا ، فَأُنْتِجَ هَذَانِ ، وَوَلَّدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِى سَفَرِى . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّى أَعْرِفُكَ ،**

أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ : لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ . وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي ، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ . فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[١].

وقد خسف الله ﷻ بقارون الأرض لقوله عن ماله وخزائنه : ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...** ﴾ [القصص : ٧٨] .فهذا نسبَ منَّة الله عليه إلى نفسه .

قال الله ﷻ : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ** ﴾ [القصص : ٨١] .

و المؤمن ليس بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش في القول ولا بالبذيء[٢] ؛ لأن السبَّ نقصٌ في الإيمان وقدحٌ في التوحيد

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

(٢) كما قال النبي × : «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِيءِ»

وهو حديث أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤) ، والترمذي (١٩٧٧) ، وابن حبان (١٩٢) ، وغيرهم وهو حديث صحيح من حديث ابن مسعود ﷺ .

والنبي ﷺ قد أكَّد فى النهي عن سبّ هذه الثلاثة الريح والدهر والديك

فلأن الريح مخلوق مدبَّر يُرسَل بالخير والشر نهى ﷺ عن سبِّها ، وأمر ﷺ بما ينفع

قال ﷺ : «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»[١] .

وكانت الريح إذا عصفت قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»[٢] .

وكذلك نهى الشرع عن سب الدهر؛ لأن الدهر هو الزمان ، والله ﷻ هو الذي يقلبه، فسب الدهر يعتبر سب لله ﷻ ، وليس المعنى أن من أسماء الله ﷻ الدهر كما بينته فيما تقدم

فقال ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**»[٣] .

---

(١) وهو حديث ثابت حسن : أخرجه ابن ماجة (٣٧٢٧) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه ، وله شواهد منها عند النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٢٣٠)، وما بعدها ، ولو صحح فيه الوقف فللحديث شواهد أخرىٰ وطرق كثيرة يصح بها إن شاء الله ، واللفظ المذكور عاليًا أخرجه الترمذي (٢٢٥٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٠٦) ، ومسلم (٨٩٩) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٤٦) .

وفي رواية : قَالَ اللَّهُ ﷻ:«**يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»[(١)] .

وأما الديك فلأنه يُنتفع به إلى جانب عمله مع المنافع المعروفة فإنه يوقظ للصلاة ، فيذكِّر بالخير ، وليس من شيمة المؤمن أن يسب من هو سبب لخير ، بل من استفيد منه الخير حقه أن يشكر ويكرم ويقابل بالإحسان ولا يستهان به ؛ فكيف يُسَب ؟»[(٢)]

قال ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ**»[(٣)] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٢٦) ، ومسلم (٢٢٤٦) .

(٢) ولذلك لما لعن الرجل الناقة التي تحمله قال ﷺ : «لا تَصْحَبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا اللَّعْنَةُ مِنَ الله ﷻ» فالرجل قال للناقة : شَأْ – وهي كلمة زجر – لَعَنَكَ اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ» ، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «انْزِلْ عَنْهُ فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ ... الحديث» أخرجه مسلم (٣٠٠٩) .

(٣) وهو حديث رجاله ثقات وجوَّد إسناده العجلوني في «كشف الخفا» (٣٠٢٧) من حديث زيد ابن خالد الجهني ، وأخرجه أبو داود (٥١٠٣) وغيره ، وقد اختلف في وصله وإرساله ، وأخرجه عبد بن حميد (١٤٤٨) عن خالد بن مخلد ثنا سليمان بن بلال عن صالح بن كيسان عن أبي هريرة ﷺ ، لكن الخلاف في الحديث بكامله على صالح نفسه فروى عنه وجوه مختلفة، وقد رجح الدارقطني المرسل كما في «العلل (٥/ ١٩٤) فقال بعد سياق طرقه : «المرسل أشبه بالصواب» .

لكن رجح البزار (٥/ ١٦٨) رواية صالح بن كيسان عن عبيد الله عن زيد بن خالد التي أخرجها ابن الجعد في «الجعديات» (٢٨٩٢) ، وأحمد (٥/ ١٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٤٠) وغيرهم ، وعلى ترجيح البزار وتابعه على هذا الترجيح أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦٨) ، وأبو حاتم في «العلل» (٢٢٤٢) فالإسناد صحيح وترجيحهم قوي ، والله أعلم .

فيمنع الإنسان أن يسبَّ من لم يؤذن له في سَبّه.

وإنَّ سبَّ هؤلاء ليفضي ويُعوِّد اللسان على سب الدِّين ؛ لأنه إنما نهي عن سبهم في بادئ الأمر لئلا يجري لسانه على سبّ الدين ، فإذا ما زاد حجم الضيق سبّ الدين .

والمقصود قطع ذريعة سبِّ الدِّين من أصلها ؛ لأنه لا يعقل أن يكون المرء يسب دينًا هو عليه، ولذلك كان سابب الدين مرتدًا حلال الدم إن لم يتب .

فعلينا بهدى أصحاب نبينا ﷺ في الضيق والسعة والغم والفرح فخير هذه الأمة وعافيتها في أولها (الثلاثة قرون الأولى)

ففي الصحيح عن عمران بن حصين قال:قال رسول الله ﷺ : «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».قَالَ عِمْرَانُ: فَلاَ أَدْرِى أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا ، «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» (٢).

وسيأتي مزيد في بيان الاعتقاد في أصحاب رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٥) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

ولما كانت كثرة الحلف ولو بالصدق تفضي إلى عدم المبالاة والتساهل أو الكذب – وغالبًا – أمر الله ﷻ بحفظ الإيمان إذا حلف، وألا يكثر المرء من الحلف

قال ﷻ : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٤] .

وقال ﷺ : «**الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**»[(١)] .

والحلف الكاذب وإن زاد في المال فإنه يمحق البركة ، ومحق البركة يفضي إلى اضمحلال العدد في الدنيا ، وإلى اضمحلال الأجر في الآخرة

وقد أخرج الطبراني بإسنادٍ ظاهره الصحة عن سلمان رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثَةٌ لا يَنْظُرُ الله إلَيْهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ أُشَيْمِطٌ**[(٢)] **زان وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ وَرَجُلٌ جَعَلَ الله ﷻ بِضاعَتَهُ لا يَشْتَرِي إلا بِيَمِينِهِ ولا يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ**»[(٣)] .

والمقصود باليمين هنا : اليمين الكاذب كما جاء في الأحاديث

ومنها : حديث أبي ذر مرفوعًا : «وَالْمُنْفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْيَمِينِ الْفَاجِرِ أَوِ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٨٧) ، و مسلم (١٦٠٦) .

(٢) الأشيمط : أي الشيخ ، فمعنى الشمط : الشيب ، وأشيمط تصغير .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٤٦) رقم (٦١١١) ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا سعيد ابن عمرو الأشعثي ثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان به وإسناده صحيح .

الْحَلِفِ الْكَاذِبِ» (١) .

وإلا فأصل الحلف ليس بحرام ، وقد حلف النبي ﷺ ولم يكن استحلف وهو الصادق المصدوق ﷺ .

وينبغي تعظيم ذمة الله ﷻ عن ذمة المخلوق

فلئن تخفر – تنقض – ذمة العبد أهون من أن تخفر ذمة الله ورسوله

وقد قال ﷻ : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ﴾ [النحل : ٩١] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا** ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

وقال ﷺ : «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ الله ﷻ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ** (٢)**فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ**» (٣).

وفي نصيحة رسول الله ﷺ لأمير الجيش أو السرية أن لا يجعل لهم ذمة الله ﷻ وذمة نبيه ﷺ بل يجعل لهم ذمته هو

فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى

---

(١) ففي صحيح مسلم (١٠٦) عن أبي ذر مرفوعًا : «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ × ثَلاَثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ × : «الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

(٢) اللواء : أي الراية .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٧٨) ، ومسلم (١٧٣٥) .

جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا ، وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلاَلٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ» (١).

والمقصود بذمة الله: أي عهد الله في الاتفاق.

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٣١) .

الشهادة للمعينين بالجنة أو بالنار

ولا يشهد لأحد من الناس بجنة ولا بنار إلا إذا شهد له الوحي كحمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن حرام وشهداء أحد وعمر وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وسيأتي لذلك أدلة صريحة .

قال الإمام أحمد رحمه الله :

«ولا نَشْهَدُ على أَحَدٍ مِن أهلِ القبلةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بجنة أو نار، نرجو للصَّالح ونخاف عليه ، ونخاف على المُسِيء المذنب ، ونرجو له رحمة الله» [١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

«لا يَشْهَدُ لِكُلِّ مُعَيَّنٍ مِنْ أَطْفَالِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ شَهِدَ لَهُمْ مُطْلَقًا ، فَالطِّفْلُ الَّذِي وُلِدَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَكُونُ مُنَافِقًا بَيْنَ مُؤْمِنِينَ» [٢].

وقال الإمام الصابوني من قبل شيخ الإسلام

«ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مُبهمة ، لا يدري أحد بِمَ يُختم له ، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار ؛ لأن ذلك مُغيَّب عنهم ، لا يعرفون علام يموت عليه الإنسان أعلى الإسلام أم على الكفر ؟ ولذلك يقولون : إنا مؤمنون إن

---

(١) «أصول السنة» ص(١١) .

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨١) .

شاء الله ، أي من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله عز وجل»[١].

وأطفال المسلمين ، وكذلك المشركين – في الراجح – وإن شهد لجملتهم بالجنة ؛ إلا أنه لا يُعيَّن كما قررناه في غير هذا الموطن[٢].

ولا يقال : فلان شهيد على سبيل القطع مهما كان عمل العامل إلا إذا شهد الوحي له ، فيقال على سبيل الإجمال : من فعل كذا فهو شهيد ؛... هكذا على سبيل الإجمال : أما تعين واحدٍ بعينه بأنه شهيد بغير دليل فلا يجوز .

فالنبي ﷺ يقول:«**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[٣]. ولا يُطَّلع على ذلك إلا بالوحي إذ إن ذلك يتعلَّق بالقلوب، ولا يعلمها إلا الله .

وهذا رجل بالغ في قتل المشركين، وشهدت له الصحابة ثم أنكر النبي ﷺ عليهم

قال المسلمون : «مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ» ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ : فَخَرَجَ

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص(٧٠) للإمام الصابوني ، وانظر «شرح السنة» للبربهاري (٤٨) .

(٢) في كتابي «جامع أحكام الميت» و «مصير موتى الأطفال في الآخرة» .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨١٠) وفي الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله– وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ – إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ» أخرجه البخاري (٢٨٠٣) وقد عين رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس بأنه من أهل «هو من أهل الجنة» قال أنس بن مالك رضي الله عنه : فَلَقَدْ كَانَ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» أخرجه مسلم (١١٩) .

مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ ﷺ :«**وَمَا ذَاكَ**» ، قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ...الحديث» [(١)].

وقد مرَّ الصحابة على رجل فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**» ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ...الحديث**» [(٢)]

فإذا كان لا يصح جزم الصحابة لمعين بشهادة بغير دليل ؛ فغيرهم من باب أولى .

وأصرح من هذا كله حديث عمر رضي الله عنه :

«أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ : تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ فُلانٌ شَهِيدٌ ، وَمَاتَ فُلانٌ شَهِيدًا وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ[(٣)] ، أَلا لا تَقُولُوا ذَلِكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٩٢) وبوب له باب : «لا يقول فلان شهيد» .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١١٤) .

(٣)وفي رواية النسائي (٣٣٤٩) : «قد أوقر عجز دابته أو دف راحلته ذهبًا وفضة يبتغي التجارة» .

رَسُول اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[١].

وقد أشار البخاري لهذا الحديث حين ترجم وقال : باب لا يقال فلان شهيد [٢].

وفي صحيح البخاري عن أم العلاء – امرأة من الأنصار – قالت : بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ ... لَما تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ : «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟**» ، فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ ﷺ : «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي – وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ – مَا يُفْعَلُ بِي**» . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا [٣].

ولا يمدح أحد في وجهه لغير مصلحة وأمن مفسدة

فَقد أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : «**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٨) وبعض أصحاب السنن من طريق ابن سيرين سمعه من أبي العجفاء سمعت عمر يقول : ... وذكره وإسناده صحيح رجاله ثقات ، وقد حسنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ١١٠) ط دار الحديث ، وذكر الحافظ (٦/ ١١١) له إسنادًا عن أبي ذر ذكره بنحو من معناه، وقال : «في إسناده نظر» ، ثم قال الحافظ : «المراد النهي عن تعيين وصف واحدٍ بعينه بأنه شهيد بل يجوز أن يقال ذلك على طريق الإجمال» .

(٢) عقب حديث (٢٧٤٠) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٤٣) .

صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» . مِرَارًا ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلانًا ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ ، وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»**[١] .

وإذا كان هذا الخوف من النبي ﷺ على صحابي فكيف بغيره الذي يقال فيه الأشعار ؟» ... ، وإن رضي فإنه مفتون بذلك ، فكيف إن غضب على المنكِر على من مدح؟» ، فكيف إذا دعى الناس لذلك بالتلويح ؟».

وقال ﷺ : **«اُحْثُوا فِي وُجُوه الْمَدَّاحِينَ التُّرَاب»** .

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِى مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِى عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَقَالَ :أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ[٢]، ورجل مدح ابن عمر فحثى في وجهه التراب كما عند أحمد بسندٍ ثابت.

وذلك إن كان في المدح مجازفة أو يؤدي إلى مفسدة، فإذا كان المدح يؤدي إلى مصلحة كنشاط للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه أو الاقتداء به، كان مستحبًا بتقييه بقول:«نحسبه والله حسيبه» .

وهذا وجه الجمع بين ما ذكر من الأحاديث وأحاديث أخرى في المدح ، في الوجه قد مدح النبي ﷺ بها أقوامًا في وجوههم ؛ كمدحه لعمر وأبي بكر

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٦٢) ، ومسلم (٣٠٠٠) وقد وردت زيادة «لو سمعها ما أفلح أبدًا» أخرجها أحمد (٥/ ٥١) وفي الإسناد بها كلام .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٣٠٠١) .

وعثمان وعلي رضي الله عنهم وغيرهم مما يحتاج إلى إسهاب ليس المقام مقامه ، والله أعلم.

وتقييد جواز المدح بشروط:

منها: أن يكون بحق.

ومنها: أن يؤمن وقع الممدوح في العجب ونحوه.

ومنها: أن يكون في المدح مصلحة، لا يكون مدحاً لغير فائدة، أو يكن المدح لتمرير باطل أو التوصل إلى ما لا يحق، أو مالا يجوز، وعلى هذا يحمل المدح الذي صدر من النبي ﷺ ، فمن تأمّل سياق الروايات الواردة في ذلك لن يجدها كلها إلا لغرض من تلك الأغراض،وفيه مراعاة هذه الشرط،والله أعلم.

والأحاديث التي فيها أن من فعل كذا دخل الجنة

كحديث : «مَنْ بَنَي لله ﷻ مَسْجِدًا يَبْتَغِى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَي اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّة»[١].

وحديث : «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**» ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا [٢].

وحديث : «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٥٠) ، ومسلم (٥٣٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٣٠٤) ، ومسلم (٢٩٨٣) .

الْجَنَّة» [١].

وحديث : **«مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»**[٢].

ونحوها من الأحاديث وهي كثيرة [٣]

كحديث : «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [٤].

فهذا حاصل لفاعله إذا انتفت موانع دخول الجنة وتحققت شروط الدخول، ولا يصح تنزيل هذه الأدلة على أشخاص معينين ، فنجزم لأحدهم بالجنة لكونه فعل فعلاً مما وعد النبي ﷺ صاحبه بدخول الجنة وإلا تعارضت الأدلة ، فالنبي ﷺ أطلق في مثل هذه النصوص، والنصوص الأخرى المقابلة لها في ذكر دخول النار لمن عمل كذا أو كذا [٥] فقد أطلق ﷺ القول في هذه النصوص

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٧٢٨) .

(٣) ولنا رسالة مطبوعة ذكرنا فيها الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة جمعنا فيها الأحاديث الصحيحة في الباب ولم نعرِّج فيها على الضعيف ، وسميناها «أعمال تدخل صاحبها الجنة» .

(٤) وهو في صحيح البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (٩٤) .

(٥) مثل حديث : «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فَعَلَ كَذَا» ، وحديث : «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّار» ، وحديث : «مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ، =

نصوص الوعد والوعيد، ومثلها وعيد التكفير والتفسيق، ولا يحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

والمقصود أن الذي عليه أهل السنة والجماعة

الإِيمَانُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَكَمَا أَنَّ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ الْعَبْدَ مِنْ الْعِقَابِ قَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بِشُرُوطِ :

بِأَنْ لا يَتُوبَ فَإِنْ تابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَبِأَنْ لا يَكُونَ لَهُ حَسَنَاتٌ تَمْحُو ذُنُوبَهُ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، وَبِأَلا يَشاءَ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فَهَكَذَا الْوَعْدُ لَهُ تَفْسِيرٌ وَبَيَانٌ . فَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَكَذَّبَ الرَّسُولَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ[(٢)].

وَأَمَّا مَنْ جَزَمَ بِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَهَذَا لا نَعْرِفُهُ قَوْلا لأَحَدِ[(٣)]

=

وأحاديث التبرج وسفور النساء ونحوها كثير وقد جمعتُ الصحيح في هذا الباب في رسالة بعنوان «أعمال تدخل صاحبها النار» .

(١) في «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٥٠١) .

(٢) وقد أشار إلىٰ ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٧١) ، وغيره من علماء أهل السنة.

(٣) قاله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٠١ – ٥٠٢) .

والخلاصة :

أن قوله ﷺ : «**لا يدخل الجنة**» إما أن يحمل على أنه لا يدخل بعض الجنان ، أو أنه يعذَّب لا يدخل الجنة مع الداخلين الأوائل ، وإن دخلها بعد أن يعذَّب ، أو أنه لا يدخل الجنة إلا إذا غفر الله له ، ... .

ومن ناحية أخرى أشرنا إليها مرارًا وهي :

أن أحدًا لن يدخل الجنة بعمله كما قال ﷺ : «**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**» . قَالَ رَجُلٌ : وَلاَ إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «**وَلاَ إِيَّايَ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا**»[1] .

وفي رواية من حديث جابر رضي الله عنه : «**لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَلاَ يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ وَلاَ أَنَا إِلاَّ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ**»[2] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**» . **قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :** «**وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[3] .

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف : ٤٣].

فلا منافاة بينهما– بحمد الله– فإن الباء المثبتة في الآية هي «باء السببية»؛ لأن

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٦٣) ، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨١٧) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٦٤) ، ومسلم (٢٨١٨) .

الأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة فلا يحصل إلا بها، إذ المسبَّب وجوده بوجود سببه، والمنفي في الحديث هي «باء الثمنية»التي هي الثمن .

فإن العبد لَو عُمِّر عُمر الدنيا وهو يصوم النهار ويقوم الليل ويجتنب المعاصي كلها لم يقابل كلَ عمله عشر معشار أصغر نعم الله عليه الظاهرة والباطنة ، فكيف تكون ثمنًا لدخول الجنة ؟[١].

والمقصود أن أهل السنة والجماعة

يعتقدون ويشهدون أن أحدًا لا تجب له الجنة، وإن كان عمله حسنًا وطريقه مرضى إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه له، فلو لم ييسِّره له لم يهتدي له أبدًا، قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ ، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ وفي آيات سواها[٢].

ونصوص الوعيد الواردة عن رسول الله ﷺ:

كحديث : «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ،**

---

(١) وذكر نحوه صاحب «٢٠٠ سؤال في العقيدة» ص (٥٧) وكنت قد ذكرت نحوه في مقدمة كتابي «أعمال تدخل صاحبها الجنة» .

(٢) قاله الإمام الصابوني رحمه الله في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص (٧٧) بتصرف .

أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

وفيه: «وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وحديث أسماء أن النبيّ ﷺ قال : «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»(٢).

وحديث : «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ»(٣).

ومثل هذه النصوص المطلقة

لا يَسْتَلْزِمُ فيها لَعْنَ الْمُعَيَّنِ الَّذِي قَامَ بِهِ مَا يَمْنَعُ لُحُوقَ اللَّعْنَةِ لَهُ.

وَكَذَلِكَ التَّكْفِيرُ الْمُطْلَقُ والْوَعِيدُ الْمُطْلَقُ . وَلِهَذَا كَانَ الْوَعِيدُ الْمُطْلَقُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَشْرُوطًا بِثُبُوتِ شُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ فَلا يَلْحَقُ التَّائِبَ مِنْ الذَّنْبِ بِاتِّفَاق الْمُسْلِمِينَ ، وَلا يَلْحَقُ مَنْ لَهُ حَسَنَاتٌ تَمْحُو سَيِّئَاتِهِ ، وَلا يَلْحَقُ الْمَشْفُوعَ لَهُ وَالْمَغْفُورَ لَهُ ؛ فَإِنَّ الذُّنُوبَ تَزُولُ عُقُوبَتُهَا الَّتِي هِيَ جَهَنَّمُ بِأَسْبَابِ: التَّوْبَةِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ(٤).

والأحاديث التي فيها براءة رسول الله ﷺ ممن ارتكب ذنب كذا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٧٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٩٧) ، ومسلم (٢١٢٢) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٥٩٨) .

(٤) قاله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٢٩ - ٣٣٠) .

كحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[(١)].

وحديث : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»[(٢)].

وحديث : «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى**»[(٣)].

فالمَعْنَى: لَيْسُوا من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم حَقِيقَةً ؛ لِنَقْصِ إيمَانِهِم الْوَاجِبِ الَّذِي بِهِ يَسْتَحِقُّونَ الثَّوَابَ الْمُطْلَقَ بِلا عِقَابٍ وَقَدْ يَكُونُ مَع هؤلاء مِنْ الإِيمَانِ مَا يَسْتَحِقُّون بِهِ مُشَارَكَتَهُمْ فِي بَعْضِ الثَّوَابِ وَمَعَهُم مِنْ الْكَبَائِرِ مَا يَسْتَحِقُّون بِهِ الْعِقَابَ كَمَا يَقُولُ مَنْ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا لِيَعْمَلُوا عَمَلا ؛ فَعَمِلَ بَعْضُهُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ فَعِنْدَ التَّوْفِيَةِ يَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ : هَذَا لَيْسَ مِنَّا فَلا يَسْتَحِقُّ الأَجْرَ الْكَامِلَ ، وَإِنْ اسْتَحَقَّ بَعْضَهُ[(٤)].

وكل من ختم له بعمل صالح فهو داخل الجنة حتمًا لا محالة، وإن نقّي في النار مهما كانت مساويه كثيرة، وإن قتل بلدة بكاملها وإن زنى وإن سرق ما دام محتفظًا بأصل التوحيد ولم يستحل القتل والزنى، ونحو ذلك .

لقوله ﷺ : «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**».[(٥)]

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٥٩) ، ومسلم (٩٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٣٥) ، ومسلم (١٠٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٢) .

(٤) وهو مذهب أهل السنة والجماعة عزاه إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١٩/ ٢٩٤ – ٢٩٥).

(٥) وهو حديث قوي لشواهده كما بينته في كتابي «جامع أحكام الميت» .

وهو معنى قوله ﷺ : «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ**» قالوا : وَمَا معنى عَسَلَهُ يا رسول الله قال : «**يُوَفِّقُهُ إِلَى عَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضهُ عليه**»[١]

أما الاستحلال للذنب فهو كفر وإن لم يعمل المستحل الذنب بلا نزاع.

أما الكافر الذي مات كافرًا

فلا يقبل الله ﷻ منه صرفًا ولا عدلاً مهما حصل منه مِن بذل خير ، وإن كان شجاعًا مقدامًا كريمًا حليمًا ... يفعل الصلاح

قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن ابن جدعان في الجاهلية كان يقري الضيف ويحسن الجوار ويصل الرحم فهل ينفعه ذلك ؟ قال : «**لا إنه لم يقل يوما قط : اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[٢].

وقال ﷺ : لحكيم بن حزام لخيرات وبر كان فيه وهو في الجاهلية : «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»[٣].

أي: استقبل بهذه الأخلاق الحسنات في الاسلام لتؤجر.

وقال ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا**

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤) وغيره ، وقد خرجته في كتابي «جامع أحكام الميت» .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٣٠) ، وأبو يعلى (٤٦٧٢) وغيرهما بإسناد حسن على شرط مسلم ، وهو فيه برقم (٢١٤) لكن ليس فيه ذكر الجار .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٣٦) ، ومسلم (١٢٣) .

أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»[١].

وإنما يتمارى في ذلك قليل العلم بما ذكر من سنة رسول الله ﷺ فينكر دخول فلان الجنة لكونه سلف منه خطايا كثيرة، وإن خُتم له بلا إله إلا الله لكونه قتل كثيرًا من الناس، وغفل عن حديث قاتل التسعة والتسعين نفساً وأكملهم مائة بالعابد، وأن الله تعالى أدخله الجنة .

وعبد الله والد رسول الله ﷺ وأمُه في النار، وكذلك جده عبد المطلب

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء : ١٨] .

فمن مات كافرًا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة يوم القيامة

بل لو آمن عند المعاينة لملك الموت وأعوانه لم ينتفع ، فكيف بعد الإعادة؟»، **ولا نزاع في أنّ أبوي رسول الله ﷺ وجدّه ماتوا على الكفر**، والذي نص على ذلك من كان أخشى الناس وأتقاهم ﷺ لله وهو أحسن الناس أدبًا مع أبائه.

فعن أنس ﷺ : أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِى قَالَ: «**فِي النَّارِ**».فَلَمَّا قَفَّى[٢]دَعَاهُ فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[١].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٠٨) .

(٢) أي : ذهب موليًا ، وكأنه من القفا ، أي : أعطاه قفاه وظهره .

وفي أمه :

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**»[٢]

ولو كانت مسلمة لحل له الاستغفار لها، والكافر لا يجوز الاستغفار له، فما كان للنبي ﷺ والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، ولعلم النبي ﷺ أنها كافرة وماتت على الكفر استأذن في الاستغفار، ولو كانت مسلمة لجاز له أن يستغفر لها كما يستغفر لبقية المسلمين بلا استئذان من ربه سبحانه.

وأصرح من ذلك قول النبي ﷺ لرجلين قد جاءا يسألانه عن أمهما فقال لهما: «**أُمُّكُمَا فِي النَّارِ**»،فَأَدْبَرَا وَالشَّرُّ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُدَّا فَرَجَعَا وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا رَجِيَا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ فَقَالَ:«**أُمِّي مَعَ**

=

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٠٣) ، وبوب النووي بباب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه شفاعة الشافعين ولا قرب المقربين .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٧٦) ولفظه : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» .

أُمِّكُمَا...الحديث»[1].

ولذلك فإن الأخبار الواردة في إحياء أبوي النبي ﷺ وأنهما آمنا به وماتا لا تصح أسانيدها[2] وهي مخالفة لصريح القرآن وصحيح الأحاديث والإجماع في ذلك[3].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[4]

لا يختلف المسلمون أن عبد المطلب مات كافرًا، وكان لرسول الله ﷺ يومئذ ثمان سنين.

(١) وقد أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨) وقد صححه جماعة من أهل العلم كابن عبد البر والسبكي وابن القيم وحسنه ابن كثير، وقد توقفت في الحكم عليه بهذ اللفظ في «الفوائد النيرة» و«مصير موتى الأطفال في الآخرة» ص (٢٦ ، ٢٧) لشيء دونته هناك .

لكن رواه الجوزقاني في «الأباطيل والصحاح والمشاهير» (٢١١) من حديث أبي رزين بإسناد حسن ، وفيه أنه ﷺ قال : «أما ترضى أن تكون أمك مع أمي» ، وراجع الكلام على إسناده في «الفوائد النيرة» .

(٢) وقد علَّقت عليها وعلى من قال بمقتضاها كالقرطبي والسيوطي في حاشية كتاب «التذكرة» للقرطبي ص (٢٧) بتحقيقي، وقد رددت عليهما هناك .

وقد حكى الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٢/ ٣١٠) أن الحديث الذي ذكره السهيلي وَذَكَرَ أَنَّ فِي إِسْنَادِهِ مَجْهُولَيْنِ إِلَى ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَ أَبَوَيْهِ، فَأَحْيَاهُمَا وَآمَنَا بِهِ، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا. وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا بِالنَّظَرِ إِلَى قُدْرَةِ الله تَعَالَى. لَكِنَّ الَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ يُعَارِضُهُ وَالله أَعْلَمُ.

(٣) وقد أشار القرطبي إلى إجماع في هذا في «التذكرة» ص (٢٦) .

(٤)في «الموضوعات » (١/ ٢٨٣) ط. دار الكتب

قلت«محمد»:

ويدل على ذلك حديث المسيب بن حزن الذي فيه عرض رسول الله ﷺ الإسلام على عمه، فإن رسول الله ﷺ قال لعمه فإن رسول الله ﷺ قال لعمه أبي طالب وهو على فراش الموت:« **يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** » فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ التوبة.[١]

وأما عبد الله فإنه مات ورسول الله ﷺ حمل ، ولا خلاف أنه مات كافرًا، وكذلك آمنة ماتت ولرسول الله ﷺ ست سنين. أ.هـ

وقال إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٤٥ :

«كفر قصي وعبد المطلب وعبد الله ثابت بالأحاديث الصحيحة وبالإجماع»[٢] ثم ذكر كلام أبي الفرج بن الجوزي ثم قال :

---

(١) أخرجه البخاري(١٣٦٠) ومسلم(٢٤).

(٢) أما ثبوت الأحاديث في كفر عبد المطلب وعبد الله والد النبي ﷺ فثابتة، وأما أمر قصي بن كلاب فواضح في كتب السير قد يصح الإجماع على أنه مات كافراً، لكن لا أعلم أحاديث صحيحة في كفر قصي بن كلاب، =

«وبالجملة فالإجماع على ذلك معلوم بالضرورة في مذهب أهل السنة والجماعة»[(١)].

ثم قال : غير خفي أن الأمة مُجمعون من لَدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا على كفر قُصَي فمن بعده ، وأن أبوي النبي ﷺ ماتا على الكفر»[(٢)].

ولا يُقال : كيف يمكن أن يكون أصل أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كافرًا والكافر نجس وخبيث ؟

لأنا نقول نجاسته وخباثته من حيث الاعتقاد لا تؤثر في جسمانيته ، ولا فيما يتصل به ، فالإجماع على أن عرقه وسؤره طاهر ما لم يعرض عليه عارض على أن قدرة القدير الحق التي تظهر العجائب لا يستبعد منها مثل ذلك ، وهو الذي أخرج من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [الأنعام : ٩٥] .

ولا يقال : وصف أبوي رسول الله ﷺ بالكفر نقص في حقه

=

وقد يفهم من قوله ﷺ: « إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » الذي أخرجه مسلم(٢٨٦٥) يفهم منه كفره، ولكن ليس صريحاً، بل هو دليل على غلبة الكفر وكثرته جداً في هذه الحقبة، وقد يكون قصي من أهل الفترة الذين يختبرون في عرصات القيامة على ما في حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه ، وإن كان ما يترتب على معرفة مآل قصي بن كلاب فائدة. والله أعلم .

(١) في«رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ » ص (٣٤) لإبراهيم بن محمد الحلبي

(٢) انظر ص (٢٧) .

وإلا كان إبراهيم كذلك مع أبيه الكافر، ولا قيمة للمناظرة الكبيرة بينه وبين قومه عبدة الأصنام عليهم الصلاة والسلام.

وعلي بن أبي طالب مؤمن لم يضره كفر أبيه، وكذلك لا يضر نوح ﷺ كفر ولده وامرأته، ولم يضر لوط كفر امرأته، ولم يضر عكرمة بن أبي جهل أن أباه كافراً، ولم يضر عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أن أباه كان كافراً....

والنبي ﷺ وهو من أبر الناس مطلقًا، هو الذي جزم بذلك لنا وقال به فدَع عنك شَنْشَنَة الجاهلين بالدين أصحاب العواطف الكاذبة، ولأنا نقول:كلا وهيهات ذلك في حق مثلنا لا في حق مثله ﷺ، فإن الماء القليل تؤثر فيه النجاسة بخلاف البحر .

وبالله من لم يقدِّره حق قدره من ظن أن نقص غيره أو كماله يؤثر فيه نقصًا أو كمالاً .

وهل شان إبراهيم عليه السلام ودعوته كون والده آزر كافرًا معاندًا لربه؟»

وأنه يمسخ يوم القيامة زيخًا ملطخًا ويقذف به في النار ؟»

وهل شان نوح النبي ﷺ ولوطٍ عليه السلام كون امرأة كل منهما على ملة الكفر؛ والأول ولده أيضًا على ملة الكفر ومات كافرًا ؟»

فلله الأمر من قبل ومن بعد سبحانه، جل شأنه وعز جاهه ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا**

يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[١].

ولو كان والد النبي ﷺ وأمه مسلمين أو جده مسلمًا لوجب أن يخبر بذلك من باب البر والديانة بهما، وإذًا لوصل إلينا بالخبر صحيحًا محفوظًا كما حفظت بقية أقواله ﷺ ؛ لأنه لا يجوز ولا ينبغي السكوت عن مثله، وإلا كان ﷺ مقصرا في ذكر ما فيه البر بوالديه، وحاشاه ﷺ .

ولو كان عبد المطلب مسلمًا لكان أولاده أبو طالب وأبو لهب مسلمين ، وما تأخر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ،وقد مات أبو طالب على ملته ملة الكفر.

ولو كانوا على الإسلام لبادروا إلى الإيمان من أول وهلة ؛ لأنه أصلهم .

ثم إن قول أبي جهل لأبي طالب : أترغب عن ملة عبد المطلب[٢] **دليل على أن ملة عبد المطلب منافية لملة الإسلام ملة محمد ﷺ .**

قال ابن كثير[٣]:

«عَبْد الْمُطَّلِبِ مَاتَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ خِلَافًا لِفِرْقَةِ الشِّيعَةِ فِيهِ وَفِي ابْنِهِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مَا سَيَأْتِي فِي وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ - بَعْدَ رِوَايَتِهِ

---

(١) «رسالة في حق أبوي النبي ﷺ» ص (٣٥ ، ٣٦) بتصرف .

(٢) كما في الصحيحين ، وذلك حينما ذهب النبي ﷺ يعرض عليه الإسلام ، وحديثه في صحيح البخاري (١٣٦٠) ، ومسلم (٢٤) .

(٣) في«البداية والنهاية»(٢/ ٣٤٢).

هَـذِهِ الْأَحَادِيـثَ فِـي كِتَابِـهِ دَلَائِـلِ النُّبُـوَّةِ: وَكَيْـفَ لَا يَكُـونُ أَبَـوَاهُ وَجَـدُّهُ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْآخِرَةِ وَقَدْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْوَثَنَ، حَتَّى مَاتُوا وَلَـمْ يَـدِينُوا دِيـنَ عيسى بن مَـرْيَـمَ عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، وَكُفْـرُهُـمْ لَا يَقْـدَحُ فِـي نَسَـبِهِ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ لِأَنَّ أَنْكِحَةَ الْكُفَّارِ صَحِيحَةٌ.

أَلَا تَرَاهُمْ يُسْلِمُونَ مَعَ زَوْجَاتِهِمْ فَلَا يَلْـزَمُهُـمْ تَجْدِيـدُ الْعَقْـدِ وَلَا مُفَـارَقَتُهُنَّ إِذَا كَـانَ مِثْلُهُ يَجُوزُ فِي الْإِسْلَامِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى كَلَامُهُ.

قُلْتُ(ابن كثير): وَإِخْبَارُهُ ﷺ عَنْ أَبَوَيْهِ وَجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِـبِ بِـأَنَّهُمْ مِـنْ أَهْـلِ النَّـارِ لَا يُنَافِي الْحَدِيثَ الْـوَارِدَ عَنْـهُ مِـنْ طُـرُقٍ مُتَعَـدِّدَةٍ أَنَّ أَهْـلَ الْفَتْـرَةِ وَالْأَطْفَـالَ[1] وَالْمَجَـانِينَ وَالصُّمَّ يُمْتَحَنُونَ فِي الْعَرَصَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَـا بَسَـطْنَاهُ سَـنَدًا وَمَتْنًـا فِـي تَفْسِـيرِنَا عِنْـدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً» فَيَكُونُ مِنْهُمْ مَنْ يُجِيبُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُجِيبُ. فَيَكُونُ هَؤُلَاءِ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ لَا يجيب فلا منافاة ولله الحمد والمنة. »

ولا يشكل على هذا

قوله ﷺ :«**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْـطَفَى قُرَيْشًـا مِـنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[2] .

(١)الصواب الذي في حديث الأسود بن سريع وغيره أن أهل الفترة يختبرون، أما الأطفال فإنهم في الجنة إجمالاً كما حررته في كتابي«مصير موتى الأطفال في الآخرة».

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث واثلة

وقوله : «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**» (١).

إذ كيف يوصف الخيار– أباؤه وأعمامه – بالكفر ؟»

والجواب :أن المراد بالخيرية هنا:خيرية الجملة التي هو ﷺ فيها على ما يقابلها – يعنى بالنسبة لغيرها من أمم الكفر المقوتة– ولا يجوز غير ذلك(٢).

ولا يقال إن وصف والد النبي ﷺ بالكفر طعن في نسبه، وهو مناف لقول أبي سفيان بن حرب لهرقل:« هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ »(٣) فهذا باب آخر .

فكونه هو في الناس ذو نسب لا يتنافى مع وصفه ﷺ أبويه بالكفر، وإلا لو وجد أبو سفيان طعناً في آبائه بذلك لما سكت عن ذلك، وقد قال بلسانه:« فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ» .

ويسير الأعمال إذا كانت خالصة لله ﷻ كفَّر بها كثيرًا من السيئات

ففي حديث أَبِى مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ**» قَالَ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : «**نَحْنُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٥٧) .

(٢) قاله إبراهيم بن محمد الحلبي في رسالة له في «أبوئ النبي ﷺ» ص(٣٣) .

(٣) والحديث بذلك في الصحيحين وغيرهما.

أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ» [١].

وفي حديث حذيفة مرفوعًا : «**تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لاَ، قَالُوا : تَذَكَّرْ ، قَالَ : كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ** ﷻ : «**تَجَوَّزُوا عَنْهُ**» [٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه [٣].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ**» [٤].

وغُفر لرجل بسقيه لكلب يأكل الثرى من العطش [٥] .

وغفر الله لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث ، كاد أن يقتله العطش ، فنزعت خفها وأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك [٦].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٥٦١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٧٨) ، ومسلم (١٥٦٠) .

(٣) وهو صحيح : أخرجه مسلم (١٥٦٢) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢) ، ومسلم (١٩١٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٦٧) ، ومسلم (٢٢٤٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٢١) .



الحكم بغير ما أنزل الله

تمهيد بشأن التحاكم إلى غير شرع الله ﷻ

اعلم – علمني الله وإياك – أن التحاكم إلى شرع الله ﷻ من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺوالحكم من خصائص توحيد الربوبية .

فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله ﷻ ، وهو كفر وظلم وفسق .

يقول الله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ويقول ﷻ : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقال وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله ﷻ فيه ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٧] .

وبيَّن الله ﷻ أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم جاهلي ، وأن الإعراض عن حكم الله ﷻ سبب لحلول عقابه وبأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين

قال ﷻ : ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ**

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

والحكم بما أنزل الله ﷻ في هذه الآية أُكِّد بمؤكدات ثمانية – واضحة لمن تدبر الآية – (١):

الأول : الأمر به في قوله ﷻ : ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ .

الثاني : أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال كما في قوله ﷻ : ﴿ **وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ .

الثالث : التحذير من عدم تحكيم شرع الله ﷻ في القليل والكثير والصغير والكبير بقوله ﷻ : ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ .

الرابع : أن التولي عن حكم الله ﷻ ، وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم كما قال ﷻ : ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ﴾ .

الخامس : التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله ﷻ ، فإن الشكور من عباد الله قليل كما قال ﷻ : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ .

السادس : وصف الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ بأنه حكم الجاهلين كما قال

---

(١) انظر «وجوب تحكيم شرع الله» لابن باز ص (١٢) بتصرف .

ﷻ : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ .

السابع : تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله ﷻ أحسن الأحكام وأعدلها كما قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ .

الثامن : أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله ﷻ هو خير الأحكام وأكملها وأتمها وأعدلها ، وأن الواجب الانقياد له ، مع الرضا والتسليم كما قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

وهذه المعاني موجودة في آيات كثيرة في القرآن العظيم ، وتدل عليها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله :

من ذلك : قوله ﷻ :﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وقوله ﷻ : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وقد قال ابن عباس لبعض من جادله : «أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ وَيَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟»»[١].

ومعنى هذا أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ ، وتقديمه أوامر الشرع على قول كل أحد ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة[٢] [٣].

(١) وقد أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧) بإسنادٍ لا بأس به ن وله شواهد ذكرتها في كتاب «التوضيحات الجلية في عقيدة أهل السنة» .

(٢) «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه» للشيخ ابن باز ص(١٤) ، وراجع جملة أخبار تدل على هذا في كتابنا «التوضيحات الجلية» .

(٣) ولذلك كانت طاعة غير الله في التحليل والتحريم والتشريع شركًا أكبر ، وطاعة القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية من اتخاذ أرباب من دون الله بطاعتهم هذه ؛ لأنهم اتبعوهم مع معرفتهم أنهم بدَّلوا الشرع ، وخالفوا الرسول ﷺ وأقروهم على هذا التبديل ، فمن اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين ، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله ؛ فهو مشرك كما جزم بذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠) .

أما إذا اعتقد أن فعلهم خطأ مخالف ومعصية لكنه خالفه لغلب الشهوة عليه فهو مذنب، لكن لا يصل به الأمر إلى الشرك كما فَصَّله شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٧/ ٧٠) ، بل من شك في كفر النوع الأول فهو مطموس البصيرة ، فقد قال ﷻ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقال ﷺ : «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» وهو في الصحيح (٤٣٤٠) ، ومسلم (١٨٤٠) .

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام (٧/ ٧١) ثم قال :

=

وما أسفه رأي من لديه كلام الله ﷻ ، لينطق بالحق ويفصِّل في الأمور، ويبين الطريق ويهدي الضال ، ثم ينبذه ليأخذ بدلاً منه أقوال رجل من الناس، أو نظام دولة من الدول ، ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة فلم يُحَصِّلوا الفلاح والسعادة في الدنيا ، ولم يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة؟» (١).

أسأل الله أن يفتح ويرشد بهذا القدر – الذي قلتُه – أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ، وأن تكون مذكِّرة للقوم ومنبِّهة لهم للتفكر في أحوالهم والنظر فيما فعلوه وفيما جنته أيديهم وأفهامهم وفيما فعلوه في شعوبِهم وأقوامِهم وعشائِرهم وأُسرهم ، فيعودوا إلى رشدهم ، ويلزموا كتاب ربهم ﷻ ، وسنة رسولهم ﷺ ؛ ليكونوا من خير أمة أخرجت للناس حقًا ، وليُرفع ذكرهم بين شعوب الأرض كما ارتفع به أسلافنا ﷡ من الصحابة والقرون المفضلة حتى ملكوا الأرض ، وسادوا الدنيا ، ودانت العباد لله ، كل ذلك بنصر الله

=

«ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه ، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال» .

فكيف بمن يجعل من نفسه مشرِّعًا ، ويوجب على الناس الالتزام لقواضيه كالمتصوفة والديمقراطيين والروافض ونحوهم ، ينازعون الله في حكمه وخصوصيته ثم يوجبون على الناس طاعتهم في ضلالهم ويعاقبون من يخالفهم؟» .

(١) «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه» ص(٢١) .

الذي ينصر عباده المؤمنين الذين استجابوا لله ورسوله.

ولينظر هؤلاء المخالفون للأحكام الشرعية أي كنز أضاعوا ؟» وأي جُرم ارتكبوا ؟»وما جرَّوه على أممهم من البلاء والمصائب، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف يُسألون .

واعلم أن من العبادات التي لا تصرف إلا لله ﷻ التحاكم إلى شرعه، وقد أنكر الله ﷻ إيمان قوم يريدون أن يتحاكموا إلى غير شرعه بالتناقض إذا ادعوا الإيمان .

فقال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠] .

فمن لم يحكم بما أنزل الله ﷻ فأولئك هم الكافرون والعياذ بالله.

وهذا الكفر قد يكون كفرًا أكبر ، وقد يكون كفرًا أصغر (١)

---

(١) قال ابن عباس في «تفسير الآية» : «وهي كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر» وفي رواية : «هي كفر وليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه» ، وفي الصحيحين في حديث كفران العشير : «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ» ، وفي غير هذا الحديث تسمية النبي ﷺ لبعض المعاصي كمن يرغب عن أبيه بالكفر ، وأثر ابن عباس هذا أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كذلك ، وراجع «تفسير الطبري» ، و«تفسير ابن أبي حاتم» للآية ، فليست الآية صريحة في الكفر الذي يذهب الناس إليه من الكفر الأكبر ، وهو قول عطاء وطاووس رحمهما الله، فانظر سبب نزولها.
=

أما الكفر الأصغر : فهو لا ينقل عن الملة ، لكنه معصية لا يوجب الخلود في النار ، ومثاله : كمن تَحمله شهوته أو هواه أو الحاجة إلي الرشوة أو غيرها على الحكم في قضية – أو قضايا ولو كثرت – بغير ما أنزل الله مع إقراره واعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، وأنه الأصل الذي يحكم به ، ويَعترف على نفسه بالخطأ والظلم فهذا معصية وكبيرة .

قال ﷻ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

فمثل الكفر الأصغر: سبّ المسلم وقتاله والنياحة وغير ذلك مما ورد تسميته كفرًا ، لكن هناك أدلة أثبتت لفاعله الإيمان .

وأما الكفر الأكبر بالنسبة للحاكمية ؛ فخمسة أنواع:

الأول : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ﷺ، وهذا ما لانزاع فيه بين أهل العلم .

فإن الأصول المقرَّرة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعًا مجمعًا عليه، أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول ﷺ قطعيًا فإنه كافراً

=

وقد أشرنا إلى تخريج أوسع للأثر في كتابنا الآخر «التوضيحات الجلية» ، وذكرنا دلائل هذا التقسيم للكفر والفسق والظلم والنفاق ، وأن منه أكبرًا وأصغرًا .

ناقلاً عن الملة[١].

الثاني : أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا ، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع[٢].

وحكم الله ورسوله ﷺ لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث، فما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ نصًا أو ظاهرًا أو استنباطًا أو غير ذلك ، علمه من علمه ، وجهله من جهله[٣].

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ﷺ ، لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية الخالق بالمخلوق[٤].

---

(١) ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ [الأنعام : ٢١] ، فإنكار المعلوم من الدين بالضرورة تكذيب لله ﷻ ، وتكذيب لرسوله ﷺ .

(٢) والفرق بين هذا والذي قبله أن الأول يقول : إن الحكم بما أنزل الله لا يصلح ، والثاني يقول : الحكم بغير ما أنزل الله حق جيد وحسن، ولكن حكم غيره أفضل ، وكأن هذا الثاني يفضل تحكيم أحكام المخلوقين التي هي زبالة الأذهان وحثالة الأفكار على أحكام الخالق سبحانه العزيز القهار .

(٣) قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠].

(٤) وأهل النار يقولون : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨] .
=

الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله ، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه ، لكن إذا اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ؛ فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه ؛ لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة بتحريمه .

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله ﷺ، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ، إعدادًا وإمدادًا، وإرصادًا، وتأصيلاً وتفريعًا وتشكيلاً وتنويعًا حكمًا وإلزامًا ، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي ، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك[1][2].

=

وقال سبحانه عن الذين كفروا : ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١]، وقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] فهؤلاء يسوون بين الله وخلقه.

(١) انظر «تحكيم القوانين» للشيخ محمد بن إبراهيم ص(٢٨) وما بعدها .

(٢) كلمة العلماء على أن الحاكم لا يكفر بمجرد حكمه بغير ما أنزل الله .

=

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

من أنواع شرك الربوبية الحكم بغير ما أنزل الله ، والحكم بغير ما أنزل الله أقسام تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم ، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين ، وهكذا من يُحكّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ، فهو كافر عند المسلمين ، وهكذا من يُحكّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ، ويرى أن ذلك جائزًا ، ولو قال : إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحل ما حرَّم الله ، أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعًا للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه أو لأسباب أخرى ، وهو يعلم أنه عاص لله بذلك، وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله فهذا يعتبر من أهل المعاصي والكبائر ، ويعتبر قد أتى كفرًا

=

إلا أن يكون مستحلاً جاحدًا معتقدًا صحة ذلك وجوازه لا لهوىٰ ولا لرشوة أو عداوة بينه وبين المحكوم عليه أو لأسباب أخرىٰ كما نص علىٰ نحو ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، والشنقيطي، واللجنة الدائمة ، بل والشيخ محمد بن إبراهيم نفسه كما نقلت خصوص أقوالهم في «التوضيحات الجلية» .

ونص كلام الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في «رسائله» (١/ ٦٥ ، ١٠/ ٤) : «تحقيق معنىٰ محمد رسول الله ﷺ من تحكيم شريعته والتقيد بها ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقدًا صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة ، وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة ، وهو مؤيد بقول ابن عباس وطاووس وغيرهما».

أصغر ، وظلمًا أصغر وفسقًا أصغر كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس ﷺ[١] وعن طاووس وجماعة من السلف الصالح ، وهو المعروف عند أهل العلم ، والله أعلم [٢].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله[٣]:

من حكم بغير ما أنزل الله بدلاً عن دين الله فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة ؛ لأنه جعل نفسه مشرِّعًا مع الله ﷻ ، ولأنه كاره لشريعته ومن حكم به هوى في نفسه أو خوفًا عليها أو ما أشبه ذلك ، فهذا لا يكفر ولكنه ينتقل إلى الفسق، كمن حكم به عدوانًا وظلمًا ، **وهذا لا يتأتى في حكم القوانين ، ولكن يتأتى في حكم خاص؛** مثل أن يحكم على إنسان بغير ما أنزل الله لينتقم منه ، فهذا يقال : إنه ظالم ، فتنزل الأوصاف على حسب الأحوال ، ومن العلماء من قال: إنها أوصاف لموصوف واحد ، وأن كل كافر ظالم ، وكل كافر فاسق، واستدلوا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ** ﴾ [السجدة : ٢٠] ، وهذا هو الفسق الأكبر، ومهما كان الأمر فكما أشار الشيخ الألباني رحمه الله أن الإنسان ينظر ماذا تكون

(١) الذي تقدم ذكره .

(٢) فتاوى الشيخ ابن باز (٣٤١٦) عن «فتاوى مهمة» ص(١٤٣) .

(٣) في تعليقه على كلمة الألباني رحمه الله وتقريظ الشيخ ابن باز رحمه الله على كتاب «فتنة التكفير» .

النتيجة؟ ليست المسألة نظرية، لكن المهم التطبيق العملي ما هي النتيجة ؟»[١]

الدليل على أن الكفر والظلم والفسق والنفاق جاء في النصوص على قسمين

أكبر: يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

وأصغر: ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه من الملة.

وأن هناك كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم ونفاق دون نفاق .

الكفر قسمان : أكبر وأصغر

الكفر الأكبر

قال ﷻ في بيان الكفر الأكبر : ﴿ **إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا . إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [النساء : ١٦٧ - ١٦٩] .

الكفر الأصغر :

وقال ﷺ في بيان الكفر الأصغر : «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» [٢].

---

(١) وهي إشارة دقيقة من رجل يفهم عواقب الأمور ليت إخواننا يتأملونها .

(٢) صحيح متفق عليه

وقد قال الترمذي عقب هذا الحديث (٢٦٣٥) :

=

مع أنه ﷻ قد أثبت الأخوة الإيمانية مع وجود القتال فقال: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات : ٩] .

ثم قال ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقال ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[1]، فسمَّاهما مسلمتين مع وجود المقاتلة ، ولو كان الإنسان بقتله لأخيه كافرًا ما أطلق الله عليهما الإسلام.

وقد سمى عليٌّ بنُ أبي طالب طائفةَ معاوية التي كانت تقاتله : المؤمنين ، وقال : من الكفر فروا ، وقال : إخواننا قد بغوا علينا[2] .

والظلم قسمان : أكبر وأصغر

الظلم الأكبر :

=

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ قِتَالُهُ كُفْرٌ لَيْسَ بِهِ كُفْرًا مِثْلَ الارْتِدَادِ وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ × أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ قُتِلَ مُتَعَمِّدًا فَأَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءُوا قَتَلُوا وَإِنْ شَاءُوا عَفَوْا» (وقد أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢) وبعض أصحاب السنن بإسنادٍ حسن) وَلَوْ كَانَ الْقَتْلُ كُفْرًا لَوَجَبَ قَتْلُه، فإن العمد قود كما هو معلوم
وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُسٍ وَعَطَاءٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَفُسُوقٌ دُونَ فُسُوق»
.

(١) وهو صحيح واضح في إثبات الإسلام مع وجود المقاتلة .

(٢) وقد بينا ذلك في كتابنا «التوضيحات الجلية» .

هو الوارد في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان : ١٣] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ [المائدة : ٧٢] .

فالظلم هنا هو الأكبر المخرج من الملة .

وأما الظلم الأصغر :

فهو الوارد في مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ... الآية** ﴾ [الطلاق : ١] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا** ﴾ [النساء : ١٠] .

وقول الصحابة رضي الله عنهم لما نزل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ**

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

فالظلم في هذه الأدلة ليس المخرج من الملة ، والصحابة رضي الله عنهم فهموا من قوله «بظلم» عموم أنواع المعاصي ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك ، وإنما بين لهم أن المراد في هذه الآية : أعظم أنواع الظلم - كما في طرق الحديث - ، وبين لهم أن ظاهر الآية غير مراد ، وهو الشرك ، فدل على أن للظلم مراتب متفاوتة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : في الحديث أن درجات الظلم تتفاوت كما قال المؤلف[٢]، وهو في الآية دليل على أن المشرك غير آمن[٣].

الفسق قسمان : أكبر وأصغر

الفسق الأكبر الوارد في مثل :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [الكهف : ٥٠] فالفسق هنا الكفر .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : ٦٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢) وبوب له باب : «ظلم دون ظلم» .

(٢) «فتح الباري» (١/ ١١٣) .

(٣) فإن قيل : كيف يأمن من لم يشرك مع أننا نجد العاصي غير المشرك قد يعذب وتكون معيشته ضنكا فأجاب الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٣) بأنه آمن من التخليد في النار مهتد إلى طريق الجنة مع حاله هذا بخلاف المشرك .

وقوله ﷻ : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] .

وقوله ﷻ عن لوط عليه السلام : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤] .

وقال في الفسق الأصغر :

في الذين يرمون المحصنات : ﴿ وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] .

وقال ﷻ : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وقال ﷺ : «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ**».

والفسوق هنا الأصغر الذي لا يُخرج من الملة .

والنفاق قسمان : أكبر وأصغر

مثال النفاق الأكبر :

قول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٨ ، ٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

والنفاق الأصغر مثاله :

قوله ﷺ : «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[2] .

وقول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة في حديث الإفك : «**إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ**» [3] .

ولم يكفره النبيّ ﷺ بذلك إذ رمى أخاه بالنفاق ، فتبين أن أسيد بن حضير إنما عنى النفاق الأصغر ، فلم يكن أسيد يقصد أن سعد بن عبادة قد خرج من الإسلام .

ومَن لم يُقسِّمْ الكفر والفسق والظلم والنفاق إلى هذا التقسيم اضطرب فهمُهُ ، وتعارضت الأدلة التي ذكرناها عنده ، وخالف ترجمان القرآن وحَبْر

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤) ، وأراد ما وضحناه في الباب ، فراجع «الفتح» (١/ ١١٣) .

وقد أخرجه البخاري من رواية قبيصة عن سفيان ، وفيها كلام ، لكن أشار البخاري إلى متابعة شعبة له ، وليس ثم مخالفة في المتن ، وإنما فيه زيادة ثقة ، والله أعلم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

الأُمَّة بحق المعلَّم التأويلَ بشهادة رسول رب العالمين ﷺ

وسيأتي بحث مستقل عن النفاق تعريفه وحكمه وخصال المتصف به إن شاء الله .

وما تمسَّك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق والنفاق والظلم ، واستدلالهم به على أنه الكفر الأكبر المخرج من الملة فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة ، وأذهانهم البعيدة ، وقلوبهم الغلف ، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله[1]

فقالت الخوارج :

المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية ، لا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولو أقر لله تعالى

(١) وهذا التقسيم للكفر والفسق والظلم والنفاق قد حكاه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» ، وصاحب «معارج القبول» ، وشارح «الطحاوية» ، وغيرهم ، وهو المؤيَّد بالأدلة المذكورة ، وقول عمر لحذيفة رضي الله عنهما : «بِاللهِ مِنْهُمْ أَنَا ؟ - أي من المنافقين - قَالَ حذيفة رضي الله عنه : لاَ ، وَلَنْ أُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ» .

الذي أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨١) ، ووكيع في «الزهد» (٤٧٠) بإسنادٍ صحيح معنيٌّ به : نفاق العمل الذي لا يخرج من الملة ، لا نفاق الاعتقاد ، فعمر رضي الله عنه يعني صفات المنافقين الفعلية ، وأراد نفاق العمل لا نفاق الكفر الخالص ، وهذا فهم عمر رضي الله عنه ، ويؤيده وصفه بالخالص في قوله ﷺ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا» كما فسره شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١/ ١١٥) .

بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ وصلى وصام وزكى وحج وجاهد، وهو مخلد في النار أبدا مع إبليس وجنوده ، ومع فرعون وهامان وقارون .

وقالت المعتزلة :

العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ، ولكن نسميهم : فاسقين ، فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين ، ولكنهم لم يحكموا به بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين ، بل قضوا بتخليده في النار أبدًا كالذين من قبلهم ، فوافقوا الخوارج مآلاً ، وخالفوهم مقالاً ، وكان الكل مخطئين ضلالاً .

وقابل ذلك المرجئة فقالوا :

لا تضر المعاصي مع الإيمان لا بنقص ولا منافاة ولا يدخل النارَ أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية ،ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحِّد وبين إيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنه ،حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة،ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين إذا كان الكل مستوفى النطق بالشهادتين، نسأل الله سبحانه وتعالى العافية[١].

وإذا كان بعض هؤلاء الطوائف لا يقولون بالتفريق بين الأكبر والأصغر من الكفر والظلم والفسق والنفاق ويحملون مثل حديث: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» على نفي أصل الإيمان ؛ فكيف يجيبون على قول رسول الله ﷺ : «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ :«وَإِنْ زَنَا وَإِنْ

(١) «معارج القبول» (٣/ ١٠١٩ ، ١٠٢٠) .

سَرَقَ» ويكرر أبو الدرداء السؤال ويكرر ﷺ الجواب : «**وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ**» ، وقال : «**رَغْمِ أَنْفِ أَبِي الدرداء وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ**» ؟»[(١)]

ومما يدل على أن مرتكب الزنا وغيره لا يكفر بهذا الفعل: إِجْمَاعِ الأُمَةَ عَلَى تَوْرِيثِ الزَّانِي وَالسَّارِقِ وَشَارِبِ الْخَمْرِ–إِذَا صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَةِ وَانْتَحَلُوا دَعْوَةَ الإِسْلامِ – مِنْ قَرَابَاتِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا بِتِلْكَ الأَحْوَالِ وقد نقل هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] .

ولو رُدت شبهات أهل البدع إلى العلماء لعَلم حسن التوجيه فيها الذين يستنبطونها منهم كما انتهت محنة الخوارج الأولى لما عرضت على أهل العلم مع كونها كانت فتنة مستجدة .

أخرج مسلم في صحيحه[(٣)] من طريق يزيد الفقير قال :كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ[(٤)] فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ ثُمَّ

---

(١) أخرجه بنحوه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٩٩) وإسناده قوي إلا أن أبا صالح لم يسمع من أبي ذر ، وأبو الدرداء وأبو ذر قد ماتا في عام واحد ، فالله أعلم .

لكن قولهﷺ لأبي ذر «وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ ، رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذر وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ» ثابت أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (٩٤) ، فالمعنى ثابت ، والله أعلم .

(٢) كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٠) وغيره .

(٣) برقم (١٩١) .

(٤) يعني : أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار ، ولا يخرج منها من دخلها .

نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ[١].

قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ [٢].

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ :يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿ **إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ** ﴾ وَ ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾ .

فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟»

قَالَ : فَقَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ .

قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ :فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ .

قَالَ : ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَأَخَافُ أَنْ لاَ أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ .

قَالَ : غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا .

---

(١) يعني : يريدون أن يحجون ثم يخرجون على الناس برأي الخوارج .

(٢) الوارد ذكرهم في حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ » أخرجه البخاري(٦٥٥٩) ومسلم (١٩١).

قَالَ : يَعْنِى فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ .

قَالَ : فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ .

فَرَجَعْنَا قُلْنَا : وَيْحَكُمْ » .

أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَرَجَعْنَا فَلاَ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ» [١].

وأما تكفير الهازل بالدين وساب الرسول ﷺ والاستهانة بالكتاب وبأهل الدين والعلم والقرآن والسجود للصنم مع أن كفرهم هنالك كان كفرًا عمليًا وسبق أن الكفر العملي هو الكفر دون الكفر ؟

فالجواب :

أنَّ هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العمليّ إلاَّ من جهة كونها واقعةً بعمل الجوارح فيما يظهرُ للنَّاس، ولكنَّها لا تقع إلاَّ مع ذهاب عملِ القلب من نيَّتِه وإخلاصه ومحبَّته وانقياده، فلم يعد شيء من هذه الأوصاف مع هذا المحكوم عليه بالكفر ، ولم تكن هذه تقع إلاَّ من منافقٍ مارق أو معاندٍ مارد، وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أَنْ «قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا» إلاَّ ذلك مع قولهم لَمَّا سئلوا : **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا**

---

(١) يعني : أنهم تابوا مما كانوا يعتقدون وتركوا مذهب الخوارج إلا رجلاً واحدًا .

تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] ، ونحن لم نعرِّف الكفر الأصغر بالعمليّ مطلقاً ، بل الكفر الأصغر يعرف بأنه العمليّ المَحْض الَّذي لم يستلزم الاعتقادَ ، ولم يناقض قولَ القلب ولا عملَه؟» [(١)].

وقال الشيخ الفوزان [(٢)] :« حكم على المنافقين بالكفر بعد الإيمان بموجب قولهم : «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أجبن عند اللقاء» ... يعنون رسول الله ع وأصحابه فأنزل الله فيهم قوله سبحانه وتعالى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [التوبة : ٦٥ ،٦٦].. فكفرهم بهذه المقالة ولم يشترط في كفرهم أنهم كانوا يعتقدون ذلك بقلوبهم ، بل إنه حكم عليهم بالكفر بموجب هذه المقالة وهم يقولون { إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ } يعني لم نقصد ما قلنا بقلوبنا . وكذلك قوله تعالى : { يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ } [التوبة : ٧٤] فرتب الكفر على قول كلمة الكفر . وأخبرهم أنهم كفروا بعد إسلامهم .

قال العلماء :

فَلَمَّا كَانَ الظُّلْمُ ظلمين وَالْفِسْقُ فسقين كَذَلِكَ الْكُفْرُ كُفْرَينِ : **أَحَدُهُمَا يَنْقلُ عَنْ الْمِلَّةِ ، والآخَرُ لا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ .**

وَكَذَلِكَ الشِّرْكُ شِرْكَانِ :

(١) انظر «٢٠٠ سؤال في العقيدة» ص(٧٤) بتصرف .

(٢) في«مسائل في الإيمان» ص٢٤-٢٥.

شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ ، وَشِرْكٌ فِي الْعَمَلِ لا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَهُوَ الرِّيَاءُ قَالَ ﷻ : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠] يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُرَاءَاةَ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» [(١)] [(٢)].

قال ابن مسعود : «وما منا إلا ولكن يذهبه الله بالتوكل» ، فرأى عبد الله ابن مسعود أن التطير وإن وقع ؛ فإنه لا يعد من الشرك الأكبر ، فلم يك ينفع معه التوكل، وقد ذكرنا ضوابط التفرقة بين الكفر الأكبر والأصغر فيما تقدم .

وللحكم بالكفر شروط يجب مراعاتها قبل إطلاق الكفر على معين

فمنها : أن يكون الواقع في الكفر عامدًا عالمًا بأن ما فعله كفر .

ومنها : أن لا يكون مُكرهًا أو جاهلاً جهلاً يعذر مثله به ؛ كمن كان حديث عهد بالإسلام ولم يعلم بعض شرائعه التي من فعلها كفر .

ومنها : أن لا يكون مخطئًا بسبق لسان أو اجتهاد أو نحو ذلك ، أو يكون ناسيًا ؛ لأن المخطيء والناسي والساهي معفوٌّ عنه كما قال ﷻ : ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦].

فقد يقع المسلم في بعض أنواع الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر والتي قال

(١) «مجموع الفتاوىٰ» شيخ الإسلام (٧/ ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

(٢) والحديث صحيح تقدم التعليق عليه .

أهل العلم : أن من فعلها فقد كفر ، ولكن لا يحكم على هذا المسلم المعين بالكفر، وذلك لفقد شرط من شروط الحكم عليه بالكفر ، أو لوجود مانع.

فمن ذلك كأن يكون جاهلاً كما في قصة الذي أمر أولاده إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا رماده في يوم شديد الريح وقال : «**وَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ الله عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا ، فَغَفَرَ الله لَه**»[(1)].

فهو قد شك في قدرة الله ﷻ على إعادة خلقه ، بل اعتقد أن لا يعاد إن فُعل به هكذا ، وهذا كفر باتفاق المسلمين ، ومع ذلك غفر الله ﷻ له لجهله وخوفه من ربه .

وكذلك : لا بد من شروط في المحكوم عليه بالكفر ؛ كوجود العقل والبلوغ وبلوغ الحجة التي يكفر منكرها من شخص يُحتج به عند من تقوم عليه الحجة، وأن يكون قاصدًا غير مخطئ ولا مكره[(2)].

وأن تنتفي موانع التكفير : كالجنون والصغر وعدم بلوغ الحجة والخطأ والنسيان والإكراه والتأويل ونحو ذلك .

ومن موانع التكفير للمعين :

التأويل: وهو أن يرتكب المسلم أمرًا كفريًا معتقدًا مشروعيته أو إباحته له لدليل يرى صحته أو لأمر يراه عذرًا له في ذلك وهو مخطئ في ذلك كله ، فإذا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٠٦) ، ومسلم (٢٧٥٦) .

(٢) وراجع «تفسير البغوي» (١/ ٦٠) .

أنكر المسلم أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة مثلاً أو فعل ما يدل على إنكاره لذلك ، وكان عنده شبهة تأويل ، فإنه يعذر بذلك ، ولو كانت هذه الشبهة ضعيفة إذا كان هذا التأويل سائغًا في اللغة وله وجه في العلم ، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة .

وعلى وجه العموم : عذر التأويل من أوسع موانع تكفير المعين ، ولهذا ذكر بعض أهل العلم أنه إذا بلغ الدليل المتأول فيما خالف فيه ولم يرجع وكان في المسألة يحتمل وقوع الخطأ فيها ، واحتمل بقاء الشبهة في قلب من أخطأ فيها لشبهة أُثيرت حولها أو لملابسات أحاطت بها في واقعة معينة أنه لا يحكم بكفره لقوله ﷻ : ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾[الأحزاب : ٥] [(١)] .

تنبيه : وليعلم أن المُكفِّر أو المفسِّق لمعين إذا لم يكن هذا المعين أهلاً لذلك ترتدّ علي من رَمى .

ففي حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ ، إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»[(٢)] .

(١) «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» (٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٥) .

وقال ﷺ : «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١). فكيف يرميه بالكفر الذي هو أعظم من قتله ؟»

تنبيه :

يمنع العامة وصغار طلاب العلم أن يتكلموا في مسائل التكفير ، فإن تركهم ربما أدَّى تكفير علماء المسلمين دون الرجوع في ذلك إلى أهل العلم الذين يفهمون حيثيات المعين .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ :

إِنَّ تَسْلِيطَ الْجُهَّال عَلَى تَكْفِيرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ ؛ وَإِنَّمَا أَصْلُ هَذَا مِنْ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ أَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِمَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَخْطَئُوا فِيهِ مِنْ الدِّينِ . وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لا يَجُوزُ تَكْفِيرُهُمْ بِمُجَرَّدِ الْخَطَأِ الْمَحْضِ(٢).

تنبيه :

ربما يقول الرجل الكفر أو يعمل به ثم لا يكون كافرًا؛ لأن فيه مانعًا من موانع الحكم عليه بالكفر، وكذلك من ابتدع .

فقد يقول الرجل بالبدع ولا يكون مبتدعاً، فتنبه.

بينما آخر لو فعل أو قال نفس الفعل يكون كافرًا؛ لعدم وجود المانع من

---

(١) وهو حديث متفق عليه .

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٠٠) .

الحكم عليه بالتكفير.

ولهذا كان أهل السنة والعلم لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ؛ كمن كذب عليك وزنا بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الزنا والكذب حرام لحق الله سبحانه وتعالى .

وكذلك التكفير حق لله تعالى ، فلا يُكفَّر إلا من كفَّره الله عز وجل ورسوله ﷺ أيضًا ، فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس من جهل شيئًا من الدين كفر .

وقال شيخ الإسلام في «الرد على البكري» (٢/ ٤٩٤) :

لهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية و النفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم :

أنا لو وافقتكم كنت كافرًا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون ؛ لأنكم جهال .

وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم و شيوخهم وأمرائهم ، وأصل جهلهم شبهات عقلية .

ولعن المسلم المعين حرام ، وهو كقتله

قال ﷺ : «**مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهْوَ كَقَتْلِهِ**»[1].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥١٩٤) ، ومسلم (١٤٣٦) .

وقد ورد في لعن المسلم الذي من اتصف ببعض الصفات أحاديث

ففي الجار المؤذي :

قال الصحابة رضي الله عنهم : «لعن الله جارك» ، وقد علم النبيّ ذلك وسكت ولم يتعقب بشيء ، بل أمر بما يترتب عليه ذلك كما بينته في كتابي «فقه التعامل مع الجار».

وقد قال رسول الله ﷺ : «**اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً**»[١].

وفي صحيح مسلم[٢] قول رسول الله ﷺ : «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**».

ومن هذا الباب قول النبيّ ﷺ : «**إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[٣]. وغير ذلك .

فهذا محمول على جواز لعن من يفعل هذه الأعمال وأشباهها جملة لا تعيينًا إلا في الحديث الأول في الجار، وفي الأخذ بعمومه نظر، وإلا فالجار في شكايته ما عيَّن الصحابي الذي لعنوه، والله أعلم، فتنبه .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري ، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له .

(٢) برقم (١٨٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٤) ، ومسلم (١٤٣٦) .

أما العاصي المعين :

فإن الصحابة رضي الله عنهم لما جيء بشارب خمر وقد حُدّ مرارًا، وقال بعض من حضره : مَالَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**»[(١)].

فلا يُلعن المسلم تعيينًا، وإن عصى بخلاف الكافر ، فإنه يجوز لعنه جملة وتعيينًا– على خلاف في الأخير–[(٢)].وأوضحت ذلك في غير هذا الموطن.

---

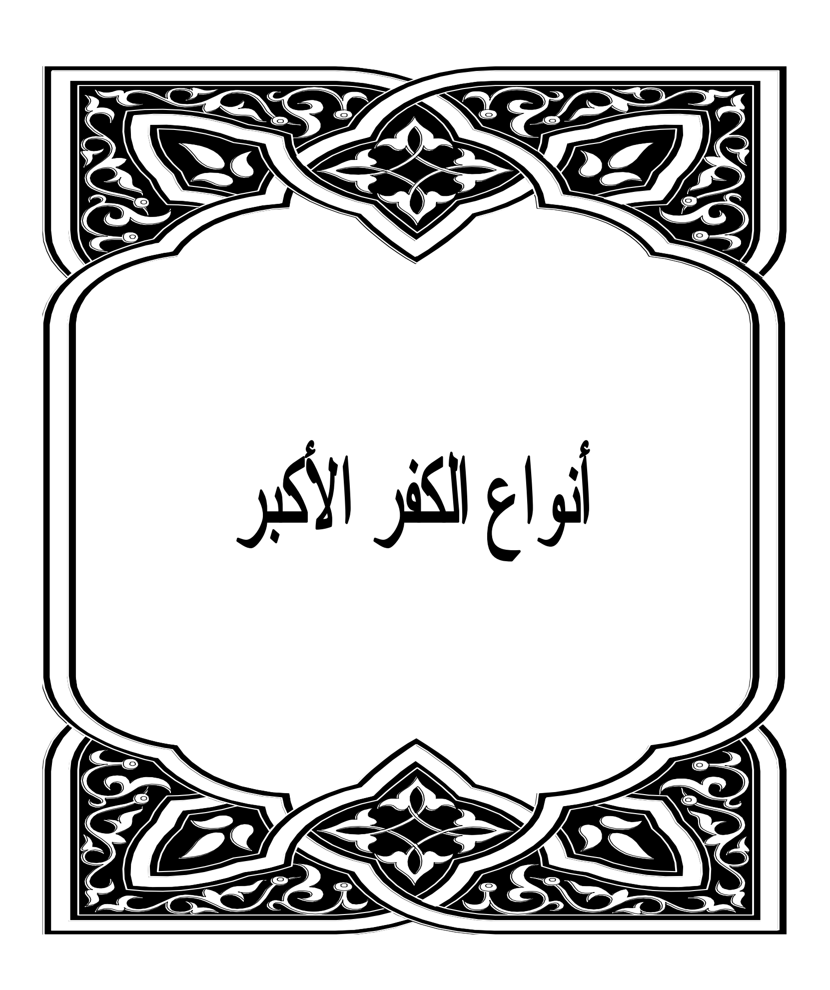
(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٨١) .

(٢) **فجواز لعنهم جملة** : لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤]، وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]، وقال ﷻ في قوم فرعون : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾ [هود: ٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

أما تعيينًا : فقد لعن النبي ﷺ الحكم وما ولد أخرجه أحمد (٤/ ٥) بإسناد صحيح .

وفي صحيح مسلم (٢٦٠٠) «دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلاَنِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لاَ أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا» . ومن جاز قتله من الكفار جاز لعنه إذ قتله كلعنه .

والظاهر أن هؤلاء من الكفار؛ لأن النبي ﷺ لم يكن ليسب أو يكفر مسلمًا ، والله أعلم .



أنواع الكفر الأكبر

تمهيد

أنبه فيه إلى أن :

الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان(١).

وقد ذكر الشيخ حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ تقسيم الكفر إلى أربعة أنواع فقال(٢):

كل من كفر إما كفره كفر جهل وتكذيب ، أو كفر جحود ، أو كفر عناد واستكبار ، أو كفر نفاق .

الأول : **كفر الجهل والتكذيب**

وهو من كان كفره ظاهرًا أو باطنًا ؛ ككفر غالب الكفار من قريش ومن قبلهم من الأمم الذين قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيهم : **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** [غافر : ٧٠] .

---

(١) قاله ابن القيم في «الصلاة» ص (٧٠) .

(٢) بتصرف من «٢٠٠ سؤال في العقيدة» ص (٧١ - ٧٢) .

وهم المعنيون في كيفية التعامل معهم في قوله ﷻ لرسوله ﷺ : ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

ومثالهم المذكور في قوله ﷻ : ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النمل : ٨٣ ، ٨٤] .

وقال ﷻ عنهم : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** ﴾ [يونس : ٣٩] .

الثاني : كفر جحود

وهو ما كان بكتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهرًا مع العلم به ومعرفته باطنًا ؛ ككفر فرعون وقومه بموسى ، وكفر اليهود بمحمد ﷺ ، فقد قال الله ﷻ في كفر فرعون وقومه : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل : ١٤] .

وقال ﷻ في اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وهم المذكورون في قوله ﷻ : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وتارك الصلاة له حظ من هذا النوع فما انقاد، ولذلك قال رسول الله ﷺ

عمن لم يحافظ على الصلاة : «... لم تَكُنْ له نُورًا وَلاَ بُرْهَانًا وَلاَ نَجَاةً وكان يوم الْقِيَامَةِ مع فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ وَهَامَانَ وَأُبَيٍّ بن خلف» ، وهو حديث حسن ثابت كما ذكرته في غير ذلك الموطن .

والثالث : كفر العناد والاستكبار

وهو الكفر الذي يحمل صاحبه على عدم الانقياد للحق والامتناع من قبوله مع الإقرار به ؛ ككفر إبليس الذي بينه الله ﷻ بقوله : ﴿ **فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وإبليس لم يمكنه جحود أمر الله بالسجود ولا إنكاره ، وإنما اعترض عليه وطعن في حكمه الآمر به وعدله وقال : ﴿ **أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾ [الإسراء : ٦١] . ﴿ **لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾ [الحجر : ٣٣] ، وقال : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [الأعراف : ١٢] .

والممتنع من الصلاة له حظ من هذا النوع من أنواع الكفر ، ولذلك قال ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١) .

ولذلك لَمَّا يسجد المؤمن لربه يكون هو وإبليس طرفي نقيض، ولذلك يتولى عن ابن آدم يبكي حينما يراه يسجد ويقول:«يَا وَيْلِى أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِىَ النَّارُ»(٢) .

---

(١) وهو حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٤٦) ، والنسائي (٤٦٣) من حديث بن بريدة .

(٢) كما في صحيح مسلم (٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

والرابع : كفر النفاق

فهو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله مع الانقياد ظاهرًا رئاء الناس ؛ ككفر ابن سلول وحزبه الذين أظهروا حب الجهاد مع رسول الله ﷺ وعدم الاعتراض ، ولما برزوا قالوا : ﴿ **لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ** ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

وقال الله سبحانه وتعالى فيهم : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ**

اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٨ - ٢٠] .

والعبد قد يقع في الكفر بسبب إنكاره أحكامًا أو أخبارًا معلومة من الدين بالضرورة – وإن كان مقرًا في قرارة نفسه أن ما أنكره صحيح

فالذين قال الله ﷻ عنهم :﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾ [ق : ٢] .

وتعجبهم كان بسبب إنكارهم فهو عَجَبُ استكبار، وقد علم أبو جهل وفرعون وأبو لهب وأضرابهم الحق ولكن ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل : ١٤] .

وقد يقع المرء في الكفر بسبب ظن أوشك يجعله يتردد في الإيمان بقدرة الله ﷻ أو عذاب القبر أو صحة القرآن أو شيء مما دل عليه القرآن أو السنة دلالة صريحة قطعية كوجوب الزكاة أو تكفير اليهود والنصارى

كما حكم الله بكفر من شك أن جنَّته لا تبيد أبدًا

حيث قال : ﴿ **مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** ﴾ [الكهف : ٣٥].

وقال : ﴿ **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا** ﴾ [الكهف : ٣٦] .

وقال : ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾ [الكهف : ٣٧] .

وقد يقع المرء في الكفر بسبب استهزائه بشيء مما أنزل الله ﷻ أو الاستهزاء بالصالحين أو الشهداء أو العلماء ونحوهم ممن رفع الله ﷻ درجاتهم .

وهو كفر ابن سلول عليه لعنة الله هو ومن معه لما استهزؤوا بالقراء، وقالوا: ما نرى مثل قرائنا أكذبنا أجبننا عند اللقاء يقولون هذا هزوًا ولعبًا.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]

وبغض شيء مما أنزل الله ﷻ من شرائعه أو أحكامه كالقصاص أو غض البصر أو الاختلاط ونحو ذلك يوقع العبد في الكفر

قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٨، ٩].

والذي يدل الكفار على بعض أسرار تؤثر على المسلمين هزيمة أو تؤخر نصرهم هو مرتد حلال الدم (١)، تضرب عنقه لخيانته لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ فكيف بمن تعاون معهم وخطط لهم لضرب المسلمين أو أيدهم بتأييد مادي أو بالمقال المكتوب أو المساعدة المادية؟» فكيف بمن زاد على ذلك ...؟» نعوذ بالله من الحور بعد الكور

فقد أخرج البخاري[٢] **عن** علي بن أبي طالب قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) هذا إجمالاً لا تعييناً، وإذا فعل الرجل ما ظاهره الكفر المحتمل، فالقول قوله فيه، لا عبرة باستنباط غيره كما سيأتي في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٤٢٧٤).

أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ : «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً**[١] **مَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوا مِنْهَا**» . قَالَ : فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ . قَالَتْ : مَا مَعِي كِتَابٌ . فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ[٢] ، قَالَ : فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُول اللَّهِ ﷺ[٣] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا**» . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا

---

(١) وفي رواية : «تجدون بها امرأة» ، والمقصود بالظعينة : المرأة ، وفي رواية للبخاري (٦٩٣٩) : «فَإِنَّ فِيهَا امْرَأَةً مَعَهَا صَحِيفَةٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَأْتُونِى بِهَا» ، وسميت ظعينة ؛ لأنها تركب الظعين التي تظعن براكبها .

قال الخطابي رحمه الله : سميت ظعينة ؛ لأنها تظعن مع زوجها ، ولا يقال لها ظعينة إلا إذا كانت في الهودج...

(٢) وفي رواية : «لَنُجَرِّدَنَّكِ» أي لنخلعنَّ ثيابك عنك لنُخرج الكتاب ، فما كذب رسول الله ﷺ ولا يكذب .

(٣) أي يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺمن الأمر بالسير إليهم لفتح مكة ، مع أن الحافظ في «الفتح» (٧/ ٦٤٤) أورد أن في «تَفْسِير يَحْيَى بْن سَلام» أَنَّ لَفْظ الْكِتَاب «أَمَّا بَعْد يَا مَعْشَر قُرَيْش فَإِنَّ رَسُول الله ﷺ جَاءَكُمْ بِجَيْشٍ كَاللَّيْلِ ، يَسِير كَالسَّيْلِ ، فَوَاللَّهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَحْدَهُ لَنَصَرَهُ اللهُ وَأَنْجَزَ لَهُ وَعْده . فَانْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ وَالسَّلام " كَذَا حَكَاهُ السُّهَيْلِيُّ .

وهذا الخطاب في طياته تخويف وإرهاب لهم وتخذيل وتعويق وكسر هممهم – من جهة – فتنبه فيبدو أن حاطبًا لم يعلم أن هذا الخطاب قد يكون سببًا يضر بالمسلمين الضرر البالغ أو يؤخر النصر عنهم ...

فِي قُرَيْشٍ[(١)] - يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي ، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي ، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ[(٢)] . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**» . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ[(٣)] .

---

(١) أي : ليس من أصلهم ولا من عشيرتهم ؛ لأنه كان غريبًا عنهم ، وفي رواية أنه قال : «وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه» ، فهو يريد منهم أن يحملوا قرابته .

(٢) وهذا هو موطن الشاهد كأنه يريد أن يقول أن فاعل هذا كافر ، لكني لستُ كذلك .

(٣)قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٨١) : «اسْتُدِلَّ بِاسْتِئْذَانِ عُمَر عَلَى قَتْل حَاطِب لِمَشْرُوعِيَّةِ قَتْل الْجَاسُوس كَانَ مُسْلِمًا وَهُوَ قَوْل مَالِك وَمَنْ وَافَقَهُ ، وَوَجْه الدَّلالَة أَنَّهُ ﷺأَقَرَّ عُمَرَ عَلَى إِرَادَة الْقَتْل لَوْلا الْمَانِع ، وَبَيَّنَ الْمَانِع هُوَ كَوْن حَاطِب شَهِدَ بَدْرًا ، وَهَذَا مُنْتَفٍ مِنْ غَيْر حَاطِب ، فَلَوْ كَانَ الإِسْلام مَانِعًا مِنْ قَتْله لَمَا عَلَّلَ بِأَخَصّ مِنْهُ . أ.هـ.

ثم رأيت الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٧٢) حكى نقل الطحاوي الإِجْمَاع عَلَى أَنَّ الْجَاسُوس الْمُسْلِم لا يُبَاح دَمه وَقَالَ الشَّافِعِيَّة وَالأَكْثَرُ يُعَزَّر ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْل الْهَيْئَات يُعْفَى عَنْهُ . وَكَذَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَة : يُوجَعُ عُقُوبَةً وَيُطَال حَبْسه . أ.هـ.

واستنبط الحافظ من حديث حاطب جواز هَتْك سِتْر الْجَاسُوس .

قلت «**محمد**»: الإجماع بعيد ، والدليل يؤيد قول المالكية ومن تابعهم من جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلمًا ، وسيأتي مزيد أقوال عن توبة المنافق ومن أظهر إسلامه .

وقال ابن القيم: في«الزاد»(٣/ ٤٢٣):« الصَّحِيحُ: أَنَّ قَتْلَهُ رَاجِعٌ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ، فَإِنْ رَأَى فِي قَتْلِهِ مَصْلَحَةً لِلْمُسْلِمِينَ، قَتَلَهُ، وَإِنْ كَانَ اسْتِبْقَاؤُهُ أَصْلَحَ اسْتَبْقَاهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ »
=

فَقَالَ : «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا قَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» . فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ **فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ .

وفي رواية [١]::

فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ...الحديث .

وقد أشار الحافظ إلى رواية: «دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ» وفي رواية : «يا رسول الله أمكني منه فإنه قد كفر» [٢] وصحح إسنادها الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٧١) وفي «المطالب العالية» (١٠/ ٤٨٣)[٣].

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ**

=

(١) البخاري (٣٩٨٣)

(٢) وهذا إذا كان الحامل له على ذلك نصرة الكفار ، ومحبة دينهم ، وإرادة علوهم ، أما إذا كان الحامل على ذلك مصلحة دنيوية وهو مع ذلك يبغض دين الكفار ؛ فلا يكفر كما بينته في كتابي «التوضيحات الجلية»

(٣) وقد أخرجه البزار (١٩٧) ، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٤٣٦) ، والحاكم (٤/ ٧٧) وغيرهم ، وإسنادها حسن (أعني الزيادة الأخيرة) .

الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

ولما خذل عبد الله بن سلول – عليه لعنة الله – المسلمين بالمنافقين ، وأخذ ثلث الجيش وانصرف من الذهاب لغزوة أحد محتجًا بقوله الباهت : **﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾** ، قال ﷻ : **﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾** [آل عمران : ١٦٧] ، لتوليه من الزحف ، ونسأله سبحانه أن لا يجعلنا من الذين كره انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

وعذر حاطب بن أبي بلتعة أنه فعل ما فعل متأولاً وظن أنه لا ضرر[(١)]

---

(١) وقد أخرج البخاري هذا الحديث في «كتاب الجهاد» (٣٠٠٧) وبوب له بباب الجاسوس

ذكر الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٧٥) اختلافًا في قتل جاسوس الكفار ، لكنه حكى (٦/ ٢٠٥) عن النووي قتل الجاسوس الحربي اتفاقًا ، وأما المعاهد والذمي ؛ فقال مالك والأوزاعي : ينتقض عهده بذلك ، وعند الشافعية خلاف ، ذكره تحت شرح حديث سلمة بن الأكوع قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ × عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ انْفَتَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ×: «اطْلُبُوهُ وَاقْتُلُوهُ» . فَقَتَلَهُ فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ . أخرجه برقم (٣٠٥١) باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان .

وعذر حاطب بن أبي بلتعة أنه فعل ما فعل متأولاً أن لا ضرر في ذلك كما حكى نحوه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٨٠) .

وعند الطبري رواية ، ولكن من طريق الحارث الأعور عن علي في هذه القصة فقال : أليس قد شهد بدرًا ؟ قال : بلى ، ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك .

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٨١) :

=

وقد يقع العبد في كفر بسبب إعراضه وتوليه عن أوامر الشرع

كمثال هؤلاء الكفار الذين هم باقون على أديانهم المحرَّفة ، أو الذين لا دين لهم ولم يبحثوا عن الدين الحق مع قيام الحجة عليهم ، وكذلك الذين أعرضوا عن تعلم وفهم ما به يصح إيمانهم كمثال الكفار الذين دعاهم الأنبياء وغيرهم من الدعاة إلى الدين الحق فلم يسلموا وبقوا على كفرهم .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأحقاف : ٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٢] .

=

اسْتُدِلَّ بِاسْتِئْذَانِ عُمَر عَلَىٰ قَتْل حَاطِب لِمَشْرُوعِيَّةِ قَتْل الْجَاسُوس وَلَوْ كَانَ مُسْلِمًا وَهُوَ قَوْل مَالِك وَمَنْ وَافَقَهُ ، وَوَجْه الدَّلالَة أَنَّهُ ﷺ أَقَرَّ عُمَرَ عَلَىٰ إِرَادَة الْقَتْل لَوْلا الْمَانِع ، وَبَيَّنَ الْمَانِع هُوَ كَوْن حَاطِب شَهِدَ بَدْرًا ، وَهَذَا مُنْتَفٍ مِنْ غَيْر حَاطِب ، فَلَوْ كَانَ الإِسْلام مَانِعًا مِنْ قَتْله لَمَا عَلَّلَ بِأَخَصّ مِنْهُ . أ.هـ.

ثم رأيت الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٧٢) حكىٰ نقل الطحاوي الإِجْمَاع عَلَىٰ أَنَّ الْجَاسُوس الْمُسْلِم لا يُبَاح دَمه وَقَالَ الشَّافِعِيَّة وَالأَكْثَرُ يُعَزَّر ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْل الْهَيْئَات يُعْفَىٰ عَنْهُ . وَكَذَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَة : يُوجَعُ عُقُوبَةً وَيُطَال حَبْسه . أ.هـ.

واستنبط الحافظ من حديث حاطب جواز هَتْك سِتْر الْجَاسُوس .

قلت : الإجماع بعيد ، والدليل يؤيد قول المالكية ومن تابعهم من جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلمًا ، وسيأتي مزيد أقوال عن توبة المنافق ومن أظهر إسلامه .

ولذلك كان لا يسمع بدعوة النبي ﷺ من يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بـه إلا كان من أهل النار .

قال ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١) .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) .



النفاق

وبعض أحكامه

□

النفاق إجمالاً وبعض أحكامه

تعريفه وأقسامه :

حاصل معنى النفاق هو :

أن يبطن المرء الكفر والتكذيب لرسول الله ﷺ ويظهر أنه مصدق برسول الله ﷺ .

وهو قسمان :

نفاق اعتقادي : وهو مخرج من الملة كما سلف ، ويسمى بالنفاق الأكبر كما سلفت الإشارة إليه ، وصاحبه مخلَّد في نار الجحيم ، وهذا المنافق خارج عن ملة الإسلام .

ونفاق أصغر : لا يجوز تكفير صاحبه ، وهو من يصدق بالإيمان باطنًا وظاهرًا ، لكنه قد يفعل بعض الخصال المذمومة من خصال المنافقين ؛ كالكذب المحرم ، والخيانة لمن ائتمنه ، والفجور في الخصومة ، وخلف الوعد ، والغدر في العهد ، وغير ذلك مما ثبت أنه من خصال النفاق ... فهذا لا يخلَّد في نار الجحيم[1] .

---

(١) **تنبيه** :

لا ينظر القارئ في الموضوع بعين من يزكّي نفسه ويبرّئها من النفاق ويرىٰ أنه من المحال أن يكون منهم ، بل ينظر في ذلك بعين عباد الرحمن الذين حالهم كحال من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، لا كالعاجز الذي اتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله الأماني .

=

علامات المنافق(١):

أولها : أن يُظهر أمرًا مشروعًا ، ويُبطن أمرًا محرمًا ، ويكذب في كلامه .

ثانيًا : يوعد ويخلف في وعده ويخلف ولا يفي بالوعد .

ثالثًا : إذا خاصم فجر ويطيل في خصامه .

رابعًا : أنه يعاهد غيره بعهد وفي نيته وقت العهد أن لا يفي به ثم لا يفي فعلاً بهذا العهد .

دليل كون هذه من خصال المنافقين قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال : «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾

=

نظر عبد يخاف من سوء الخاتمة ؛ لأنه لا يدري ماذا يكسب غدًا، ولا بأي أرض يموت ، وليس له عهد عند الله أن لا يدخله النار ، أو يبرئه من النفاق، ولا حول ولا قوة إلا بمن يملك حسن الختام ، ونعوذ بالله من سوء العاقبة والمنقلب .

فثبت يا رب قلوبنا على دينك ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

ومسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا، اللهم آمين .

(١) من «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» ص (١٦٤) وما بعدها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤) ، ومسلم (٥٩) .

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ التوبة.

وفي أثر أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[١].

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٢].

وفي حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال : «ثلاث من كن فيه فهو منافق: كذوب إذا حدث ، مخالف إذا وعد ، خائن إذا ائتمن ، فمن كانت فيه خصلة ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها»[٣].

وفي صحيح البخاري[٤] قول النبي ﷺ : «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ**» ، والخصم أي الجافي شديد الخصومة .

خامسًا : خيانة الأمانة ، فيأخذ الأمانات ولا يؤديها لأصحابها ويجحدها .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣) ، ومسلم (٥٩) مكرر .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤) ، ومسلم (٥٨) واللفظ للبخاري .

(٣) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٨١) بإسناد صحيح موقوفًا .

(٤) برقم (٢٤٥٧) .

وتقدم حديث أبي هريرة ﷺ وفيه عدد صفات المنافق التي منها «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»

وقال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾ [النساء : ٥٨] .

سادسًا : إعراض المسلم عن الجهاد في سبيل الله ، واتخاذ أعذار غير حقيقية تُخرجه عن ساحة المجاهدين ، فلا يغزو ولا يحدث نفسه بالغزو ، ويتأكد نفاقه إذا كان يحارب من يريد الجهاد ، أو يعدّ له عدة، وللجهاد ضوابط .

ففي صحيح مسلم أن النبيّ ﷺ قال : «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(١) .

فالمنافقون لو وجدوا ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولّوا إليه وهم يجمحون .

وقال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التوبة : ٨٦ – ٨٨] .

سابعًا : إظهار المودّة للبعض مع إضمار البغض لهم .

فعن مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ أُنَاسٌ لِابْنِ عُمَرَ:إِنَّا

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩١٠). من حديث أبي هريرة ﷺ .

نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلاَفَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا[١]. وسيأتي الجمع بينه وبين قوله ﷺ للرجل: «بئس أخو العشير» ولما جاءه ألان له الكلام، إن شاء الله .

ثامنًا : بغض الأنصار– الذين نصروا الدين وأنفقوا من أموالهم ودافعوا عن بيضة الإسلام .

لقوله ﷺ : «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[٢].

فأهل النفاق عمومًا يسوؤهم الحسنات تصيب المؤمنين ، وتفرحهم مصيبة تصيب المؤمنين كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٠] .

تاسعًا : بغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه بغضًا لنصرته للإسلام وسوابقه .

ففي صحيح مسلم[٣] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ»، والمعنى ثابت وإن كان في إسناده نظر .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٧٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٧) ، ومسلم (٧٤) .

(٣) برقم (٢٤٩) وفي إسناده من هو غال في التشيع ، وقد انتقده الدارقطني في «التتبع» ص(٤٢٧) وقد علقت عليه في كتاب «التوضيحات الجلية» .

فإن من أبغض عليًّا لأجل ما ذكر في فضائله دل على نفاق في داخله [(١)].

عاشرًا : تقديم عروض الدنيا على اتِّباع رسول الله ﷺ ، فيتنازل عن اتِّباع الرسول ﷺ ما لم يتنازل عن تحصيل الدنيا ويكذبون – في الحقيقة – على أنفسهم .

قال الله ﷻ : ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [التوبة : ٤٢] .

حادي عشر : كثرة تردّدهم في تصديق ما أنزل به الرسول ﷺ ، وأفعالهم تفتن المؤمنين وغيابهم في النزال أحسن .

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ [التوبة : ٤٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا** ﴾ [النساء : ١٤٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ . لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**

---

(١) بخلاف البغض الجبلي الذي هو من الله لا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيه

بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة : ٤٦ ، ٤٧] .

ثاني عشر : إيذاؤهم لرسول الله ﷺ .

بالطعن في أمهات المؤمنين ، وسب أصحابه ﷺ ولعنهم وتخوينهم ، والمغالاة في بعضهم بما لم يأت به دليل .

قال ﷻ : ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**[١] **قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٦١] ، وللشيعة نصيب كبير في هذا الباب ؛ لأنهم يرمون بعض أمهات المؤمنين بالفواحش، وهذا من أعظم الإيذاء لرسول الله ﷺ[٢] .

ثالث عشر : يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف خارجين بذلك عن طاعة الله ﷻ بخلاف أهل الإيمان ، وهم مع ذلك يقبضون أيديهم بخلاً وشحًا أن تبذل في سبيل الله وتجدهم ينسون ربهم فهم يتذكرون كل شيء إلا الله لضعف الرقابة والإجلال له في قلوبهم .

قال الله ﷻ : ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ**

---

(١) أي يسمع كلام كل أحد، يسمعه ويقبله.

(٢) وقد ذكرنا في «التوضيحات الجلية» أن محنة الشيعة الذين هم أقرب الناس إلى النفاق محنتهم هي محنة اليهود وبينهما تشاكلاً واضحًا ظاهرًا وضوح الشمس في رابعة النهار .

الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، ويقبضون أيديهم : أي عن الصدقة .

رابع عشر : العمل على تفريق المؤمنين على مذهب اليهود – فرِّق تسد – مستنِّين بذلك سنة عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه.

قال الله ﷻ : **﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾** [التوبة : ١٠٧] .

وهم ينصرفون خفية عما ينفعهم من أوامر الشرع المطهر .

قال ﷻ : **﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾** [التوبة : ١٢٧] .

وثمَّ جملة من علامات النفاق أيضًا في :

أثر أبي أمامة رضي الله عنه قال : «المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان، وإذا غنم غلّ [١]،وإذا أُمر عصى، وإذا لقي جَبُنَ، فمن كُنَّ فيه ففيه النفاق كله ، ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق»[٢].

---

(١) الغلول : هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها .

(٢) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٢٠) ثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك الحمصي حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدي وهو محمد بن الوليد ، عن سليم بن عامر الخبائري ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه به .

وإسناده صحيح رجاله ثقات لا أعلم له علّة .

وقال الذهبي في «السير»:

من النفاق الأصغر: الرجل يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا، ولا يظن أنها تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفًا.

وأما النفاق الأكبر - وإن كان الرجل يعلم من نفسه أنه مسلم - فعليه أن يتعوذ بالله من النفاق والشرك، فإنه لا يدري بما يختم له، فربما أصبح مؤمنًا وأمسى كافرًا، نعوذ بوجه الله الكريم من ذلك[1].

وقد تخوَّف النبي ﷺ وأصحابه علينا من المنافق إذا كان عليم اللسان

ففي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُم بَعْدي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[2].

وفي حديث أبي عثمان النهدي قال كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمعته يقول في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»[3].

وقد أخرج الدارمي وغيره بإسناد صحيح عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٨٢ - ٣٨٣).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٢٣) ومن طريقه الذهبي في «السير» (١١/ ٣٨٥) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧) (٥٩٣) من طريق حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران بن حصين به، وإسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه احمد (١/ ٢٢، ٤٤)، والفريابي (٢٤) بإسناد صحيح.

عُمَرُ : هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلامَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لا قَالَ : يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ[(١)].

وتكمُن خطورة المنافقين في أيامنا في أنهم يعلنون نفاقهم ، بخلاف ما كان قديما، كانوا يسرونه.

وإذا كان حذيفة رضي الله عنه يقول: الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِيكُمَا لَيَوْمَ شَرٌّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ أبو وائل : فقُلْنا : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَكَيْفَ ذَاكَ، قَالَ: إِنَّ أُولَئِكَ كَانُوا يُسِرُّونَ نِفَاقَهُمْ، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ يُعْلِنُونَ[(٢)].

هذا يقوله حذيفة في زمن التابعين هم الذين في خير القرون، فكيف يكون الحال الآن في أيامنا؟» نسأل الله السلامة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعدون مدح من يصدق القائل بغير الحق ويمدحه نفاقًا

فأخرج الفريابي في «صفة النفاق»[(٣)] بإسناد صحيح عن عروة بن الزبير

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٨٢) رقم (٢١٤) عن أبي إسحاق ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٦٧) ، والفريابي (٣١) عن أبي حصين ، الفريابي (٢٩) عن زكريا ابن أبي زائدة ثلاثتهم (أبو إسحاق ، وأبو حصين ، وزكريا) عن زياد بن حدير به ، والله أعلم .

(٢) كما أخرجه الفريابي (٥٣ ، ٥٤) ، ووكيع في «الزهد» (٤٧٥) عن الأعمش ، والفريابي (٥٦) ومن طريقه البزار (٢٨٧٠) عن واصل ، كلاهما (الأعمش وواصل) عن أبي وائل عن حذيفة به ، وأصله بنحو من ألفاظه في صحيح البخاري (٧١١٣) .

(٣) برقم (٦٥)._ وله طرق أخرى عنده برقم (٦٤ ، ٦٦) وفيهما ضعف .
=

قال : أتيت عبد الله بن عمر فقلت له : يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام نعلم أن الحق غيره فنصدِّقهم فيقضون بغير الحق فنقر به عليهم ونحسِّنه لهم فكيف ترى في ذلك ؟ قال : يا ابن أخي كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق ولا أدري كيف هو عندكم .

وفي رواية عن أبي الشعثاء قال : دخل نفر على عبد الله بن عمر من أهل العراق فوقعوا في يزيد بن معاوية فتناولوه فقال لهم عبد الله : هذا قولكم لهم عندي أتقولون هذا في وجوههم ؟ قالوا : لا بل نمدحهم ونثني عليهم فقال ابن عمر : هذا النفاق عندنا

وفي رواية [1] عن أبي الشعثاء قال :قِيلَ لابْنِ عُمَرَ : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى أُمَرَائِنَا فَنَقُولُ الْقَوْلَ فَإِذَا خَرَجْنَا قُلْنَا غَيْرَهُ فَقَالَ كُنَّا نَعُدُّ هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

=

وله طريق آخر أخرجه أحمد (٢/ ٦٩) وفيه رجل ليس فيه توثيق معتبر ، وفي صحيح البخاري (٧١٧٨) عن طريق محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قَالَ : قَالَ : أُنَاسٌ لِابْنِ عُمَرَ : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا .

(٣) أخرجها الفريابي في «صفة النفاق» (٦٧) بإسنادٍ صحيح ، وله طريق آخر عند أحمد .

النِّفَاقَ [(١)].

وقد ورد وصف حذيفة رضي الله عنه للمنافق فقال: «الـذي يصـف الإسـلام ولا يعمل به» أخرجه الفريابي [(٢)] بإسناده.

وطاعة الأمراء أو العلماء فيما يعلم أنـه خـلاف هـدي رسـول الله ﷺ خلـل في الاعتقاد ومناقض للإيمان أ كماله وموافقة لأهل النفاق ثم ذلة ومهانة[(٣)] .

---

(١) وهذا ليس مخالف للين النبي ﷺ الكلام لرجل قدم، ولما انصرف قال: «بئس أخو العشير» لما كُلم في ذلك قال: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

لأن هذا لم يتعلق به مفاسد في حكمه من إعانة على منكر وتثبيته عليه بسبب المدح.

ولأن النبي ﷺ أراد أن يعلم الأمة جواز المداراة لجلب مصالح ودفع مضار دون إضرار بأحد أو إفساد لحكم أحد ... إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره هنا وقد بوب لهذا الحديث النووي في كتاب «البر والصلة» من صحيح مسلم بباب مداراة من يُتق فُحشه، وراجع كتابي«ذم شر الناس ذي الوجهين».

(٢) في «صفة النفاق» (٧٠) وفي إسناده رجل لم أقف فيه على جرح ولا تعديل.

(٣) واعلم أن هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا - حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ يَكُونُونَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا): أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَى التَّبْدِيلِ فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ فَهَذَا كُفْرٌ وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا- وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ - فَكَانَ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَهُ فِي خِلَافِ الدِّينِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ خِلَافُ الدِّينِ وَاعْتَقَدَ مَا قَالَهُ ذَلِكَ دُونَ مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ مُشْرِكًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ.

=

قال ﷻ : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال الله ﷻ عن أهل النفاق : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ [النساء : ٦١] .

قال ﷻ : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وفي مستدرك الحاكم بإسنادٍ ثابت عن طارق بن شهاب عن عمر رضي الله عنه في قصة دارت بين أبي عبيدة وعمر رضي الله عنه، قال عمر رضي الله عنه: إنا كنا أذل قوم فأعزنا

=

والثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ثَابِتًا لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ الله كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ » .

الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله [(١)].

فلا يقدم قول على قول الله ﷻ ورسوله ﷺ أبدًا .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه

قال ابن أبي مليكة : أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ : إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ [(٢)].

وعن الجعد أبي عثمان قال : قلت لأبي رجاء العطاردي : هل أدركت ممن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق ؟ – وكان قد أدرك عمر رضي الله عنه قال : نعم ، إني أدركت منهم بحمد الله صدرًا حسنًا ، نعم شديدًا نعم

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٣٠) بإسنادٍ ثابت .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٣٨) معلقًا مجزومًا به وهو في «تاريخه الكبير» (٥/ ١٣٧) ، وابن أبي خيثمة مختصرًا في «تاريخه» ص(١٣٤) من طريق ابن جريج عن أبي مليكة وهو ثابت .

وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٨) بلفظ أدركتُ : «زيادة على خمسين من أصحاب النبي ﷺ ...»، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» ص(١٣٣) ط غراس بلفظ «أكثر من خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ» ، والحافظ في «تعليق التعليق» (٢/ ٥٢) – ولم يذكر العدد – من طريق الصلت بن دينار عن ابن أبي مليكة ، والصلت «متروك» ، وقد قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ٣٧٤) : «كذا رواه الصلت ، والصحيح ابن جريج عن ابن أبي مليكة أنه قال : «أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ» وقوله واضح الصواب .

شديدًا [١].

وقال الحسن :

إن القوم لما رأوا هذا النفاق يغول الإيمان لم يكن لهم هم غير النفاق [٢].

وقال محمد بن سيرين :

لم يكن شيء أخوف على من قال هذا القول من هذه الآية ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة : ٨] .[٣]

بل قال المعلى بن زياد :

سمعت الحسن ، يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا هو من النفاق مشفق ، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا هو من النفاق آمن قال : وكان يقول : من لم يَخَف النفاق فهو منافق [٤].

وعن بلال بن سعد قال : لا تكن وليا لله ﷻ في العلانية وعدّوه في السر[٥].

وكان عمرو بن الأسود العنسي إذا خرج إلى المسجد قبض بيمينه على

---

(١) إسناده حسن : أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٨١) .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٨٢) وله طريق آخر عقبه .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٨٩) .

(٤) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٨٧) بإسنادٍ حسن ، وقد أخرجه البخاري (١/ ١٣٨) بمعناه معلقًا ، وهو ثابت كما أشار الحافظ في «الفتح» (١/ ١٣٩) لكنه لما ذكره بالمعنى علقه بصيغة التمريض كما هي عادته .

(٥) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٩١) .

شماله فيُسأل عن ذلك فيقول : مخافة أن تنافق يديّ [١].

قال الذهبي في «السير» :[٢] يمسكها خوفًا من أن يخطر بيده في مشيته ، فإن ذلك من الخيلاء .

وقد أخرج ابن أبي شيبة [٣] بإسنادٍ صحيح عن زيد بن وهب الجهني قال : «مَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَمِنَ الْقَوْمِ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : بِاللهِ مِنْهُمْ أَنَا ؟ قَالَ : لاَ ، وَلَنْ أُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ » .

وأخرجه وكيع في «الزهد» [٤]ومن طريقه ابن عساكر [٥] بإسنادٍ صحيح عن زيد بن وهب عن حذيفة قال : مر بي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنا جالس في المسجد فقال لي : يا حذيفة إن فلانًا قد مات فاشهد ، قال: ثم مضى حتى كاد أن يخرج من المسجد التفت إلىَّ فرآني وأنا جالس ، فعرف ، فرجع إلى فقال: يا حذيفة نشدتك بالله » أمن القوم أنا ؟ قلت : اللهم لا ، ولن أبرّئ

---

(١) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٩٠) .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٨٠) .

(٣) (٧/ ٤٨١) عن أبي معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب الجهني به .

(٤) برقم (٤٧٧) ثنا ابن أبي خالد قال : سمعت زيد بن وهب ... فذكره .

(٥) في «تاريخه» (١٢/ ٢٧٦) .

أحدًا بعدك فرأيت عيني عمر جاءتا [(١)].أي بكى .

---

(١) وقد أخرج الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٧٦٩) ثني ابن نمير حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن زيد ابن وهب به ، ثم غمز الفسوي في صحة الرواية ، وطعن في زيد بن وهب – المتفق على توثيقه – بما لم يُسبق إليه، ولم يوافقه غيره ، بل خالف هو غيره حيث قال : «وهذا المحال وأخاف أن يكون كذبًا وكيف يكون هذا وهو ممن رضي الله عنه ، وهو من أهل بدر، وهو ممن يقول له النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر رضي الله عنه » ؟» وقد كان يكون في الأمم محدِّثون وإن يكن في أمتي فهو عمر ، مع ما لا يحصى من هذا الضرب، فكيف يجوز أن يقول لحذيفة «وأنا من المنافقين ؟»» ...

ثم قال الفسوي : ولكن حديث زيد فيه خلل كثير.

قلت «محمد» : وهذا فيه ما فيه فهو إمام حجة مخضرم قديم سمع عمر وعليًا وابن مسعود رضي الله عنهم ، وقرأ القرآن على ابن مسعود ، وهو من رجال البخاري ومسلم، ثم إن خوف عمر رضي الله عنه أن يكون من المنافقين مع سبقه وعلو مرتبته منقبةٌ وليست منقصة ؛ لكونه لا يأمن من مكر الله ﷻ ، وقد خاف أبو الدرداء كما سيأتي عقبه ، وقد ردّ الذهبي كلام الفسوي في «الميزان» (٢/ ٢٩٧) فقال في ترجمة زيد بن وهب : «من أجلة التابعين وثقاتهم ومتفق على الاحتجاج به إلا ما كان من يعقوب الفسوى ، فإنه قال في «تاريخه» : وفي حديثه خلل كثير»، ولم يصب الفسوى.

ثم إنه ساق من روايته قول عمر رضي الله عنه : يا حذيفة ، بالله أنا من المنافقين ؟ قال: وهذا محال ، أخاف أن يكون كذبًا...ثم ذكر روايات له ثم قال : «فهذا الذى استنكره الفسوى من حديثه ما سبق إليه ، ولو فتحنا هذه الوساوس علينا لرددنا كثيرًا من السنن الثابتة بالوهم الفاسد» ، ثم ذكر فيه قول الاعمش قال: إذا حدثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذى حدَّثك عنه أ. هـ كلام الذهبي.

قلت «محمد» : له طريق آخر إسناده حسن ليس فيه زيد بن وهب أخرجه البزار في «مسنده» (٧/ ٢٩٢) رقم (٢٨٨٥) ثنا عبد الواحد بن غياث قال ثنا عبد العزيز بن مسلم قال: أخبرنا الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال : دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها فتعلَّقتُ به ، فقلت : اجلس يا أمير =

وقد أخرج الفريابي[١] بإسنادٍ حسن عن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا الدرداء ، وهو في آخر صلاته وقد فرغ من التشهد يتعوَّذ بالله من النفاق ، فأكثر من التعوّذ منه . قال: فقال جبير : وما لك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟» فقال : دعنا عنك فوالله إن الرجل ليتقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيُخلع منه .

وفي رواية [٢] قال جبير : غفر الله لك يا أبا الدرداء ، ما أنت والنفاق ؟» ما شأنك وما شأن النفاق؟» فقال : اللهم غفرًا – ثلاثًا – لا يأمن النفاق من لا يأمن البلاء ، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه .

=

المؤمنين فإنه من أولئك ، فقال : نشدتك بالله أنا منهم ؟ قال : لا ، ولا أبرئ أحدًا بعدك ، وهذا إسنادٌ حسن رجاله ثقات إلا عبد الواحد فإنه «حسن الحديث» .

وله طريق آخر أخرجه الخرائطي في «المساوئ» (٣٠٩) من طريق أبي حرة عن الحسن قال : هلك رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وكان جار حذيفة ، فلم يصل عليه حذيفة ، فبلغ ذلك عمر ، فقال لحذيفة ، وأقبل عليه : يموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا تصلي عليه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه منهم ، قال : فنشدتك الله » أأنا منهم أم لا ؟ قال : اللهم لا ، ولا أُأَمِّن منها أحدًا بعدك ، وفي إسناده إرسال ، وأبو حرة يدلس لا سيما عن الحسن ، ولم يصرح بالتحديث .

وعلى كل حال الأثر ثابت بالطرقين الأوليين، ولا إشكال في تقويته ، والله أعلم .

(١) في «صفة النفاق» (٧٣) .

(٢) في «صفة النفاق أيضًا» (٧٤) وقد صحح إسنادها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٨٢) وهو كذلك والمتن على أي حال صحيح .

عن أبي أيوب الأنصاري قال : ليأتين على الرجل أحيان وما في جلده موضع إبرة من النفاق،وإنه ليأتي عليه أحيان وما في قلبه موضع إبرة من إيمان [(١)].

والحق كما قال عمر مولى غفرة : أبعد الناس من النفاق وأشدُّهم خوفًا على نفسه منه الذي لا يرى أنه ينجِّيه منه شيء ، وأقرب الناس منه الذي إذا زُكي بما ليس فيه ارتاح قلبه .

وقال : وإذا زُكيت بما ليس فيك فقل : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون فإنك تعلم وهم لا يعلمون [(٢)].

وكما قال الحسن : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل [(٣)].

ولا يغتر بكثرة صلاة المنافق فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ليأتينَّ على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن [(٤)].

أعمال المنافقين أجارنا الله منها

ومن أعمال هؤلاء المنافقين أيضًا

(١) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٧١) بإسنادٍ صحيح .

(٢) أخرجه الفريابي (٩٤) بإسنادٍ ثابت .

(٣) أخرجه الفريابي برقم (٩٦) .

(٤) أخرجه الفريابي برقم (١٠٨ - ١١٠) بإسنادٍ صحيح وله حكم الرفع إن شاء الله؛ لأنه من الغيبات.

الاستهزاء بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وبالقرآن

قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦].

وسبب نزول الآية ؛ أن بعض المنافقين قالوا : «ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسنة ، ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ»[١] .

وقال تعالى عنهم : ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [البقرة : ١٤] .

ومن أعمال المنافقين

سبّ الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ ، أو تكذيبهما، أو عيب فعل رسول الله ﷺ أو اتهامه ، أو اتهام أتباعهما، أو السخرية منهم، قال سبحانه عنهم : ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [التوبة : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٧٩] .

ومن أعمال المنافقين

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بإسنادٍ ثابت ذكرته في «طالب العلم حقوقه وآدابه» .

الإعراض عن الدين وتعاليمه ، والعمل على إبعاد الناس عنه ، وعدم التحاكم إليه

قال ﷻ عنهم : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ [النساء : ٦١] .

ومن أعمال المنافقين

التحاكم والحرص على تطبيق قوانينهم الطاغوتية ، والتفضيل لها على حكم رب العالمين

قال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠] .

ومن أعمال المنافقين

مناصرة الكفار ، ومعاونتهم على المسلمين ، ومدحهم ، ومدح أصحاب النظريات الفاشلة منهم أمثال دارون وفرويد(١)وغيرهما ؛ لأن المنافقين في حقيقتهم كفار، فهم يناصرون إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين على المسلمين

---

(١) وداروين صاحب نظرية أن الإنسان أصله قرد تطوَّر حتى صار إنساناً، ويقال له: يا أيها الفاشل « لماذا لم يؤثر ما أثر في القرد الأول في باقي القرود، فتحوَّلت كلها إلى إنس، فرأينا التحوُّل تدريجياً؟»

لماذا ترقى قرد دارون ، ولم يترقى بقية القرود .

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١ ، ٥٢] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤] .

ومن أعمال المنافقين: إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار

قال سبحانه وتعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٩ ، ١٢٠] .

ومن أعمالهم:

سبّ وعيب العلماء والمصلحين وجميع أهل الإيمان والصادقين، فهم يبغضونهم ويبغضون دعوتهم أمثال ابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن القيم وعلماء أهل السنة عمومًا الذين يسيرون خلف الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ بفهم أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل الطاعة والصالحين ومن نحا نحوهم من الذين شهد لهم كل لبيب بالخير .

قال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[التوبة : ٧٩] .

ومن أعمالهم :

شقّ عصا المسلمين ، وترك جماعتهم ، والانحياز عن أئمتهم ولذلك لما اعتزل رجل الصلاة خلف معاذ قال : «إن هذا لنفاق» (١).

وهذا يدل على أن هذا الفعل من أعمالهم لكن لم يبين النبي ﷺ له ذلك لعلمه بشيء خلاف الظاهر في هذا الرجل بعينه أو لحكمة ، والحاصل ؛ أن النبي ﷺ لم ينكر على معاذ تسمية ذلك نفاقًا .

من أبرز صفات هؤلاء المنافقين:

قلة الطاعات ، يخادعون الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون

قال ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى

---

(١) وذلك في الحديث الذي قال ﷺ لمعاذ فيه : أفتان أنت يا معاذ ؟» من صلىٰ بالناس فليخفف ، وفي رواية قال معاذ للرجل لما انصرف «إنه لمنافق» .

أخرجه أحمد (٣/ ١٢٤) ، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٥١٥) وغيرهما بإسنادٍ صحيح ، واللفظ الذي بعاليه عند ابن خزيمة في صحيحه (١٦٣٤) وإسناده حسن .

وفي صحيح البخاري (٦١٠٦) لما تجوَّز الرجل فصلىٰ صلاة خفيفة وبلغ ذلك معاذًا ، قال : «إنه منافق» .

الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : ٨ ، ٩]

وقال ﷻ : ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة : ٥٤] .

ومن صفاتهم : الجبن والخوف والهلع ، وهذه الصفة من أهم الأسباب التي جعلتهم يخفون كفرهم ويظهرون الإسلام ، لأنهم يخافون من أن يقتلهم المسلمون ، ومن أن تسلب أموالهم لكفرهم ، وليس عندهم شجاعة فيقاتلون الكفار

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : ٤] .

وقال ﷻ : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة : ٥٧] .

وقال ﷻ : ﴿ وإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

وقد رأيتهم فرُّوا يوم أحد متعللين بقولهم:﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ [آل

عمران : ١٦٧] . وتخلفوا عن غزوة تبوك ... .

فكلما سمعوا صيحة ظنوه عدوًا يهجم عليهم أو يخطط لهم ، ولذلك ودوا لو يطلعون على ما بداخل الناس

يهربون من المواجهة عدم قدرتهم على الثبات.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ** ﴾[1] [التوبة : ٥٦ ، ٥٧]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم : ﴿ **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المنافقون : ٤] .

ومن صفات المنافقين : أنك تجد فيهم سفهًا وضعفًا في التفكير والعقل بل وعند المخاطبة

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣] .

فتجدهم يفضِّلون الدنيا على الآخرة ، وتجدهم يحرصون على حطام الدنيا ولا يحرصون على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ، ويتخلفون عن الصلاة إذا كان في فعلها ثقل

ففي صحيح البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

---

(١) أي:لو يجدون ملجأ يلجئون إليه عند الشدائد يدخلون مغارة، أو محلاً يتحصنون فيه لأسرعوا وهرعوا إليه لكونهملا قدرة لهم على الثبات.

«لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ، بُيُوتَهُمْ وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا» يَعْنِي صَلاَةَ الْعِشَاءِ[1].

وقال ﷺ: **«أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ»**[2]، لكون المشقة فيها أكثر، وكذلك صلاة العصر لكونهما وقت العمل، أو وقت راحة ونوم للبعض، ففي أدائها مشقة.

قال ﷺ: **«تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً»**[3].

ويتخلفون عن صلاة الجماعة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: **«وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»**[4].

ودائمًا يتلاعب بهم الشيطان وتجده مستحوذًا عليهم

قال سبحانه وتعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المجادلة: ١٩].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١)، واللفظ له.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٦٢٢).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٤).

ومن صفات المنافقين : التلون على حسب الحال ، والتذبذب ، وحاله كحال الشاة العائرة بين الغنمين ، فهي متحيرة أيهما تتبع ، فيخشى المنافق أن يظهر الكفر فيقتل ردَّة أو يظهر الإسلام فتتضرَّر مصالحه إذا انتصر الكفار

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

وقال ﷻ :﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وقال ﷻ عنهم : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا ﴾ [النساء : ١٤٣] .

وتظل هذه الذبذبة في المنافق حتى في سؤال الملكين له في القبر كما في حديث أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا: «...وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ ، فَيَقُولُ:لا أَدْرِيسَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ» [(١)].

وقبلها قال ﷻ عنهم:﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا ﴾ [النساء : ١٤١] .

قال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٨٦) .

تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ [المائدة : ٥٢] .

فهم يتوددون إلى المؤمنين إذا ما وجدوهم انتصروا ، وإذا ما وجدوا دولة للكفار في بعض الأحيان كما حصل في يوم أحد مثلاً قالوا : ﴿ **أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي ساعدناكم في الباطن وخذلناهم وعوَّقناهم حتى انتصرتم عليهم، وكثيرًا ما يقدمون النصح لهم لقيام دولة الكفار والمنافقين ورفعة شأنهم، ولذلك لما ظهر من حاطب الودّ للكفار مراعاة لمصالحة الدنيوية.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما قال:«دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»[1].

وقال حاطب رضي الله عنه : «لَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا » .

وفي صحيح مسلم[2] لما سأل سائل عن مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ تَقُلْ لَهُ ذَلِكَ أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**» ، قَالَ : قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّمَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ لِلْمُنَافِقِينَ ...الحديث» فلولا أنه كان من المستقرّ عندهم أن من يقدم ولاءه ونصحه ووجهه للمنافقين منافق ما رموه بالنفاق ، وإنما أراد النبي ﷺ أن يسدّ باب التنقير عما في القلوب ، وأخذ الناس بما ظهر منهم لسد ذريعة الفوضى ، والله أعلم .

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٠٠٨) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) برقم (٣٣) .

ومما يلتصق بهم دائمًا الانهزامية واحتقار الذات والشعور بالنقص أمام الأعداء؛ فالمنافق يشعر أن عموم الكفار أفضل منه ومن بني جنسه، وبالأخص في هذا الزمن، الذي تفوَّق فيه الكفار في النواحي المادية من صناعة الطائرات والأسلحة النووية وغير ذلك، ولذلك فهو يقلدهم في جميع الأمور حتى التي لا فائدة منها، بل إنه يقلدهم في أمور يعلم هو ضررها، فهو كالبعير المربوط رأسه في ذنب بعير آخر فيسير خلفه ويطأ على ما يطأ عليه ويبول على رأسه، وهذا منتهى الضلال والضياع والخسران .

قال ﷻ :﴿ **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ** ﴾ [المنافقون : ٤]،ولذلك كانوا أكثر الناس إرجافًا مع المرجفين قال ﷻ :﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ** ﴾ الأحزاب : ٦٠.

والإرجاف: هو التخذيل والتعويق .

ومن علامات المنافق : نقر الصلاة لا يعقل ما فيها لثقلها عليه

لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً» (١).

ومن علامات المنافقين : إفسادهم في الأرض بحجة الإصلاح

كما قال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢] .

ومن علاماتهم : الأنفة من التواضع عند أهل العلم الذين رفع الله ذكرهم في

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٦٢٢) .

الدنيا والآخرة

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ . سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون : ٥ ، ٦] .

ومن علامتهم : التكذيب بوعد الله ورسوله ﷺ

فهم الذين قالوا لما كان المسلمون في غزوة الأحزاب : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] .

واهتمامهم بالظاهر دون الباطن واضح

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

يتكلفون في الكلام والفعل في الظاهر وهدى الصحابة على خلاف ذلك

قال أنس رضي الله عنه :«كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَقَالَ : نُهِينَا عَنْ التَّكَلُّفِ» (١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦]

وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]

ومع ذلك قلوبهم فيها غير ما يظهرون من حسن الكلام.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٢٩٣) .

ومن علامات المنافقين :أنهم ولله الحمد ليس عندهم فقه في الدين، وهذه الميزة لا يستطيعون مداراتها أمام أهل العلم الكبار

نعم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا لكنهم لا علم لهم بالدين الذي يقربهم من الله، ولذلك كانوا مذبذبين بين الإيمان والكفر، وبين الوهم والحقيقة ، وبين الحق والباطل .

قال ﷻ : ﴿ **وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون : ٧] .

فتجد الواحد منهم يفهم في قيادة السيارة وهندستها ودول العالم ولغة كل بلدة، بل تجده يجيد أكثر من لغة...،وربما وجدته بارعًا في بعض العلوم الدنيوية، لكن تجده بعيدًا عن الفقه في الشرع، والذي يختاره الله لمن أراد به خيرًا. قال ﷺ :«**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» (١).

ومن علاماتهم : الاستخفاء من الناس ، ومبارزة الله بالذنوب

قال ﷻ : ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ [النساء : ١٠٨] .

ومن علاماتهم : الاعتراض على القدر كما تقدم

قال ﷻ عنهم: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا** ﴾

[آل عمران : ١٦٨]

قال ﷻ : ﴿ **قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران :

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٧٣) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

١٦٨] .

وتراهم يكثرون من الحلف ليستروا ما يحدثوه من نفاق ...

قال ﷻ : ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [المجادلة : ١٦] .ومعنى جنَّة: أي وقاية.

والمنافقون يتصفون بقلة الحياء وسلاطة اللسان

قال ﷻ : ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ١٨ ، ١٩] .

ومعنى «**سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَة حِدَادٍ**» : أي خاطبوكم، وتكلموا معكم، بكلام حديد، ودعاوى غير صحيحة ، ومعنى قولهم «**هَلُمَّ إِلَيْنَا**» : أي ارجعوا إلينا تعويقًا لمسيرة المؤمنين (١).

قال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُون** ﴾ [**البقرة : ١٣**]

(١) قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية :

هذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به ، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه ، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء اللهّ ، أو يدعو إلى سبيل الله ، شحيحًا بجاهه ، شحيحًا بعلمه ، ونصيحته ورأيه .

ومن صفات المنافقين

أنهم يحاربون كل من ينفق على طلاب العلم أو يمدّ الدعوة إلى الله بأي نوع من أنواع المدد، بل يريدون الحيلولة بين الدعوة إلى الله، وبين العلماء وطلاب العلم، لينفضُّوا عما هم فيه من تحصيل طلب العلم والعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويبذلون الجهد في ذلك ، فهم قد امتنعوا ويريدون منع غيرهم ، ويتواصون فيما بينهم بذلك، وذلك لقلة فقههم يريدون إطفاء نور الله بأفواههم» .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون : ٧]

ومن أعمالهم

ازدراء أهل الإيمان ، والنيل منهم وتقبيحهم ، وشتمهم ، والاستهانة بهم وبسمعتهم ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ...**﴾ [المنافقون : ٨] .

أعاذنا الله وأجارنا من النفاق دقيقه وجليله .

وقد يكون في الإنسان إيمان وفيه شعبة من شعب النفاق (١)

يدل عليه حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ**

(١) كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتوى» (١١/ ١٧٤) .

حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ . وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ . وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ» [١].

وَقَالَ اِبْن أَبِي مُلَيْكَة : «أَدْرَكْت ثَلاثِينَ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ كُلّهمْ يَخَاف النِّفَاق عَلَى نَفْسه» وقد تقدم .

كما قد يكون في المؤمن بعض خصال الجاهلية

كما في الصحيحين[٢] وغيرهما أن النبي ﷺ قال لأبي ذر رضي الله عنه : «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» ، قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ ؟، قَالَ : «**نَعَمْ**» ووجود الجاهلية في العبد نقص في الإيمان .

والمنافق ربما كان فيه أيضًا خليط من إيمان ، وربما كان الإيمان أقوى ، وربما كان النفاق أو الكفر أقوى

كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٦ ، ١٦٧] .

فقد جعل الله سبحانه وتعالى هؤلاء إلى الكفر أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مخلطون وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخلطًا وإيمانه أقوى كما أشار شيخ الإسلام .

وفي هذا آيات كثيرة تؤيد تفاضل الإيمان والتقوى عند المؤمنين ، وتفاضل الكفر في الكفار والمنافقين ، وفي عداوة الله سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم .

(٢) البخاري برقم (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) .

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] .

وقال ﷻ مبينًا أن الكفر درجات زيادة ونقصان : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

وقال ﷻ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : فَبَيَّنَ الله ﷻ أَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ قِسْطٌ مِنْ وِلاَيَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِ ؛ وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ قِسْطٌ مِنْ عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ كُفْرِهِ وَنِفَاقِهِ[١] .

ومن علم منه فعل النفاق مع كونه ينطق الشهادتين وإقامته للصلاة وإيتاء الزكاة عُصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام وحسابه على الله .

لقوله ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ»[٢] .

قال ابن رجب الحنبلي[٣] :

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ١٧٥) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥) واللفظ له ، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) في «جامع العلوم والحكم» ص(١٧٠) .

استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق ، وهو المنافق إذا أظهر العود إلى الإسلام ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن ، وهذا قول الشافعي وأحمد – في رواية عنه – ، وحكاه الخطابي عن أكثر العلماء ، والله أعلم .

تنبيه :

المنافق تجرى عليه أحكام الإسلام الظاهرة ، استنبطه الحافظ[١] من أن النبي ﷺ لما توفى عبد الله بن أُبي ، وأنه صلى عليه وكفنه في قميصه قبل أن يُنهى عن الصلاة عليهم[٢] .

---

(١) في «فتح الباري» (٨/ ٤٢١) .

(٢) وحديثه في صحيح البخاري (٤٦٧٢) من حديث ابن عمر .



الإمامة والإمارة

الإمامة والإمارة

ولا يجوز الخروج على الأئمة وولاة الأمور وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم .

ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة .

وعلى ذلك حشد من الأدلة منها :

قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] .

ولا مانع من تناول الآية للعلماء والأمراء .

وقال ﷺ : «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١). ذلك لأن الذي أمر بطاعته في المعروف هو رسول الله ﷺ .

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ»(٢).

وفي رواية: «**وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**».

وهذا تمثيل في الحقارة وسماجة الصورة وعدم الإعتداد بها وكأنه يقول

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٣٧) ، ومسلم (١٨٣٥) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٣٧) .

السمع والطاعة مهما كانت هيئته.

ومعنى «رأسه زبيبة» : أي حبة من العنب يابسة سوداء .

وفي الصحيحين أيضًا : «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»(١) .

وقال ﷺ لحذيفة ﷺ حينما سأله عن الشر مخافة أن يدركه : «**...دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ : «**نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**». قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» . فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(٢) .

وقال ﷺ في حديث ابن عباس ﷺ : «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ ، إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣) .

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا**»(٤) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٨٤) ، ومسلم (١٨٤٧) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٥٣) .

وفي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ أَلاَ مَنْ وَلِىَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[1].

وفي حديث عبادة بن الصامت[2] رضي الله عنه **قال**: بَايَعَنَا رسول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا[3] وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ: «**إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) الذي أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦).

(٣) وأثرة علينا: أي عند استئثار الأمراء بحظوظهم، واختصاصهم إياها بأنفسهم.

وحاصل الكلام: أن طاعتهم لمن يتولى عليهم لا يتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة، ولو منعهم حقهم كما أشار البدر العيني في «العمدة»، والمقصود: طاعة الأمراء، وإن أخذوا المال يُرفِّهون به أنفسهم ويحرمون الرعية.

وفي الصحيحين قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).

وقوله ﷺ لما سألوه: فَمَا تَأْمُرُنَا؟، قَالَ ﷺ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ» أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٤) فلا بد أن يكون الحكم بالكفر عليه واضحًا ظاهرًا قامت الحجة الظاهرة على كفره بما لا يدع =

فدلَّ الكتاب والسنة على :

وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية وإن استأثروا بالدنيا من دون الناس.

فتأمل قول الله ﷻ : ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] ، كيف قال ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر ؟

لأن أولي الأمر لا يُفْرَدُون بالطاعة ، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ ، وأعاد الفعل مع الرسول ﷺ ؛ لأنه من يطع الرسول ﷺ فقد أطاع الله ﷻ ، فإن الرسول ﷺ لا يأمر بغير طاعة الله ﷻ ، بل هو معصوم في ذلك .

وأما أولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله ﷻ فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ[1] .

=

مجالاً للشك أو التأويل أنه كافر ، ولا مانع يمنع من صدور الحكم عليه ؛ لأنه تكفير للمعين بل الحاكم أشد احتياطًا ، فإنه يترتب على الحكم بتكفيره أمور »

وفي قوله ﷺ : «إلا أن تروا كفراً » دليل على عدم التقليد في تكفير الحكام.

ويشترط إذا جاز الخروج عليه أن ينظر في المصالح والمفاسد ، فلابد أن تكون القوة متعادلة أو شبه متعادلة حتى لا تنشأ مفاسد أضعاف الجور الذي يصدر منه فليتنبه من هذا وإلا فمفاسد أفعال قوم في الأُمَّة وخيمة لا يزال الناس يتجرَّعون المرار في آثارها .

(١) وهذا يُزف للذين يتعللون في تنفيذ ما أمر الله ﷻ به بحجة أنها أوامر عليه من أميره وقد أمره

=

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا ، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم .

بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور ، فإن الله ﷻ ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا ، والجزاء من جنس العمل ، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل .

قال ﷻ : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ**

= الشرع بطاعة أولي الأمر فماذا هو قائل لربه غدًا ؟ وقد قال له حكاية عن أمثاله : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

وبين أنهم سيتبرأون منهم وتتقطع أسباب المودة بينهم فقال ﷻ : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقال ﷻ : ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٨ ، ٣٩] .

﴿نَفْسِكَ﴾ [النساء : ٧٩] .

وقال ﷻ : ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٩].

فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم[١] .

فلا تشغل – أيها المعتقد وفقك الله – نفسك بسب الملوك والأمراء ولكن تب إلى الله ﷿ ، وستجد أثر ذلك في أميرك ورئيسك وولي أمرك .

هدانا الله ﷻ لما نختلف فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم .

وقد حكي البخاري [٢]عن ألف رجل لقيه من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر ... ثم عدَّهم أنهم كانوا يقولون : ولا ننازع الأمر أهله، ولا يرى السيف على أمة محمد.

وحكي الفضيل بن عياض قال : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد .

قال الحافظ رحمه الله :

وأطنب بن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من

(١) قاله ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص (٣٦٨) .

(٢) فيما أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٣٢٠) بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٠) .

الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين، وحكاه الفضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة [(١)].

وهذا مما يدل على وجود إجماع متقدم قبل ابن حزم عفا الله عنه.

والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين بَرِّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما

لحديث عوف بن مالك السالف وفيه: «وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ»[(٢)].

وذلك لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس الناس فيهما ويقاوم العدو.

وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

ومن الأدلة على وجوب الجهاد مع البر والفاجر ما أخرجه البخاري[(٣)] عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءٍ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ - أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ -**»

(١) في «فتح الباري» (١/ ٦٠).

(٢) في صحيح مسلم وقد تقدم.

(٣) برقم (٦٢٨٢).

قُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ ، فَقُلْتُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ – أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ –** »، فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : «**أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ**» ، فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ». **ومعنى«ثبج هذا البحر»**: أي وسطه وظهره.

قال الحافظ في «الفتح» (٩١/١١) عن فوائد هذا الحديث :

«فيه مشروعية الجهاد مع كل إمام لتضمنه الثناء على من غزا مدينة قيصر وكان أمير تلك الغزوة يزيد بن معاوية ويزيد يزيد» .

أما الشيعة الروافض الخبثاء – أخزاهم الله ﷻ بما شقُّوا عصى الأمة وخالفوا هدي رسول الله ﷺ وأصحابه بلا بينة ولا برهان

فهم يقولون : لا جِهَادَ في سَبِيلِ الله حتى يَخْرُجَ الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : اتَّبِعُوهُ .

ولذلك يحاربون المجاهدين في سبيل الله ويكونون في صفوف اليهود والنصارى يعاونوهم على المجاهدين لكسر شوكتهم، وَالرَّافِضَة أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةَ في هذه المسألة ؛ لأَنَّهُمْ جَعَلُوا الإِمَامَ الْمَعْصُومَ هُوَ الإِمَامَ الْمَعْدُومَ ، الذي لَمْ يَنْفَعْهُمْ في دِينٍ وَلا دُنْيَا »» فَإِنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ الإِمَامَ الْمُنْتَظَرَ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِي ، الذي دَخَلَ السِّرْدَابَ في زَعْمِهِمْ ، سنة سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ بِسَامَرَّا» وَقَدْ يُقِيمُونَ هُنَاكَ دَابَّة ، إِمَّا بَغْلَة ، وَإِمَّا فَرَسًا ،

لِيَرْكَبَهَا إِذَا خَرَجَ » وَيُقِيمُونَ هُنَاكَ فِي أَوْقَاتٍ عَيَّنُوا فِيهَا مَنْ يُنَادِي عليه بِالْخُرُوجِ : يَا مَوْلانَا، اخْرُجْ » يَا مَوْلانَا، اخْرُجْ» وَيُشْهِرُونَ السِّلاحَ ؛ وَلا أَحَدَ هُنَاكَ يُقَاتِلُهُمْ» إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ التي يَضْحَكُ عَلَيْهِمْ مِنهَا الْعُقَلاءُ »

وَبُطْلانُ هَذَا الْقَوْلِ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَدَلَّ عليه بِدَلِيلٍ.وَهُمْ شَرَطُوا في الإِمَامِ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا وليس ثَمَّ دليل على ذلك [1].

تنبيه :

ليس الجهاد مع ولاة الأمور الذين فيهم جور من القتال تحت الراية العمياء الذي نبه عليه النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ**» [2].

وإنما مقصود الحديث : من قاتل ولم يكن له إمام ، أو القتال من فئة لفئة عصبية كما يحصل في بعض البدو في اليمن وفلسطين وجنوب مصر وغيرها .

فيقاتل ويتعصب ولا يدعو غيره لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه ولهواه ، وأشبه الناس بهؤلاء الذين يموتون في المنادات بالانتخابات

---

(١) وقد أشار الإمام ابن العز الحنفي لنحو ذلك في «شرح الطحاوية» ص(٣٧٦) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٤٨) .

الشعبية التي هي لمصلحة أهواء بعضهم لا علاقة لها بالدين وإن تسمَّت باسمه نجانا الله ﷻ من الجهل وأهله ورداءته .

ومعنى «الراية العمية» : أي الأمر الأعمى كالعصبية لا يستبين وجهه من التعمية وهو التلبيس ، فيقاتل المقاتل لهواه ، لا على مقتضى الشرع اجتماعًا على أمرٍ مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل(١).

قال السندي في «حاشية ابن ماجة»(٢) :

«هِيَ الأَمْر الَّذِي لا يَسْتَبِين وَجْهه كَقَاتِلِ الْقَوْم عَصَبِيَّة ، وَقَوْله «تَحْت رَايَة عُمِّيَّة» : كِنَايَة عَنْ جَمَاعَة مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْر مَجْهُول لا يُعْرَف أَنَّهُ حَقّ أَوْ بَاطِل فَفِيهِ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ تَعَصُّبًا لا لإِظْهَارِ دِين وَلا لإِعْلاءِ كَلِمَة اللَّه وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُود لَهُ حَقًّا (٣) كَانَ عَلَى الْبَاطِل» .

والمقصود:

أن الذين ذكرناهم صنف ، وليس هنا موطن التعرض لبقية الأصناف وتحرير الكلام في ذلك .

---

(١) ونحو هذا نقل في شرح الحديث عن أحمد وإسحاق رحمهما الله وغيرهما .

(٢) في شرحه للحديث برقم (٣٩٣٨) .

(٣) يقصد الانتقام من ظالم، كمن يقاتل الأسرة أو القبيلة من أجل دفع القاتل منهم، والله الموفق، فهذا مقصوده حق، لكن لا يجوز، لأنه سيؤدي إلى مفسدة وعصبية كعصبية الجاهلية الأولى، هذا هو الظاهر، والله أعلم .

ومن تأمل سياق الحديث« **قاتل تحت راية عمية**» علم أن هـذا لا علاقـة لـه بالجهاد مع البر والفاجر، فهذا باب وذاك باب آخر فتنبه .

وواجب لولاة الأمور طاعتهم ، وموالاتهم على الحق ، والنصيحة لهم ، وعدم منازعتهم في ولايتهم

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] . وفي صحيح مسلم عن أم الحصين : «**وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»(١)، وإلا فيعصى في المعصية لا أن تسقط إمارته فتنبه.

وفي رواية : «**إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ**» .

وقال ﷺ : «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ ، إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» (٢).

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ» (٣).

فلا تخلع اليد من طاعتهم وإن ضُرب الظهر وأُخذ المال ، فليسمع المرء

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٨٣٨) وهو في صحيح البخاري (٦٧٢٣) بلفظ : «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٧٤) ، ومسلم (١٧٠٩) .

ويطيع ما لم يكن معصية كما نطقت بذلك الأحاديث وآثار السلف رضي الله عنهم في أخبار يطول شرحها ، ويُضرب عنق من ينازع الإمام .

وأهل الإسلام يُصلّون خلف كل برّ وفاجر

ففي صحيح البخاري[1] عن سالم بن عبد الله بن عمر أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ نَزَلَ عَامَ نَزَلَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ رضي الله عنه كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ سَالِمٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَهَجِّرْ بِالصَّلَاةِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ صَدَقَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي السُّنَّةِ.

وهذا يعني أن سالم بن عبد الله بن عمر ووالده قد ائتما بالحجاج وكان ظالمًا فاسقًا.

وقد نعتته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه بامفتري كما في صحيح مسلم [2]

وفي صحيح مسلم أن أبا سعيد الخدري صلى خلف مروان صلاة العيد في قصة تقديمه الخطبة على الصلاة مع كونه كان مخالفًا للسنة وصلى فخطب قبل الصلاة [3].

---

(١) برقم (١٥٧٩) وعند ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٣) ذكر الأسانيد عن جماعة من السلف كثير عددهم كانوا يصلون خلف الحجاج ، والأخبار المستفيضة عن السلف في ذلك ثابتة واضحة .

(٢) برقم (٢٥٤٥).

(٣) وقصته بذلك في صحيح مسلم (٨٨٩) وفيه «فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَخَرَجْتُ مُخَاصِرًا مَرْوَانَ ، حَتَّى أَتَيْنَا الْمُصَلَّى ، فَإِذَا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ قَدْ بَنَى مِنْبَرًا مِنْ طِينٍ وَلَبِنٍ ، فَإِذَا مَرْوَانُ يُنَازِعُنِي يَدَهُ ، =

وورد أن أنسًا ﷺ أيضًا صلى خلف الحجاج بن يوسف [(١)].

وفي صحيح البخاري قوله ﷺ عن الأمراء والولاة : «**يُصَلُّونَ لَكُمْ ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[(٢)].

قال المهلب :

فيه جواز الصلاة خلف البر والفاجر إذا خيف منه [(٣)].

ويجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقًا باتفاق الأئمة ، **وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه** ، **ولا أن يمتحنه فيقول** : **ماذا تعتقد** ، **بل يصلي خلف مستور الحال**

=

كَأَنَّهُ يَجُرُّنِي نَحْوَ الْمِنْبَرِ ، وَأَنَا أَجُرُّهُ نَحْوَ الصَّلاَةِ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ قُلْتُ : أَيْنَ الِابْتِدَاءُ بِالصَّلاَةِ ؟ فَقَالَ : لاَ يَا أَبَا سَعِيدٍ » قَدْ تُرِكَ مَا تَعْلَمُ ، قُلْتُ : كَلاَّ ،

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ » لاَ تَأْتُونَ بِخَيْرٍ مِمَّا أَعْلَمُ ثَلاَثَ مِرَارٍ ثُمَّ انْصَرَفَ» .

والمعنى كما قال القاضي : انصرف عن جهة المنبر إلى جهة الصلاة ، وليس معناه أنه انصرف من المصلى وترك الصلاة معه ، بل في رواية البخاري (٩٥٧) أنه صلى معه وكلمه في ذلك بعد الصلاة .

(١) وقد رد على السائلين بالصبر على جور الحجاج ومقتضاه أنه يأمرهم بالصلاة خلفه فراجع صحيح البخاري (٧٠٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٤) وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار فيه مقال ، ولكن له شاهد عند ابن حبان (٢٢٢٨) عن أبي هريرة ﷺ من وجه آخر بنحو من ألفاظه وإسناده حسن ولفظة : «سيأتي أقوام أو يكون أقوام يصلون بكم الصلاة ، فإن أتموا فلكم ولهم ، وإن نقصوا فعليهم ولكم» .

(٣) حكاه عنه الحافظ في «فتح الباري» (٢/ ٢٣١) .

وَلَوْ صلى خَلْفَ مُبْتَدِعٍ يـدعو إلى بدعتـه ، أو فاسـق ظـاهر الفسـق ، وهـو الإمام الراتب الذي لا يمكنـه الصـلاة إلا خَلْفَـه ، كَإِمَـامِ الْجُمْعَـة وَالْعِيـدَيْنِ ، وَالإِمَامِ في صلاة الْحَجِّ بِعَرَفَة ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَلِّي خَلْفَـه ، عِنْـدَ عَامَّة السَّلَفِ وَالْخَلَفِ (١) .

وَمَنْ تركَ الْجُمْعَة وَالْجَمَاعَـة خَلْـفَ الإِمَـامِ الْفَـاجِرِ فَهُـوَ مُبْتَـدِعٌ عِنْـدَ أَكْثَـرِ الْعُلَمَاءِ

وَالصَّحِيحُ أنـه يُصَـلِّيهَا وَلا يُعِيـدُهَا ، فَـإِنَّ الصَّـحَابَة رضي الله عنهم كَـانُوا يُصَـلُّونَ الْجُمْعَة وَالْجَمَاعَة خَلْفَ الأَئِمَّة الْفُجَّارِ وَلا يُعِيـدُونَ ، كَمَـا كَـانَ عَبْـدُ الله بْـنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ (٢) .

---

(١) حكاه شارح الطحاوية ص(٣٥٩) .

(٢) وذلك لما سأله الحجاج كيف تصنع بالموقف يوم عرفة .

وظاهر سياق الأثر أن ابن عمر صلىٰ خلفه كما في صحيح البخاري (١٦٦٢ ، ١٦٦٣) ، وأخرج الخطابي في «العزلة» (٢٣) ، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٣٠٤) بإسنادٍ يثبت عن مسلم بن المثنىٰ قال : كنا مع عبد الله بن الزبير والحجاج محاصره فكان عبد الله بن عمر يصلي مع ابن الزبير ، فإذا فاتته مع ابن الزبير ، فسمع مؤذن الحجاج يصلي مع الحجاج

فقيل له : أتصلي مع ابن الزبير ومع الحجاج ؟

فقال : إذا دُعينا الي الله عز وجل أجبنا واذا دَعونا الي الشيطان تركناهم .

بل إن ابن عمر جمع حشمة وولده وحذرهم من نقض بيعة يزيد بن معاوية مع ما أُثر عنه من شرب الخمور فانظر صحيح البخاري (٧١١١) .

=

وَكَذَلِكَ أَنَسٌ ﷺ[(١)]، وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ وغيره يُصَلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَة بْنِ أبي مُعَيْطٍ، وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ[(٢)]،وَالْفَاسِقُ

=

وأخرج عبد الرزاق (٩٦٠٧) واللالكائي (٢٣٠٦) عن معمر عن الزهري عن محمود بن الربيع أن أبا أيوب الأنصاري غزا مع يزيد بن معاوية الغزوة التي مات فيها ، وإسناده صحيح .

وأخرج عبد الرزاق (٩٦٠٨) عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: كان أبو أيوب الأنصاري يغزو مع يزيد بن معاوية فمرض وهو معه ، فدخل عليه يزيد يعوده

فقال له : حاجتك ؟

قال : إذا أنا مت فسر بي في أرض العدو ما استطعت ، ثم ادفني

قال : فلما مات سار به حتى أوغل في أرض الروم يومًا أو بعض يوم ثم نزل فدفنه .

وإذا كان يغزو معه فإنه يصلي معه .

وفي صحيح مسلم (١٢٥٦) أن الأعمش صلى خلف الحجاج .

(١) فقد كان الحجاج بن يوسف يحج بالناس ، ولم يُعلم أن أحدًا من الصحابة تخلف عن الصلاة خلفه ، وكانوا يحجون معه كذلك ، وراجع صحيح البخاري (١٦٦٢). ، ومسلم (١٢٩٦) .

(٢) في صحيح البخاري (٣٨٧٢) . أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان يشرب الخمر وأن عثمان ﷺ عاقبه على ذلك، وصح عند سعيد بن منصور (٢٥٠١) شربه الخمر في أواخر عهد الصحابة.

وقد أخرج الإمام أحمد (١/ ٤٥٠) بإسنادٍ رجاله ثقات عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُثْمَانَ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَحمَن بْنِ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ أَخَّرَ الصَّلاةَ مَرَّةً ، فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ فَثَوَّبَ بِالصَّلاةِ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ أَجَاءَكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ فِيمَا فَعَلْتَ أَمْ ابْتَدَعْتَ ؟ قَالَ : لَمْ يَأْتِنِي أَمْرٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ أَبْتَدِعْ وَلَكِنْ أَبَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا وَرَسُولُهُ أَنْ نَنْتَظِرَكَ بِصَلاتِنَا وَأَنْتَ فِي حَاجَتِكَ .

وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه على الراجح .

=

وَالْمُبْتَدِعُ صَلاتُه فِي نَفْسِهَا صَحِيحَة ، فَإِذَا صلى الْمَأْمُومُ خَلْفَه لَمْ تَبْطُلْ صَلاتُه ، لَكِنْ إِنَّمَا كَرِه مَنْ كَرِه الصلاة خَلْفَه ؛ لأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ تَرْكُ الصلاة خَلْفَه يُفَوِّتُ الْمَأْمُومَ الْجُمْعَة وَالْجَمَاعَة ، فَهُنَا لا يَتْرُكُ الصلاة خَلْفَه إِلا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَة رضي الله عنهم[1].

=

وقد أخرج عبد الرزاق (٣٧٩٠) عن معمر عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم بن عبد الرحمن مرسلاً لم يذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

والوجه الأول أقوى ، فعبد الرحمن أقوى ولكن كان قد اختلط قبل موته .

وأخرج عبد الرزاق (٣٧٨٦) عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن ابن مسعود قال لأصحابه: إني لا آلوكم عن الوقت ، فصلى بهم الظهر حسبته قال : حين زالت الشمس ، ثم قال : إنه ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة ، فصلوا الصلاة لوقتها فإن أدركتم معهم فصلوا .

وأخرج (٣٧٨٧) عن معمر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود بنحوه وفيه «فإذا أدركتم معهم فصلوا» .

وأخرج (٣٧٨١) عن الثوري عن أيوب عن أبي العالية قال : أخَّر عبيد الله بن زياد الصلاة فسألت عبد الله بن صامت ، فضرب فخذي ثم قال : سألت خليلي أبا ذر فضرب فخذي ، ثم قال : سألت خليلي – يعني النبي × – فضرب فخذي ، فقال : صل الصلاة لوقتها فإن أدركت فصل معهم ، ولا يقولن أحدكم : إني قد صليت فلا يصلي .

مع أن عبيد الله بن زياد هذا هو صاحب السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنهما وجعل هو ينكت بالقضيب في ثنايا الحسين بعد حَزّ رأسه

وراجع بابًا عند عبد الرزاق بعنوان «الأمراء يؤخرون الصلاة» ففيه جملة آثار تدل على المراد .

(١) حكاه شارح الطحاوية ص(٣٦٠) .

قلت «محمد»: وقد كان حذيفة ﷺ مؤتماً بأميره الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان مصرًّاً على شرب الخمر .(١)

وأبو أيوب الأنصاري ﷺ كان تحت إمرة يزيد بن معاوية في غزو الروم كما بينته في غير هذا المقام في كتابي «تصحيح حقبة من التاريخ»

قال الإمام الصابوني رحمه الله في «عقيدة السلف أهل الحديث» (٢)

ويرى أصحاب الحديث الجمعةَ والعيدين وغيرهما مِن الصلوات خلف كلِّ إمامٍ مسلمٍ، برًّا كان أو فاجرًا ، ويرون جهادَ الكفرة معهم وإن كانوا جوَرَةً فجَرةً ، ويرون الدعاءَ لهم بالإصلاح والتوفيق والصّلاح ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف ، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل (٣).

وإذا بويع الخليفة ثم جاء آخر فإنه يضرب عنقه فلا بيعة إلا لأمير واحد كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك

وأما تأميره ﷺ للثلاثة الذين في غزوة مؤتة بقول أنس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ :

«إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة...ثم قال بعد ذلك:

(١) وهذا في «مصنف ابن أبي شيبة» بسندٍ صحيح. وذكرت روايته بطوله في كتابي «عقيدة المسلم الصغير».

(٢) في كتابه «عقيدة السلف أهل الحديث» .

(٣) ويؤيده قوله ﷻ : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩] .

«أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»(١).

فليس من هذا الباب ؛ لأن الإمارة في هذا الموطن كانت معقودةً لواحد منهم على الترتيب ، فهذا جائز كما في هذا الحديث .

وفي الحديث السالف جواز التأمير في الحرب على الترتيب ومتى اتفقوا عليه ، والله أعلم .

ولكن تقدم أن الشرع أمر بالطاعة للأمراء حتى الظلمة الذين لا يهتدون بهدي رسول الله ﷺ ولا يستنون بسنته

كما في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ :**«يَكُونُ بَعْدِى أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»** قَالَ حُذَيْفَةُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ : **«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»**(٢) .

ولكن كيف يجمع بين هذا وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ : **«فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ»** ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ، قَالَ : **«قَاتِلْهُ»** ، قَالَ :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٢، ٤٢٦١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٤٧) وله شواهد ذكرتها في «التوضيحات الجلية» .

أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي قَالَ : «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**» ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ، قَالَ : «**هُوَ فِي النَّارِ**»(١).

وحديث سعيد بن زيد قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» (٢).

وحديث سويد بن مقرن قال :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» (٣).

وهذا تحريض على الدفاع عن النفس والمال

فكيف يجمع بين هذا والحديث الأول؟ الذي فيه أن تسمع وتطيع وإن أخذ مالك

فالجواب :

ما قاله ابن المنذر :

ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٠) وله شواهد.

(٢) صحيح أخرجه أحمد (١/ ١٩١) ، والنسائي (٤١٠٥ ، ٤١٠٦) ، وأبو داود (٤٧٧٢) ، والترمذي (١٤٢١) .

(٣) حديث حسن لشواهده أخرجه النسائي (٤١٠٧) ، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٨٧٠٨٦) رقم (٦٤٥٤) .

أنفسهم وأموالهم ، وهذا مذهب ابن عمر والحسن البصري وقتادة ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق والنعمان .

قال أبو بكر ابن المنذر : وبهذا يقول عوام أهل العلم : إن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلمًا للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخص وقتًا دون وقت ولا حالاً دون حال إلا السلطان ، فإن جماعة من أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة الدالة عن رسول الله ﷺ بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم [(١)].

قلت : يعني حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[(٢)].

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : «بَايَعَنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا ، وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ، إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» [(٣)].

وحديث الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا

(١) حكاه عنه القرطبي في «التذكرة» (٥٩٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٦) .

نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ : «اصْبِرُوا ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ [(١)].

ناهيك عن كثرة وعظم المفاسد التي تترتب على الخروج عليه ، فإذا كان الإمام قرشيًا يصلح لأن يكون قاضيًا مجتهدًا ذا خبرة ورأي، حصيفًا بأمر الحروب وتدبير الجيوش وسدّ الثغور ، سليم الحواس التي يحتاج إليها في القيادة بالغًا عاقلاً عدلاً غير ظالم فيُسمع له وإن جانبه الصواب في بعض الأمور .

ومن ظلم معاهدًا أو أخذ حقه أو قتله– وقد أمَّنه أمير المسلمين – فالله خصيمه وحجيجه يوم القيامة ولا علاقة للمعاهد بصحة انعقاد إمارة المولَى أو عدم انعقادها

فعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال : **«مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** [(٢)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٦١) .

(٢) وهو حديث حسن ، وقد جوده الحافظ العراقي وقال السخاوي : إسناده لا بأس به ، وكذا قال تلميذه ابن الديبع الشيباني في «تميز الطيب من الخبيث» ، وكذا قواه العجلوني في «كشف الخفا».

وقال العراقي عن إبهام أبناء الصحابة :

«هؤلاء العدة من أبناء الصحابة يبلغون حدَّ التواتر الذي لا يُشترط فيه العدالة» .

وورد أن أحمد قال في بعض طرقه ضمن أحاديث أخرىٰ «لا أصل له» .

=

وأنبه إلى أن من خلع يدًا من طاعتهم ولم يعترف بهم وما زالوا أمراءه ولهم الغلبة فلا يجوز له أيضًا أن يقتل أو يسرق ... من أمَّنوه.

لأنه دخل بعهد، ولا علاقة له بإسقاط بعض الرعاة إمارة أميرهم الظاهر أم لا ، هذا من خصائص المسلمين، وقتله في هذه الحالة يعتبر غدرًا ، وإذا كان النبي ﷺ أمَّن وآجر من آجرت أم هانئ رضي الله عنها وهي امرأة .

وقال ﷺ في حديث حسن الإسناد : «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**» [١].

وأدخل به بعض العلماء تأمين مَن أمَّنَهُ العبد المسلم ، فكيف لا يؤمَّن مَن أمَّنَهُ الحاكم المسلم أو حتى مَن في صحة إمارته نزاع ؟» مع أن الإمارة لا تسقط بشيء محتمل

ألا يُجعل من في صحة إمارته نزاع كالمرأة أو العبد لدخولهما في أدنى المسلمين ؟».

=

وقال العراقي في «نكته» :

لا يصح هذا الكلام عن أحمد فإنه أخرج حديثًا منها في «المسند» وقد نقل القرطبي في «التذكرة» ص(٣٠٠) تصحيحه عن عبد الحق الإشبيلي ، وقد استدل العراقي على التواتر في أبناء الصحابة بأنه قد ورد في بعض طرقه أنهم ثلاثون ، فراجع تحرير أسانيده وكلام العلماء عليه في كتابنا «الفوائد النيرة» .

(١) خرجته في كتابي «بر الوالدين» الطبعة الثانية .

ويجوز الصلاة خلف المفتون(١) **والمبتدع – على الراجح –**(٢) لحديث عُبَيْدِاللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﵁ وَهْوَ مَحْصُورٌ فَقَالَ : إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ ، وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ وَنَتَحَرَّجُ .فَقَالَ :الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ(٣).

فكأنه ﵁ قال : لا يضرّك كونه مفتونًا بل إذا أحسن فوافقه على إحسانه واترك ما افتتن به ، وكأنه أذن بالصلاة خلفه .

وهو الذي أيده البخاري﵀ لما بوب للحديث بباب إمامة المبتدع والمفتون.

وقد أخرج سعيد بن منصور بإسناد ثابت عن الحسن أنه سُئل عن الصلاة خلف صاحب البدعة فقال : «صَلِّ خَلْفَهُ وَعَلَيْهِ بِدْعَتُهُ»(٤).

---

(١) والمفتون : هو الذي دخل في الفتنة فخرج على الإمام ، ومنهم من فسرها بما هو أعم من ذلك حكاه الحافظ في «الفتح» .

(٢) وقد خالف أحمد فقال : لا يصلي خلف أحد من أهل الأهواء كالمعتزلة والجهمية وغيرهما .

وقال ابن المنذر : «كل من أخرجته بدعته إلى الكفر لم تجز الصلاة خلفه ، ومن لم يكن كذلك فالصلاة خلفه جائزة ، ولا يجوز تقديم من هذه صفته ، وخلاف العلماء في ذلك ... » ذكره ابن المنذر في «الأوسط» (٤/ ٢٦٤) وما بعدها .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٩٥) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٢ فتح) معلقًا تعليقًا مجزومًا به ، وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن المبارك عن هشام عن الحسن به ، وإسناده صحيح عن الحسن .

وأورد البخاري حديث أنس قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ ، وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**» .

وكأن البخاري يستدلُّ بعمومه على مراده .

ولكن لا يفوتني أن أنبه إلى قول شيخ الإسلام :

ولا تصح الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع والفسقة مع القدرة على الصلاة خلف غيرهم[1].قلت«محمد»: والصواب أنها تكره، وقوله «لا تصح مما لا أعلم له وجهة إلا أن تكون بدعته بدعة مكفرة، والله أعلم ».[2]

وللأمير أن يفضل بعض الرعية لمصلحة لم يرها

لحديث سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. فَقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**». فَسَكَتُّ قَلِيلاً ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ:مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا فَقَالَ : «**أَوْ**

---

(١) «الاختيارات الفقهية» ص (١٠٧) .

(٢) وقد قال نفسه في«مجموع الفتاوى»(٢٣/ ٣٤٢)في شأن الصلاة خلف أهل الأهواء:« أَوْسَطُ الْأَقْوَالِ فِي هَؤُلَاءِ أَنَّ تَقْدِيمَ الْوَاحِدِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي الْإِمَامَةِ لَا يَجُوزُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى غَيْرِهِ. فَإِنَّ مَنْ كَانَ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ أَوْ الْبِدَعِ يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَنَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ مَرَاتِبِ الْإِنْكَارِ هَجْرُهُ لِيَنْتَهِيَ عَنْ فُجُورِهِ وَبِدْعَتِهِ ». وقال في«منهاج السنة»(١/ ٢٧):« التَّحْقِيقَ أَنَّ الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ لَا يُنْهَى عَنْهَا لِبُطْلَانِ صَلَاتِهِمْ فِي نَفْسِهَا لَكِنْ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَظْهَرُوا الْمُنْكَرَ اسْتَحَقُّوا أَنْ يُهْجَرُوا، وَأَنْ لَا يُقَدَّمُوا فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَرْكُ عِيَادَتِهِمْ، وَتَشْيِيعُ جَنَائِزِهِمْ كُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ الْهَجْرِ الْمَشْرُوعِ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ لِلنَّهْيِ عَنْهُ ».

مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : «**يَا سَعْدُ ، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ**»(١).

وإذا غابت حكمة تفضيل الأمير لبعض الرعية ، فلا يجوز الاعتراض – وإن غلب على ظنه أنه جائر – إذا كان الاعتراض يشق العصا

ففي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه(٢) قَالَ : بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ ، وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ ، وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْرِ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، فَتَغَضَّبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ فَقَالُوا : يُعْطِيهِ صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ» . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، نَاتِئُ الْجَبِينِ ، كَثُّ اللِّحْيَةِ ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللَّهَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ فَيَأْمَنِّي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَلاَ تَأْمَنُونِي**». فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ – قَتْلَهُ أُرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ – فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧) ، ومسلم .

(٢) والذي أخرجه البخاري (٧٤٣٢) .

، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

---

(١) وقد ذهب الإمام ابن بطال إلى جواز رفع السُّلْطَان أَمْلاك قَوْم إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَة وَاسْتِئْلاف بحديث الْمِسْوَر بْنِ مَخْرَمَة رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ × حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ قَامَ فِي النَّاسِ ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ جَاءُونَا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا» . فَقَالَ النَّاسُ طَيَّبْنَا لَكَ . الذي أخرجه البخاري (٢٥٨٣) ، ويستدل به لمثل فعل لمثل جمال بن عبد الناصر حاكم جمهورية مصر العربية في القرن الحالي من تأميمه أراضي بعض أصحاب الأملاك الكبيرة .

وَتَعَقَّب ابْنُ الْمُنِير ابنَ بطال وَقَالَ : لَيْسَ كَمَا قَالَ ، بَلْ فِي نَفْسِ الْحَدِيث أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَفْعَل ذَلِكَ إلا بَعْد تَطْيِيبِ نُفُوسِ الْمَالِكِينَ . حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٥/ ٢٥٧) وهو تعقب وجيه .



البدعة والابتداع

الابتداع في الدين

والبدعة في الشرع هي كل اعتقاد أو فعل أو ترك تُعُبِّدَ به لله ﷻ وليس في الشرع دليل على مشروعيته .

فالتعبد لله ﷻ بتمثيل صفاته بصفات خلقه، أو تعطيل الصفات عن معناها الحقيقي ، أو نفي القدر عن الله، واعتقاد اعتقادات مخالفة لمنهج السلف الصالح ، كل هذا من الابتداع في الدين .

وكذلك التعبُّد لله بغير ما شرع أو التعبُّد لله بزيادة أو نقصان عمَّا كان العمل عليه عند أصحاب رسول الله ﷺ ...كل هذا من الابتداع في الدين ...

ولذلك أنكر رسول الله ﷺ على الثلاثة الذين تقالُّوا عبادته ﷺ ، وأرادوا أن يتعبَّدوا الله ﻷ بالزيادة على فعله ﷺ فقال : «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1].

ولا يوجد بدعة حسنة وبدعة سيئة ، فإن جميع البدع مُحرَّمة ممنوع فعلها عند المحققين ، وما ورد مما يُوهم أن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة فليس بصريح في الدلالة .

وفي ذم البدع عمومًا أدلة منها :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) .

قوله ﷺ : «... **فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» (١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ ﷺ قال : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» (٢).

فمن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن لهم يومئذٍ دِينًا فلا يكون لهم اليوم دِينًا ، كما قال الإمام مالك رحمه الله (٣) .

وهو كلام موافق للمعقول جدًّا .

وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما : «كلُّ بدعةٍ ضلالة وإنْ رآها الناسُ حسنةً» (٤).

ولما رأى ابن مسعود رضي الله عنه مواظبة قوم على خيرٍ لم يواظِب عليه النبيُّ ﷺ، وأرادوا بذلك الخير – زعموا – قال : «ويحكم ما أسرع هلكتكم ، هذه ثياب

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨١٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) .

(٣) أخرجه عنه ابن حزم في «الإحكام» (٢/ ٢٣١) ط دار الحديث بإسناده إلى ابن الماجشون عن مالك ، وعنه نقل الشاطبي في «الاعتصام» وعلماء اللجنة الدائمة (٤/ ١٣٢) .

(٤) أخرجه عنه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢٦) بإسناده .

النبي ﷺ لم تُبلَ ، وآنيته لم تُكسَر والذي نفسي بيده لأنتم على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ ، أو مفتتحون على أنفسكم باب ضلالة» [(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن أبي عثمان النهدي قال : كَتَبَ عَامِلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ ، أَنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلأَمِيرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَقْبِلْ وَأَقْبِلْ بِهِمْ مَعَك ، فَأَقْبَلَ ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: أَعِدَّ لِي سَوْطًا ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ أَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِهِمْ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ ، فَقَالَ : يَا أمير المؤمنين ، إِنَّا لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنِي أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ [(٢)] وسيأتي ذكر عمر رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «**فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**» [(٣)].

والشرة : النشاط والرغبة، **والفترة** :الكسل من الفتور .

وقال حذيفة رضي الله عنه : «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ

---

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢٠٤) وبحشل في «تاريخ واسط» ص ١٩٩ بإسنادٍ حسن بطريقيه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩١) ، وراجع رسالتنا «بدعية الذكر الجماعي» ص ٢٠ وما بعدها الطبعة الأولى .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ١٥٨) ، وبعض أصحاب السنن ، وأصل الحديث عند البخاري (٥٠٥٢) ، ومسلم (١١٥٩) دون موطن الشاهد .

أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالاً ، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا» (١)ي سبقكم الصحابة ﭫ .

وهذا مأخوذ من قوله ﷻ : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

قال البخاري ﵀ :

لقِيت أَكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز وَمَكَّة وَالْمَدينَة وَالْبَصْرَة وواسط وبغداد وَالشَّام ومصر ... قرنًا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من أربعين سنة ... كانوا ينهون عن البدع ما لم يكن عليه النبيّ ﷺ وأصحابه ﭫ لقوله ﷻ : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور : ٥٤] (٢).

وواجب على جميع المسلمين الإعراض عن أهل البدع حتى لا يتأثروا بهم في اتباعهم للمتشابه ابتغاء الفتنة

قال ﷻ : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٢٨٢) .

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٣٢٠) بإسناد صححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٠) .

قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

قال ﷺ : «**فَإِذَا رَأَيْتُم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ**» (١) .

اللهم إلا إذا كان الذي معهم هذا من أهل العلم ؛ لأن اختلاطه بهم يبين لهم الحق ، فيكون فيه مصلحة بخلاف غيره ، وهذا ما تؤيده روح الشريعة وأصولها ، كما ذهب ابن عباس يُناظر الخوارج ليردَّهم .

والخلاصة :

أنه يُمنَع المسلم أن يتعبَّد إلى الله بعبادة مبناها على غير دليل أو حديثٍ ضعيفٍ أو مكذوبٍ أو مخالف لعمل السلف رضي الله عنهم وإن كان على هذا العمل جمهور الناس- أعني العوام- قد اعتادوه .

تنبيه ١ : قد يرد الإحداث في الدين بالمعنى اللُغوي كما في حديث : «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» (٢) .

تنبيه ٢ :لا يوجد دليل خاص في النهي عن كل بدعة بعينها، وإنما يُستدل على المنع من كل بدعة بمثل الأدلة العامة المتقدمة، هذا إن لم يكن هناك نهي

---

(١) صح ذلك عند البخاري (٤٥٤٧) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٠١٧) .

خاص

تنبيه ٣ : صاحب البدعة يقصد أنه يتقرب إلى الله ﷻ ، وربما ادَّعى أنه يجد في بدعته من الخشوع ما لم يجده في اتباعه للسُّنة .

ولكن كم من مُريد للخير لم يبلغْه كما أشار ابن مسعود المعلّم ﷺ .

والمقصود :

* فكل عبادة تستند إلى حديث ضعيف أو مكذوب أو رأي مجرد عن الدليل وهوى ، فالعمل بها بدعة

* إذا تَرَكَ الرسول فعل عبادة من العبادات مع كون موجبها وسببها المقتضي لها قائمًا ثابتًا ، والمانع منها منتفيًا ؛ فإن فعلها بدعة (١).

مثل الاحتفال بأيام الإسلام ووقائعه المشهودة ، واتخاذها أعيادًا ؛ كالاحتفال بمولد النبيّ ﷺ ، ورأس السنة الهجرية ، والانتصارات ونحو ذلك .

وإلى هذا أشار شيخ الإسلام فقال :

فَأَمَّا مَا تَرَكَهُ ﷺ مِنْ جِنْسِ الْعِبَادَاتِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَشْرُوعًا لَفَعَلَهُ أَوْ أَذِنَ فِيهِ وَلَفَعَلَهُ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ وَالصَّحَابَةُ : فَيَجِبُ الْقَطْعُ بِأَنَّ فِعْلَهُ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ (٢).

* لا تُتخذ العادات التي كانت من النبي ﷺ عبادات إلا إذا عُلم أن النبيّ ﷺ اتخذها عبادات ؛ لأن التقرُّب إلى الله ﷻ لا يكون إلا بفعل الواجبات

---

(١) «قواعد في معرفة البدع» ص ٧٥ .

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ١٧٢) .

والمستحبات ، فلا تُتخذ العادة أو المعاملة عبادة .

ولذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَنْ تَعَبَّدَ بِعِبَادَةٍ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَلا مُسْتَحَبَّةً ؛ وَهُوَ يَعْتَقِدُهَا وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ بِدْعَةً سَيِّئَةً لا بِدْعَةً حَسَنَةً بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ فَإِنَّ اللَّـهَ لا يُعْبَـدُ إلا بِمَا هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ (١).

* كل عبادة تعبَّد بها رسول الله ﷺ بصفة معينة فإن التعبد بها بغير الصفة التي فعلها رسول الله ﷺ غير مشروع .

لأن العامل حينئذٍ مُخالف لرسول الله ﷺ في هيئة العمل ، وإن كان أصل العمل مشروعًا .

* وما فعله النبي ﷺ مرة أو مرات ولم يُداوم عليه؛ فالمداومة عليه بدعة يُزجر فاعلها كما زجر على مثله ابن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وغيرهما فيما تقدَّم ، فإنهما نهيا عن المواظبة على عمل قد عمله النبيّ ﷺ ، وأمر بالدعاء به لكنه لم يُداوم على فعله.

فقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه عمل خير اتخذ عادة ، وعمر رضي الله عنه أنكر دعاءً جماعيًا مع أمره ﷺ الصحابة بصورة الدعاء الجماعي بقوله ﷺ : «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَ : «**تَعَوَّذُوا بِاللَّـهِ مِنَ**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٦٠) .

الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» . قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . قَالَ : «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» . قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ... الحديث [١].

* الغُلو في العبادة بالزيادة عن القدر المشروع بدعة تُنكر على فاعلها [٢].

كفعل الخوارج فإنهم يُغالون في العبادات جدًّا بلا فقه ، وهم ضعفاء العقول .

وقد أنكر النبيّ ﷺ على الثلاثة الذين أرادوا أن يُغالوا في عبادتهم ويزيدون على عبادة النبيّ ﷺ .

* والغُلو في الدين هو عمل اليهود والنصارى وهو من أعظم أسباب ضلالهم.

وقد نهاهم الله ﷻ عن الغلو فقال : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ [المائدة : ٧٧].

والذي يسأل عن متشابه القرآن مبتدع يُؤدَّب ويُضرَب ؛ لأنه مفتون شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه ، فلا ينبغي أن يُقبل المرء على ما لا نفع له به ، وذلك فضلاً عن الإجابة عليه وتضييع الوقت معه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) ، وراجع رسالتي «بدعية الذكر والدعاء الجماعي» فقد حررت هناك – بفضل الله – ما لم تجده محررًا في غيره فلله الحمد والمنة .

(٢) وقد أشار إلى نحو ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩٢) .

أخرج الآجري في «الشريعة» ،والدارمي في «السنن» بإسناد صحيح عن السائب بن يزيد قال : أتي عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا لَقِينَا رَجُلًا يَسْأَلُ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمْكِنِّي مِنْهُ قَالَ: فَبَيْنَا [ص:٤٨٢] عُمَرُ ذَاتَ يَوْمٍ يُغَدِّي النَّاسَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَعِمَامَةٌ يَتَغَدَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: ٢] فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ هُوَ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَجْلِدُهُ حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ، فَقَالَ:«وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ(١)، أَلْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى قَتَبٍ(٢)، ثُمَّ أَخْرِجُوهُ حَتَّى تَقْدِمُوا بِهِ بِلَادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ خَطِيبًا، ثُمَّ لِيَقُلْ: إِنَّ صَبِيغًا طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَخْطَأَهُ » فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ (٣) .

ولم يكن ابن عمر يجيب عن الأسئلة الافتراضية إلا إذا وقعت كما صنع ابن عمر ففي صحيح البخاري(١٦١١)عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ

(١) لأنه لو رآه محلوقاً، بعد ما ظهر منه فسيمة الخوارج ظاهرة عليه«سيماهم التحليق» جاز قتله.

(٢) قتب: أي جمل.

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٢١٠) بإسناد ثابت ، وأخرج نحوه الدارمي في «السنن» (١٤٤) ، والآجري (١/ ٢١١) ، والصابوني في «اعتقاد السلف» (٤٤) بإسناد منقطع بين سليمان بن يسار وعمر .
وله طريق آخر أخرجه الدارمي (١٤٨) من وجه آخر، وفي إسناده انقطاع بين نافع مولى ابن عمر وعمر، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو سيء الحفظ، والحاصل: أن الخبر ثابت قد احتج به جماعة من السلف ، انظر «عقيدة السلف» للصابوني رقم (٤٢) .

ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ اسْتِلامِ الْحَجَرِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِالْيَمَنِ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ».

وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه لَا يَقُولُ بِرَأْيِهِ فِي شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى يَقُولَ أَنْزَلَ أَمْ لَا؟» فَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَزَلَ لَمْ يَقُلْ فِيهِ، وَإِنْ وَقَعَ تَكَلَّمَ فِيهِ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَيَقُولُ: «أَوَقَعَتْ؟» فَيُقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَا وَقَعَتْ وَلَكِنَّا نُعِدُّهَا فَيَقُولُ: «دَعُوهَا فَإِنْ كَانَتْ وَقَعَتْ أُخْبِرُهُمْ».[1]

وقال مسروق: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: «أَكَانَتْ هَذِهِ بَعْدُ؟» قُلْتُ: لَا قَالَ: «فَأَجِمَّنِي حَتَّى تَكُونَ».[2]

والعقوبة إنما هي:

لمن يسأل تعمدًا لا تفقيهًا، مثل الذين يسألون عن أشياء لا تنفعهم في أمور دنياهم أو أمر أخراهم، والعلماء قديمًا كانوا يكرهون عضل المسائل ويأمرون بالسؤال عما يعني خوفًا من المراء والجدال بالباطل[3].

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٢٠٥٨) بسندٍ حسن.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٢٠٥٧) بسندٍ صحيح.

(٣) وراجع «الشريعة» للآجري (١/ ٢١٢) وما بعدها.

علامات أهل البدع

قال الصابوني رَحِمَهُ اللهُ[١] :

وعَلاماتُ أَهلِ البدَعِ عَلى أَهلها ظاهرة بادية ، وأَظهرُ آياتهم وعَلاماتهم شدَّةُ مُعاداتهم لحمَلة أَخبار النبيِّ ﷺ واحتقارهم لهُم ، وتَسميتهم إياهم حَشويَّة ، وجَهلة ، وظاهرية ، ومُشبهة ؛ اعتقادًا منهُم في أَخبار رسول الله ﷺ أَنَّها بمعزل عن العلم ، وأَن العلم ما يُلقيهِ الشيطانُ إِليهِم من نتائجِ عُقولهم الفاسدة ، ووساوس صُدورهم المُظلِمَة ، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وحججهم العاطلة ، بل شُبههم الداحضة الباطلة . ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ [محمد : ٢٣] ، ﴿ **وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الحج : ١٨] أ.هـ

والعلم هو السنة ، والجهل هو البدعة .

والحقيقة :

أنه ليس في الدنيا مُبتدع أو مُلحد إلا وهو يبغض أهل الحديث ، وسماع كلامهم ، والابتداع يخرج حلاوة الحديث من القلب .

وقد أخرج اللالكائي[٢] عن أبي حاتم الرازي في حكاياته معتقد أهل

(١) في «عقيدة السلف» ص (٨٣) .

(٢) بإسناده برقم (٣٢١) .

الحديث قال : علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم[١] عن أبيه وأبي زرعة أنهما كانا يأمران بهجران أهل الزيغ يُغلّظان في ذلك أشد التغليظ ويُنكران وضع الكتب برأي بغير آثار[٢].

وفي «مسائل عبد الله » قال عبد الله: سَأَلت أبي عَن رجل ابتدع بِدعَة يَدْعُو اليها، وَله دعاة عَلَيْهَا هَل ترى ان يحبس

قَالَ: نعم أرى أن يحبس وتُكَفَّ بدعته عَن الْمُسلمين.[٣]

وقد تكلّم أحمد في غير واحد من أهل البدع من الجهمية والمبتدعة وغيرهم من أصحاب الهوى، وتقدَّم عقوبة عمر لبعضهم، وتعنيف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لهم يوم عقدهم حلقة الذكر الجماعي، وأمر النبي ﷺ بقتال الخوارج، وأنكر الصحابة فمن بعدهم عليهم وقبَّحوهم، وعنَّف ﷺ الثلاثة الذين تقالُّوا عبادة النبي فغلو في العبادة ..، وكيف لا وخطر المبتدع أكبر من خطر العاصي كما بينا في غير هذا المقام.

قَالَ عبد الله بن أحمد: قلت لأبي:مَا تَقول فِي أصحاب الحَدِيث يأْتونَ الشَّيْخ لَعَلَّه يكون مرجئاً اَوْ شِيعِيًّا أوْ فِيهِ شَيْء من خلاف السّنة، أينبغي أَن

(١) في «شرح اعتقاد أهل السنة» اللالكائي بإسناده (٣٢٢) .

(٢) ولهذا جرينا في هذا الكتاب على عدم وضع الكلام بغير أدلة .

(٣) «مسائل عبد الله»(١٥٩٠).

اسْكُتْ فَلَا احذر عَنهُ أم أحذر عَنهُ؟

قَالَ: إِن كَانَ يَدْعُو الى بِدعَة وَهُوَ إِمَام فِيهَا وَيَدْعُو اليها قَالَ نعم تحذر عَنهُ.[١]

وَقَالَ المروذي: قُلْتُ لأبي عبد اللَّه - يعني إمامنا أَحْمَد - ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة، ويسكت عن الكلام فِي أهل البدع؟ فكلح وجهه وَقَالَ: إِذَا هُوَ صام وصلى واعتزل الناس أليس إنما هُوَ لنفسه؟ قُلْتُ: بلى قَالَ: فَإِذَا تكلم كَانَ لَهُ ولغيره يتكلم أفضل.[٢]

---

(١) «مسائل عبد الله »(١٥٩١).

(٢) «طبقات الحنابلة»(٢/ ٢١٦).



التوسل

التوسل إلى الله عز وجل

التوسل إلى الله: أي التقرب إلى الله باتخاذ الوسائل المرضية له، وهذا التوسل قد أمر الله به وحضَّ عليه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] .

وقال عن أهل الشرك الذين كانوا يعبدون الجنَّ فأسلم هؤلاء الذين عبدوا من دون الله وصاروا يتقرَّبون إلى الله ولا يزال الكفار يعبدونهم قال سبحانه:
﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

فمن أنواع التوسل إلى الله سبحانه وتعالى : التوسل بأسمائه وصفاته ، أي : بالدعاء بها

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**مَا أَصَابَ أَحَدٌ قَطُّ هَمٌّ ولا حُزْنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ بْنُ عَبْدِكَ بْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلاَءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ**

هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا... الحديث» (١).

وتفصيل ذلك أن : في الحديث الذي رواه أهل السنن أن النبي ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، أَنْتَ اللهَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : «**لَقَدْ دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إِذَا دُعِيَ به أَجَابَ، وإِذَا سُئِلَ بِهِ أعْطَى**» (٢).

وكذلك قد قال ﷺ : «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**» (٣).

فيجوز أن تدعوا بأسمائه الحسنى وبالأسماء التي وردت مُقَيَّدة كسريع الحساب، وشديد العقاب ، وقابل التوب، وغافر الذنب، وهازم الأحزاب ومجري السحاب، ونحو ذلك ، لكن يدعى بالاسم مقيدًا لا مطلقًا كما دعى به النبي ﷺ مقيدًا .

(١) حديث يتقوي : أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) وقد اختلف في تحديد أحد رجال الإسناد كما أشرت له قبل في «قسم الأسماء» ، ورجَّح الألباني في الصحيحة أنه موسىٰ الجهني الثقة .

وهو الأقرب لدينا خلافًا لما رجحه محقق مسند أحمد كما أشرنا لذلك قبل في مبحث الأسماء ، والله أعلم ، ثمَّ وقفت علىٰ تصحيح ابن القيم للحديث في «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩١٣) وفي «الجواب الكافي» ص(١٤٧) و «الأمثال في القرآن» ص(٢٣) ، و«جلاء الأفهام» ص(١٥٢) ، و«شفاء العليل» ص(٢٧٤) .

(٢) وهو حديث ثابت كما في ذكر الأسماء .

(٣) وهو حديث ثابت أيضًا كما بينت من قبل .

والحاصل :

أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون هو التوسل باسم من أسماءه ﷻ أو صفة من صفاته كما دلت عليه الآية، والتوسل بعمل صالح قام به الداعي كما في قصة أصحاب الغار في الصحيحين [(١)].

والتوسل بدعاء رجل صالح كما حصل من طلب عمر رضي الله عنه الدعاء من أويس لما قال له : «استغفر لي يا أويس ، فقال : بل استغفر لي أنت يا أمير المؤمنين» وهذا في صحيح مسلم[(٢)].

والتوسل إلى الله عز وجل بصالح حي كما توسل عمر رضي الله عنه بدعاء العباس رضي الله عنه [(٣)] عم رسول الله ﷺ [(٤)].

والتوسل إلى الله بالإيمان والأسماء الحسنى والعمل الصالح

فالأول كما في قوله ﷻ عن أهل الإيمان : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي**

---

(١) وذلك في صحيح البخاري (٢٢٧٢) ، ومسلم .

(٢) برقم (٢٥٤٢) .

(٣) ففي صحيح البخاري (١٠١٠) «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيُسْقَوْنَ» ولو كان التوسل يصح بالميت لما كان هناك أولى من أن يتوسل الصحابة بنبيهم × .

(٤) راجع «التوسل» للشيخ الألباني ص(٤٢) وهو كلام دقيق كما ترى منبعثًا من الأدلة ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وراجع أيضًا «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية .

لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

وقال أتباع عيسى ﷺ : **﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾** [آل عمران : ١٦] . وقالوا كذلك: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ آل عمران.

وقال في موطن آخر عن المؤمنين: **﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾** [المؤمنون : ١٠٩] هذا من التوسل بالإيمان .

ومن التوسل بالأسماء والصفات :

حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ :سَمِعَ اَلنَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، اَلأَحَدُ اَلصَّمَدُ، اَلَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ :«**لَقَدْ سَأَلَ اَللَّهُ بِاسْمِهِ اَلَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**» (١).

ومن التوسل بالعمل الصالح :

ما حصل من أصحاب الغار ، فقد دعوا ربهم بصالح أعمالهم ، فدعا **أحدهم** ببر الوالدين، **والثاني** بالإقلاع عن ذنب تمكن منه - وهي ابنة عمه التي كان يحبها ويتمنى وصالها -، **والثالث** بتنميته لحق الأجير وحفظه له.

---

(١) وهو حديث ثابت كما تقدم .

سألوا ربهم أن تنفرج الصخرة فانفرجت الصخرة عنهم وذهبوا يمشون [١].

وفي رواية :

أنه قال بعضهم لبعض : «**انظروا أعمالاً عملتموها فادعوا الله ﷻ بها لعل الله أن يفرجها عنكم**» [٢].

ومن التوسل لله سبحانه وتعالى : التوسل بدعاء الصالحين من الأحياء

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٤] .

وتقدَّم قول أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ :اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ [٣].

وهذا يدل على حرمة الإتيان إلى القبر النبوي والدعاء عنده، وأن ذلك لا فائدة منه؛ لمخالفة الصحابة لذلك، ولو كان مشروعًا لفعلوه مع قبره الشريف؛ ﷺ الذي هو أشرف القبور فكيف بقبر غيره؟»[٤].

ولا يقال هنا : إن عمر رضي الله عنه **توسل إلى الله** ﷻ **بالعباس ، وإنما توسل بدعاء**

---

(١) وحديثهم في الصحيحين كما تقدم .

(٢) كما في رواية البخاري (٢٣٣٣) ، ومسلم (٢٧٤٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ، وقد تقدم .

(٤) وسيأتي فصل في ذكر أدلة على جواز التوسل بدعاء الصالحين قريبًا .

العباس ومنزلته عند النبي ﷺ ، فالمقصود بالتوسل بالنبي ﷺ وبالعباس هنا أي بدعائهما وهم أحياء.

دل على هذا أن هذا ورد مقيدًا في حديث آخر ، ففي حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه : أَنَّ أَعْمَى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ لِيَ عَنْ بَصَرِي ، قَالَ : «**أَوْ أَدَعُكَ**» ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ شَقَّ عَلَيَّ ذَهَابُ بَصَرِي ، قَالَ : «**فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ ، بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ**» ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ ، أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي ، شَفِّعْهُ فِيَّ ، وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي ، فَرَجَعَ وَقَدْ كُشِفَ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ [١].

وفي رواية :

أن الأعمى لما أتى رسول الله ﷺ يسأله الدعاء قال ﷺ : «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قَالَ : فَادْعُهْ ... الحديث**» [٢].

فهذا الحديث فيه التوسل إلى الله ﷻ بدعاء الصالحين كما جزم بذلك شيخ

(١) وهذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٤ ، ١٠٩٤٥) من طريقين مفترقين عن أبي جعفر عمير بن يزيد عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف به وهذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات ولا يضره أن يرويه النسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٦) من طريق هشام الدستوائي وروح بن القاسم عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف به ، لاحتمال أن يكون عمير بن يزيد قد رواه على الوجهين وسمعه من كل منهما .

(٢) أخرج هذا اللفظ الترمذي (٣٥٧٨) .

الإسلام في «التوسل» ص(٢٥٨) ، وابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاويـة» وغيرهما وهو واضح في سياقه .

قال ابن أبي العز الحنفي في قول عمر ﷺ : «وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَـا» مَعْنَاهُ بِدُعَائِهِ هُوَ رَبَّهُ وَشَفَاعَتِهِ وَسُؤَالِهِ [1]، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّا نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِـهِ ، أَوْ نَسْأَلُكَ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ ، إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ مُرَادًا لَكَانَ جَاهُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ وَأَعْظَـمَ مِنْ جَاهِ الْعَبَّاسِ [2] .

ثم إن سكوت الصحابة عن التوسل إلى الله بجاه رسول الله ﷺ ليـدل علـى أن ذلك ممنوعًا إذ لو كان مشروعًا ما ساغ لهم تركه .

وأما ما حكاه ابن مفلح في «الفـروع» (٢٢٩/٣) مـن قولـه : وَيَجُـوزُ التَّوَسُّـلُ

---

(١) وقد فُسِّر الحديث المذكور بالحديث الآخر ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ : خَرَجَ عَلَيَّ خُرَاجٌ فِي عُنُقِي ، فَتَخَوَّفْتُ مِنْهُ ، فَأَخْبَرْتُ بِهِ عَائِشَةَ ﷺ ، فَقَالَتْ : سَلِي النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَتْ : فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ : «ضَعِي يَدَكِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُولِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ : بِسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنِّي شَرَّ مَا أَجِدُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ بِسْمِ اللهِ» ، قَالَتْ : فَقَلْتَه فَانْخَمَصَ .

أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٥١) ، والخرائطي في «المكارم» (١٠١٩) ، والبيهقي في «الدلائل» (٢٤٣٨ ، ١٤٣٣) وغيرهما بإسنادٍ غير سالم ، وله شاهد عند البيهقي في «الدلائل» (٢٤٤١) عن يزيد بن نوح بن ذكوان أن النبي ﷺ لما بعث عبد الله بن رواحة ... وفيه ، فوضع النبي ﷺ يده على الخد الذي فيه الوجع وقال : « **اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنِّي شَرَّ مَا أَجِدُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ**» سبع مرات ، ولكن إسناده لا يفرح به .

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ص(٢١١) .

بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ: يُسْتَحَبُّ .

قَالَ أَحْمَدُ فِي «مَنْسَكِهِ» الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : إِنَّهُ يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي «الْمُسْتَوْعِبِ» وَغَيْرِهِ .

وَجَعَلَهَا شَيْخُنَا كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ .

قَالَ : التَّوَسُّلُ بِالإِيمَانِ بِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، وَالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ ... .

ثم قال : وَقَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ : فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[1] الاسْتِعَاذَةُ لا تَكُونُ بِمَخْلُوق .

كذلك ما نَقَلَ ابنُ مفلح عن إِبْرَاهِيم الْحَرْبِيّ : الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ الكرخي التِّرْيَاقُ[2] الْمُجَرَّبُ .

قَالَ عن شَيْخ الإسلام : «قَصْدُهُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ رَجَاءَ الإِجَابَةِ بِدْعَةٌ لا قُرْبَةٌ بِاتِّفَاقِ الأَئِمَّةِ».

وَقَالَ أَيْضًا : يحرم بلا نزاع بين الأئمة .

وقال شيخ الإسلام : نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ وَنَهَى عَنْهُ آخَرُونَ .

---

(١) وقد أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية .

(٢) أي معروف الكرخي الذي كان مجاب الدعاء .

فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ الْمُتَوَسِّلِينَ التَّوَسُّلَ بِالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَحَبَّتِهِ وَبِمُوَالاتِهِ وَبِطَاعَتِهِ فَلا نِزَاعَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُهُمْ التَّوَسُّلَ بِذَاتِهِ فَهُوَ مَحَلُّ النِّزَاعِ ، وَمَا تَنَازَعُوا فِيهِ يُرَدُّ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ(١) ، وَلَيْسَ مُجَرَّدُ كَوْنِ الدُّعَاءِ حَصَلَ بِهِ الْمَقْصُودُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَائِغٌ .

ثم ذكر أنه قد تحصل الإجابة مع دعاء محرم كدعاء كوكب أو في كنيسة أو عند تماثيل وبالأدعية المحرمة بلا نزاع .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعليقه على حديث الأعمى السالف :

وَهَذَا الْحَدِيثُ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَدُعَائِهِ الْمُسْتَجَابِ وَمَا أَظْهَرَ اللَّهُ بِبَرَكَةِ دُعَائِهِ مِنْ الْخَوَارِقِ وَالإِبْرَاءِ مِنْ الْعَاهَاتِ فَإِنَّهُ ﷺ بِبَرَكَةِ دُعَائِهِ لِهَذَا الأَعْمَى أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ (٢) .

ولو كان السؤال هنا بجاه العباس يجوز لكان السؤال بجاه النبي ﷺ أولى – عند الصحابة – من الاستشفاع بالحي ، وإن كان العباس رضي الله عنه(٣) ، إذ إن جاه النبي ﷺ – وإن كان ميتًا – أعظم من جاه العباس رضي الله عنه ، ولو كان الصحابة يفعلون هذا في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد مماته ، إذ إن جاهه باقٍ بعد موته

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢٦٤) وبنحوه في «قاعدة في التوسل والوسيلة» ص(١٩٩).

(٢) وهو الصواب ، وعليه فإن الأليق أن يقال : التوسل بذاته محرم لا يجوز مع الاعتراف بمقامه العاليﷺ.

(٣) ولا يفهم من هذا إنكار مكانة النبي ﷺ ، إذ مكانته × عظيمة لا يشك فيها مسلم ، فهو إمام الأنبياء وصاحب المقام المحمود ﷺ ، فجاهه ومقامه عند الله عظيم ، فإذا كان موسىٰ ﷺ «عند الله وجيهًا» فكيف بمحمد ﷺ الذي هو إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟»

فتنبه»»

أما من حمل قول عمر ﷺ على جواز التقرب إلى الله ﷻ بالصالحين وجعلهم وسائط بين الله ﷻ وبين خلقه

فكيف يجيب – القائل بهذا – على إنكار الله ﷻ على الكفار مثل ذلك في كتابه وقال : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ [الزمر : ٣] .

وقد قطع الله ﷻ الوسائط بقوله : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾ ، فلم يقل سبحانه : قل إني قريب ، وإنما قال : ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، ليقطع الوسائط في الدعاء بين العباد وبين ربهم ﷻ (١) .

---

(١) وقد حمل شيخ الإسلام سؤال عمر للعباس ﷺ على ما رجحناه فقال في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٢٣) : «وَدُعَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فِي الاسْتِسْقَاءِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَقَوْلُهُ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّنَا» : يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَسُّلَ الْمَشْرُوعَ عِنْدَهُمْ هُوَ التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ لا السُّؤَالُ بِذَاتِهِ ؛ إذْ لَوْ كَانَ هَذَا مَشْرُوعًا لَمْ يَعْدِلْ عُمَرُ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ عَنْ السُّؤَالِ بِالرَّسُولِ إلَى السُّؤَالِ بِالْعَبَّاسِ» وتقدَّمت الإشارة إليه.

قلت «محمد» : وما كان يمكن أن يعدلوا عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول ما دام ممكنًا.

وأما ما قاله الحافظ في «الفتح» (٢/ ٦٠٣) :

=

=

روى ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر، قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام فقيل له : ائت عمر .

وقد روى سيف في «الفتوح» : «أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة» أ .هـ .

فعليه تعقبات من ناحية صحة السند ومن ناحية المتن لو ثبت :

أولاً : من ناحية السند فالخبر منكر لا يصح سنده .

فهذا الأثر قد أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٩ - ٣٦٠) ط دار الكتب عن أبي معاوية ، والخليلي في «الإرشاد» ص(٩٨) عن الأعمش عن أبي صالح السمان عن مالك الدار – وكان خازن عمر على الطعام – قال : أصاب ...فذكره وتمامه :

«فَأَقْرِئْهُ السَّلامَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ وَقُلْ لَهُ : عَلَيْك الْكَيْسُ ، عَلَيْك الْكَيْسُ ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لاَ آلُو إلاَّ مَا عَجَزْت عَنْهُ»

وفي إسناده الأعمش ، وهو مدلس ، ومالك الدار لا يعرف بجرح ولا تعديل .

ثم إن سلم قولُ الحافظ في «الفتح» : إسناده صحيح من رواية أبي صالح فلا إشكال فيه ولا يقتضي ذلك أن يكون صحيحاً إلى عمر رضي الله عنه : وإنما هو صحيح إلى أبي صالح فقط ، ثم ينظر في صحته من أبي صالح إلى عمر ، ثم عن الرجل الذي قال : إنه رأى الرؤيا ، فهو رجل مجهول لا يعرف من هو ، وأما قول سيف في «الفتوح» : إنه بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة ؛ فلا يقبل قول الناقل كما لا يقبل فيه القول المنقول ، فإن سيفًا هذا متروك متهم غير مقبول النقل ؛ فكيف يقبل منه هذا ؟»

ثم لو ساغ هذا ؛ لماذا عدل عمر وغيره عن هذه الطريقة واستسقوا بالعباس وقبره ﷺ موجود معلوم مكانه؟»

=

=

وأما قول الخليلي في «الارشاد» ص(٩٧) عن مالك الدار هذا : «تابعي قديم متفق عليه أثنى عليه التابعون وليس بكثير الرواية» فهذا مما لا تطمئن النفس إليه ؛ لأننا لم نقف على ثناء من أحد منهم عليه ، ويغلب على ظني أن الخليلي أحسن به الظن لكونه خازن عمر بن الخطاب ، وهذا وحده غير كاف ؛ لأن السند غير سالم إلى مالك بأنه خازن عمر ، وقد قال الهيثمي في «المجمع» : «لا أعرفه» .

ثم أشار الخليلي لإعلال الأثر بعدما أخرجه فقال : «يقال أن أبا صالح سمع من مالك الدار هذا الحديث ، والباقون أرسلوه عنه» أ.هـ

فتلك علة أخرى تضعف الحديث ، ففيه الإشارة إلى أن الأكثر رووه مرسلاً .

وملخص ما أُعل به هذا الأثر :

الأولى : أن راوي الرؤيا مجهول ولا يعرف حاله ، وما ذكر من أنه صحابي غير صحيح .

الثانية : ترك عمر والصحابة هذه الطريقة والعدول إلى الاستسقاء بدعوى الأحياء ، ولو سلمت هذه الطريقة – التي علم بها – ما عدلوا عنها وفيهم عمر الذي بُشِّر بالرؤيا .

الثالثة : جهالة مالك الدار ، فقد قال الهيثمي : «لم أعرفه» كذا في «المجمع» (٣/ ٣٠٩) ، وكذلك قال الحافظ المنذري في «الترغيب» ، وذكر ابن حجر له في «الإصابة» ليس بكاف وحده في إثبات صحبته عند المحررين فتنبه .

الرابعة : الإعلال الذي أشار إليه الخليلي من أن الأكثر رووا الخبر مرسلاً .

الخامسة : لا يعلم هل سمع أبو صالح السمان من مالك الدار أم لا ، وإن قيل : إن أبا صالح يروي عن الصحابة كأبي هريرة وغيره لكن لا يعلم وفاة مالك الدار أصلاً ؛ فربما يكون توفي قبل أبي هريرة ، ثم إن أبا صالح كان يرسل عن بعض الصحابة .

سادسًا : مخالفة الأثرللمشروع في حالة القحط الذي سنه النبي × وأصحابه ، وهو صلاة الاستسقاء ، ومخالفته لمقتضى قوله : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نوح :١٠ : ١١] .

فلذلك في متن القصة نكارة ، والحكم بوضعها ليس ببعيد ، والله أعلم .

=

فصل في مزيد أدلة جواز التوسل بدعاء الصالحين

والتوسل إلى الله بدعاء الصالحين – قد حصل من بعض الصحابة في زمن النبي ﷺ .

ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ

=

وقد علق الشيخ ابن باز رحمه الله على تصحيح الحافظ للأثر فقال في تعليقه :

هذا الأثر – على فرض صحته كما قال الشارح – ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته ؛ لأن السائل مجهول ، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم الناس بالشرع ، ولم يأت أحدٌ منهم إلى قبره يسأله السقيا ، ولا غيرها » بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس ولم يُنكر ذلك عليه أحدٌ من الصحابة ، فعُلم أن ذلك هو الحق ، وأن ما فعله هذا الرجل منكرٌ ووسيلة إلى الشرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك ، وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكور «بلال بن الحارث» : ففي صحة ذلك نظر . ولم يذكر الشارح سند سيف في ذلك ، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه ؛ لأن عمل كبار الصحابة يخالفه ، وهم أعلم بالرسول وشريعته من غيرهم ، والله أعلم .

وأنبه أيضًا إلى ضعف إسناد ما أخرجه أبو الشيخ في «الدلائل» ص(١٨٤) من رواية قيس الملائي عن أنس قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ والله لقد أتيناك وما منا بعير يئط ولا صبي يصطبح وأنشده :

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله × يجّر رداءه حتى صعد المنبر ، فقال : «اللهم اسقنا ...الحديث» ثم قال ﷺ «لو كان أبو طالب حيًا لقرَّت عيناه ، من ينشدنا قوله» ، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله «وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ...الأبيات .

وقد ضعفه الحافظ نفسه في «الفتح» (٢/ ٦٠٢) ، وفي معناه نكارة وسماجة .

مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ ، قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ ، فَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا ، قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» ، قَالَ : فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ فَقَالَ مَا أَدْرِي [1].

وفي الباب : أن السماء قحطت ، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطى الناس فأمره معاوية فصعد المنبر ، فقعد عند رجليه

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٩٣٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا [(١)] ، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي ، يا يزيد ارفع يديك إلى الله ﷻ ، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم ، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهب لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم [(٢)] [(٣)].

---

(١) يعني معاوية ﷺ : فيما يحسب ؛ لأنه لا يتخيل أن معاوية ﷺ يزكي على الله أحدًا .

(٢) أخرجه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٥٧) ، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١) عن أبي اليمان الحكم بن نافع ، قال ثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الخبائري : أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق ... الأثر .

وقد عزاه الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٠١) لأبي زرعة في «تاريخه» بسند صحيح ، كذا قال الحافظ ، وعزاه أيضًا للالكائي في «كرامات الأولياء» ، وصحح إسناده أيضًا في «الإصابة» (٦/ ٣٩٧) وهو ثابت، وفيه الاستسقاء بدعاء الحي لا الميت.

(٣) **قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»** (٢٢٥/١) : وَالَّذِي فَعَلَهُ عُمَرُ فَعَلَ مِثْلَهُ مُعَاوِيَةُ بِحَضْرَةِ مَنْ مَعَهُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَتَوَسَّلُوا بيزيد بْنِ الأَسْوَدِ الجرشي كَمَا تَوَسَّلَ عُمَرُ بِالْعَبَّاسِ ؛ وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ يُتَوَسَّلُ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِدُعَاءِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلاحِ ، قَالُوا : وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَقَارِبِ رَسُولِ الله ﷺ فَهُوَ أَفْضَلُ اقْتِدَاءً بِعُمَرِ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إنَّهُ يُسْأَلُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ لا بِنَبِيٍّ وَلا بِغَيْرِ نَبِيٍّ ، وَكَذَلِكَ مَنْ نَقَلَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ جَوَّزَ سُؤَالَ الرَّسُولِ أَوْ غَيْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَوْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ إمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ - غَيْرِ مَالِكٍ - كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ بَعْضُ الْجُهَّالِ يَنْقُلُ هَذَا عَنْ مَالِكٍ وَيَسْتَنِدُ إلَى حِكَايَةٍ مَكْذُوبَةٍ عَنْ مَالِكٍ وَلَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمْ يَكُنْ التَّوَسُّلُ الَّذِي فِيهَا هُوَ هَذَا بَلْ هُوَ التَّوَسُّلُ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يُحَرِّفُ نَقْلَهَا وَأَصْلُهَا ضَعِيفٌ أ.هـ

=

فالتقرب إلى الله هنا إنما هو تقرب إلى الله بدعاء هذا الرجل الصالح

كما يدل عليه ما أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٣٧٢) عن سعد بن أبي وقاص : «أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّمَا نَصَرَ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ**» . ولكن بلفظ : «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ**» .

وقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد»[1] قال :

وجدت في كتاب أبي بخط يده حُدِّثت عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قال : قحط الناس على عهد معاوية رحمه الله فخرج يستسقى بهم ، فلما نظروا إلى المصلى قال معاوية لأبي مسلم : ترى ما داخل الناس؟ فادع الله ، قال : فقال : أفعل على تقصيري ، فقام وعليه برنس فكشف البرنس عن رأسه ، ثم رفع يديه فقال : اللهم إنا بك نستمطر، وقد جئتُ بذنوب إليك فلا

=

وقال في موطن آخر منه (١/ ٣١٤) : وَالتَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ الَّذِي ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَدْ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي سَائِرِ أَحَادِيثِ الاسْتِسْقَاءِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الاسْتِشْفَاعِ بِهِ وَهُوَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ وَالشَّفَاعَةَ وَيَطْلُبَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ دُعَاءَهُ وَشَفَاعَتَهُ وَنَحْنُ نُقَدِّمُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا شَافِعًا وَسَائِلا لَنَا بِأَبِي وَأُمِّي ﷺ، وَكَذَلِكَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ – لَمَّا أَجْدَبَ النَّاسُ بِالشَّامِ – اسْتَسْقَى بيزيد بْنِ الأَسْوَدِ الجرشي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَشْفِعُ – وَنَتَوَسَّلُ – بِخِيَارِنَا . يَا يَزِيدُ ارْفَعْ يَدَيْك » فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا النَّاسَ حَتَّى سُقُوا ، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : يُسْتَحَبُّ أَنْ يُسْتَسْقَى بِأَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلاحِ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ أَحْسَنُ» أ . هـ . وانظر (٢٧/ ١٢٨) .

(١) ص(٣٩٢) .

تخيبني، قال : فما انصرفوا حتى سقوا، قال : فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعة ، فان كان عندك لي خير فاقبضني اليك،قال : وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الخميس المقبل.

لكن إسنادُ هذا غير سالم إما معلق وإما منقطع .

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَغَيْرِهِ أَنَّ رَجُلا قَالَ لَهُ : إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِك عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْك ، فَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : «**وَيْحَك أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إنَّ اللَّهَ لا يُسْتَشْفَعُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ**» [١].

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣١٥ ، ٣١٦) :

وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ مَعْنَى الاسْتِشْفَاعِ بِالشَّخْصِ فِي كَلامِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ هُوَ اسْتِشْفَاعٌ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ لَيْسَ هُوَ السُّؤَالُ بِذَاتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا السُّؤَالُ بِذَاتِهِ لَكَانَ سُؤَالُ الْخَلْقِ بِاَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْلَى مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ هُوَ الأَوَّلُ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ :« نَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْك» وَلَمْ يُنْكِرْ قَوْلَهُ نَسْتَشْفِعُ بِك عَلَى اللَّهِ ؛ لأَنَّ الشَّفِيعَ يَسْأَلُ الْمَشْفُوعَ إلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَةَ الطَّالِبِ ؛ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَسْأَلُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَقْضِيَ حَوَائِجَ خَلْقِهِ [٢].

وسبحان الله

---

(١) ألا أن هذا الحديث أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) ، والطبراني (٢/ ١٢٨) بإسنادٍ لا يصح .

(٢) وإذا كان الحديث السالف لا يصح ؛ لكن كلام شيخ الإسلام مستقيمٌ .

عجبت لمن بُلى بالغم كيف زهل عن قول الله تعالى عن يونس ﷺ : لما أصيب بالغم فقال : ﴿ **لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ؟».

قال ﷻ : ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٨].

عجبت لمن بُلى بالضر كيف زهل عن قول أيوب عليه السلام إذ أصابه ذلك : ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأنبياء : ٨٣] ؟».

قال ﷻ : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٤] .

عجبت لمن خاف شيئًا كيف زهل عن قول إبراهيم حينما ألقى في النار وقول أصحاب محمد ﷺ لما جمع الناس لهم : ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ؟».

قال ﷻ : ﴿ **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

وقال ﷻ للنار التي جمعت لإبراهيم والتي كانت تحرق الطير في السماء : ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ**﴾ [الأنبياء : ٦٩ ، ٧٠] .

وعجبت لمن كيد له أمر لا طاقة له به كيف زهل عن قول مؤمن آل فرعون لما كاد له فرعونُ وقومُه واضطهدوه وعاندو حجته ولم يستجيبوا له ودعوه إلى

النار مع كونه يدعوهم إلى الجنة قال: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٤] ؟».

قال ﷻ : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٥ ، ٤٦] .

قال تعالى لرسوله ﷺ بعد ذكر الأنبياء وبعض أحوالهم وأخبارهم :
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وقال لنا ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١].

وقال ﷻ عن قوم إبراهيم الذين آمنوا معه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الممتحنة : ٦] .

وقال ﷻ : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ...﴾ [الممتحنة : ٤] .



الشفاعة

الشفاعة

الشفاعة ثابتة بعد إذن الله ﷻ

قال ﷻ : ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس : ٣] .

وقال ﷻ : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقال ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾ [طه : ١٠٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

وقال ﷻ :﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] .

وهذه الآيات التي أثبتت الشفاعة أثبتتها بقيود منها : أنه لابد من إذن الله ﷻ للشافع ، كما قال ﷻ : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾

ولابد أن يأذن الله ﷻ للمشفوع له

قال ﷻ : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨].

وقال ﷻ : ﴿ إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] .

وتقدم من الآيات ما يشهد لهذا .

وعلى ذلك تستقيم الآيات التي ظاهرها التعارض ، فثم شفاعات منفية ، وهي شفاعة الأصنام ، والشمس ، والقمر ، وسائر المعبودات ، فلا تشفع لعابديها .

قال ﷻ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣][1] .

ولنبينا شفاعة ثابتة في القيامة

---

(١) والآيات التي فيها نفي الشفاعة كقوله ﷻ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨] .

وقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١] . ونحو ذلك .

معناها : نفي الشفاعة المطلقة بغير إذن الله ﷻ ، أو الشفاعة بغير حق ، أو شفاعة المعبودات الباطلة ، أو نحو ذلك .

قال ﷻ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

قال أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن المقام المحمود في قوله : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] : «هِيَ الشَّفَاعَةُ»(١) .

وهو قول حذيفة (٢) وابن عمر فيما صح عنهما (٣) .

وبنحوه ثابت عن جابر بن عبد الله .

ففي صحيح مسلم عن يَزيد الْفَقِير قَالَ : كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْىٌ مِنْ رَأْىِ الْخَوَارِجِ فَخَرَجْنَا فِى عِصَابَةٍ ذَوِى عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ قَالَ : فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ النَاسَ - أو الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا صَاحِبَ رَسُول اللَّهِ ﷺ مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ : ﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ، وَيَقُول ﷻ : ﴿ كُلَّمَا

(١) وهو أثر حسن لشواهده ، أخرجه الترمذي (٣١٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وشواهده عن كعب بن مالك وابن مسعود وغيرهما راجع تخريجه في «الفوائد النيرة» (٥٥٥) .

(٢) أخرجه النسائي في «تفسيره» (٣١٤) وقد رجح أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٧) الموقوف - حيث قد رُوي مرفوعًا - وصححه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٥١) موقوفًا ، وهو ثابت أيضًا عن ابن عمر ، انظر كتابي «الفوائد النيرة» (٥٥٤) .

(٣) راجع «الفوائد النيرة» .

أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] ، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْنِى الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ ﷻ فِيهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ [(١)].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : «**وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأُخْرِجُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ، قَالَ : ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾** [الإسراء : ٧٩] ، **قَالَ : وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ**» [(٢)].

وفي حديث الشفاعة الطويل يقول الله سبحانه وتعالى : «**يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» ، ويسأله الناس في أرض المحشر ، والأدلة في هذا كثيرة في الصحاح والسنن .

وقد قال العلماء شفاعات نبينا ﷺ :

الأولى : الشفاعة العامة .

الثانية : إدخال قوم الجنة بغير حساب .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٦٥) ، ومسلم (١٩٢) .

الثالثة : في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم ﷺ .

الرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا و غيره من الأنبياء و الملائكة و إخوانهم من المؤمنين .

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها (١).

السادسة : شفاعة لعمه أبي طالب في جعله في ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ ، وَلَوْلاَ رَسُولَ الله ﷺ لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ (٢).

وقال ﷺ : «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» (٣).

والأدلة ثابتة وكثيرة على إثبات شفاعة النبي ﷺ والأنبياء والمرسلين ، والصالحون كذلك يشفعون ، وقد دلَّت الأدلة على هذا ، وذكرها يحتاج إلى مصنف مستقل وفيها مصنفات .

بل قال ﷺ : «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ ؟ قَالَ : «**سِوَايَ**» (٤).

وفي رواية: «**يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ**

---

(١) حكاه القرطبي في «التذكرة» عن القاضي عياض في «الشفا» .

(٢) وهذا في صحيح البخاري (٦٥٦٤) ، ومسلم (٢١٠) .

(٣) وهذا ثابت ، صحيح أخرجه أبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) ، وأحمد ، والحاكم (١/ ٦٩) وغيرهم كثير .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٩- ٤٧٠ ، ٥/ ٣٦٦) ، والترمذي (٢٤٣٨) ، وابن ماجة (٤٣١٦) من حديث عبد الله بن أبي الجدعاء .

وَمُضَرَ» ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟فَقَالَ : «**إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ**» [1].

وقال ﷺ : «**إن الرجل ليشفعُ للرجلَيْنِ والثلاثةِ**» [2].

وشفاعة المؤمنين لإخوانهم ثابتة في الصحاح [3].

والشهداء يشفعون فيشفع الشهيد لسبعين من أهل بيته [4].

ولا ينكر هذه الشفاعات إلا من حجب عن شم رائحة العلم [5]، وثم نخبة أحاديث كثيرة ثابتة خرجتها في «التذكرة للقرطبي» ص(٣٧٢) وما بعدها .

وثم أنواع أخرى من الشفاعات أشار إليها العلماء [6]

شفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين ، قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها .

وشفاعة أخرى

(١) قوي لشواهده أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥) ، والآجري في «الشريعة» ص(٣٥١) .

(٢) صحيح على شرط مسلم أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٤٧٣) .

(٣) انظر صحيح البخاري (٢٤٤٠ ، ٤٩١٩ ، ٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣ ، ٣٠٢) ، والنسائي (٥٠٢٥) ، وابن ماجة (٦٠) ، وابن حبان (٧٣٧٧) .

(٤) كما في حديث : «لِلشَّهِيدِ سِتُّ خِصَالٍ ... » وذكر شفاعته وقد أخرجه بعض أصحاب السنن وله إسناد حسن ، وفي أسانيده خلاف كثير بينته في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٥) انظر «التذكرة للقرطبي» ص(٣٧٢) وما بعدها بتحقيقي .

(٦) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص(٢٠٤) وغيره .

في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

وشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب

ويَحسُن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ بجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب [(١)].

وشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كما تقدم في شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب

تنبيه:

وجه الجمع بين شفاعة النبي ﷺ لعمه حيث خفف عنه ، وقوله سبحانه وتعالى في الكفار الذين دخلوا النار : ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [المدثر : ٤٨] ، أن شفاعته ﷺ هنا لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة كما أشار القرطبي في «التذكرة» .

وثم شفاعة ليؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة

وهي المعنية بقوله ﷺ : «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ**» [(٢)].

وثم شفاعة لأهل الكبائر كما تقدم

لحديث رسول الله ﷺ : «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» .

والمؤمنون لهم شفاعة كما في الأحاديث التي منها:

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٥٨١١) ، ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٩٦) .

حديث أبي سعيد الخدري قال : قال : رسول الله ﷺ : «**فَيَقُولُ اللَّـهُ ﷻ شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**» [١].

وفي نفس الحديث قولُه ﷺ : «**فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ... الحديث**» .

وأسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه

لحديث أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**» [٢].

واعلم أن المسلمين اتفقوا على أن النبي ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله ﷻ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٩٩) في كتاب العلم .

لا جاه لمخلوق عند الله ﷻ أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته[١] .

ومع ذلك لم يُشَفَّع لأحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله ﷻ للمشفوع وللشافع ويرضى ، فلم ينفع ﷺ أُمَّه في ذلك ، ولم يأذن له ربه حتى في أن يستغفر لها ، وكذلك والده فهو في النار مع أُمِّه بنص حديثه[٢]، وكذلك إبراهيم ﷺ لم يشفع لوالده آزر، ولله الأمر من قبل ومن بعد، فسأل الله ألا تحرمنا من شفاعة سيد المرسلينﷺ ثم في الفردوس الأعلى يا كريم .

(١) حكاه شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة» ص (٦) . وهو مصنف ماتع في بابه رحم الله صاحبه .

(٢) فحديث : «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» في صحيح مسلم (٣٤٧) .

ونص ﷺعلى أن والده في النار ، فقال ردًا لمن سأله عن والده : «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ».

أخرجه ابن ماجة (١٥٧٣) بإسناد صحيح عن ابن عمر إلا أنه اختلف فيه على الزهري ؛ فرواه إبراهيم بن سعد عنه عن سالم عن ابن عمر ، ورواه معمر عند عبد الرزاق (١٩٦٨٧) عن الزهري مرسلاً ، ورواه البزار (١٠٨٩) ، والطبراني (١/ ١٤٥) (٣٢٦) عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه مرفوعًا . لكن صح أنه ﷺ قال «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» .

وقد أخرج الجوزقاني في «الصحاح والأباطيل» بإسنادٍ حسن أنه قال : «أُمِّي مَعَ أُمِّكُمَا» أي في النار ، وخرجته في «الفوائد النيرة» ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك بالأدلة .



الإيمان بالغيب

تمهيد حاصله أن العبد :

لا يكـون مؤمنًـا متقيًـا مفلحًـا لربـه يهديـه القـرآن والسـنة إلى صـراط الله المستقيم إلا إذا آمن بالغيب .

قال الله ﷻ : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِـمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة : ٢ – ٥] .

وها أنا أسوق جملة من الأمور الغيبية التي يجب على المسلم اعتقادها ما دام صح الدليل بالإخبار عنها، سواء كانت في الحياة الدنيا في أواخر الزمان أو في الحياة البرزخية، أو في الحياة الآخرة.

أسوقها بعد قليل كمثال لغيرها، وليس الغرض الاستقصاء .

مَسَّكنا الله ﷻ بالعروة الوثقى حتى نلقاه وهو راض عنا أنه على كل شيء قدير.

واعلم أن الله قد انفرد بعلم الغيب

ومما يدل على انفراده ﷻ بعلم الغيب :قول الله ﷻ : ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل : ٦٥] .

قوله ﷻ : ﴿ **فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَـدًا . إِلا مَـنِ ارْتَضَـى مِـنْ رَسُـولٍ** ﴾ [الجن:٢٦ ، ٢٧] .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَـالَ : «**لَمَّـا خَلَـقَ اللَّـهُ الْخَلْـقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[١].

فقوله ﷺ : «**فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**» .

فيه إشارة إلى الاستئثار بإحاطة العلم بهذا الكتاب الـذي لم يطَّلـع علـى مـا فيه لا نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب .

وكره النبي ﷺ نسبة علم الغيب أو بعضه إليه ، ورد القول به على القائل .

ففي صحيح البخاري من حديث الرُّبَيِّـعِ بِنْـتِ مُعَـوِّذٍ قَالَـتْ : دَخَـلَ عَلَـيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِـكَ مِنِّـي ، وَجُوَيْرِيَـاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ وَفِينَا نَبِـيٌّ يَعْلَـمُ مَـا فِـي غَـدٍ . فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ : «**لاَ تَقُـولِي هَكَـذَا ، وَقُـولِي مَـا كُنْـتِ تَقُولِينَ**»[٢].

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ، ومسلم (٢٧٥١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠٠١) .

أمور غيبية تتعلق بالميت

هناك أمور تحصل في الدنيا يجب اعتقادها - وإن كنا لا نشاهدها -

نفس المؤمن عند خروج روحه تخرج رشحًا ، بينما روح الكافر تخرج بشدة عليه ، وربما كان الأمر على العكس يسهل على الكافر ليجازى بحسنة كان قد عملها .

ففي حديث بُرَيْدَةَ ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**»[1] .

وصح عن ابن مسعود ﵁ أنه قال : «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ عَرَقُ الْجَبِينِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ تَبْقَى خَطَايَا مِنْ خَطَايَاهُ يُجَازَى بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ فَيَعْرَقُ مِنْ ذَلِكَ جَبِينُهُ» .

وفي رواية : إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا، وَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عَمِلَ السَّيِّئَةَ فَيُشَدَّدُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيَكُونَ بِهَا، وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ أو الْفَاجِرِ لَتَخْرُجُ مِنْ شِدْقِهِ كَمَا يَخْرُجُ نَفْسُ الْحِمَارِ، وَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عَمِلَ الْحَسَنَةَ فَيُهَوَّنُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيَجزى بِهَا[2] .

وقد يُشدد على المؤمن في سكرات الموت، فليس التشديد دليلاً على سوء

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجة (١٤٥٢) ، وانظر كتابي «جامع أحكام الميت» الجزء الأول .

(٢) انظر مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٧٠) ، وقد ورد مرفوعًا ولا يصح رفعه .

الخاتمة دائما[١]

ففي صحيح البخاري[٢] **عن عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ : «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» . ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : «فِى الرَّفِيقِ الأَعْلَى».**

وفي صحيح البخاري[٣] أيضًا عنها رضي الله عنها قَالَتْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي[٤] وَذَاقِنَتِي[٥] ، فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

ولا عجب في هذا

فإن النبي ﷺ قال : «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»[٦].

فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا كما قال النبي ﷺ[٧]

ومن يُرد الله به خيرًا يُصب منه بلاءً ، وقد يكون هذا في سكرات الموت ،

(١) كما يُفهم من حديث البراء بن عازب الصحيح المخرج في «الفوائد النيرة» (٢٦٩) .

(٢) برقم (٦٥١٠) .

(٣) برقم (٤٤٤٦) .

(٤) الحاقنة : المكان المطمئن بين الترقوة والحلق .

(٥) الذاقنة : ما تناله الذقن من الصدر .

(٦) حديث حسن : أخرجه أحمد (٨/ ٧٢) ، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٣) .

(٧) في صحيح البخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

خفف الله ﷻ عنا ، وجعلها تخرج كما تخرج القطرة من فِيِّ السقاء ، إنه غفـورٌ رحيمٌ .

وفي حضور الملائكة لقبض المؤمن غيب يُعتقد حصوله أخبر الصادق المصدوق ﷺ به ، ومآل الروح بعد الخروج من الجسد وكيفية خروجها ...

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلاَئِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرِ غَضْبَانَ فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا فَيَقُولُونَ: فُلاَنٌ. فَيُقَالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ[1] وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ. وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ. فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَلاَ يُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا فَيُقَالُ : فُلاَنٌ. فَيُقَالُ : لاَ مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لاَ**

---

(١) وهي كقوله تعالى: «أأمنتم من في السماء» أي على السماء، فإن حروف الجر تتناوب، كما في قوله تعالى:«ولأصلبنكم في جزوع النخل» أي: على جزوع النخل

تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ»[١].

وحديث البراء بن عازب الصحيح المشهور دليل على أمور غيبية[٢]

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى جِنَازَةٍ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَبْرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ فَقَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**[٣] **ثَلاثَ مِرَارٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمْ الشَّمْسَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلانٌ فَيَقُولُ أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا**

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٨)، وابن ماجة (٤٢٦٢) بإسناد صحيح ثابت كما قال القرطبي في «التذكرة» ص (٦٥).

(٢) وقد أخرجه أحمد وهو صحيح كما قلت في الفوائد النيرة» (٢٦٩).

وفي صحيح مسلم (٢٨٧٢) و (٢٦٨٥) وفي الآيات ما يشهد لهذا.

(٣) ومعنى فجلس رسول الله ﷺ على القبر، أي على شفير القبر، فوقت الدفن لم يكن قبر، ولا بناء للقبور عندهم، وقد نهى ﷺ عن الجلوس على القبور فقال: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**» أخرجه مسلم(٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي.

دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الإِسْلامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الإِسْلامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ : لَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ حَسَنُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ أَنَا : عَمَلُكَ الصَّالِحُ كُنْتَ وَاللَّهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَابٌ مِنَ النَّارِ فَيُقَالُ : هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ هَذَا فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ : رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فَيُقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الْكَثِيرُ الشِّعْبِ مِنْ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ لا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا : رَبِّ فُلانُ بْنُ فُلان عَبْدُكَ قَالَ : أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ : فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ قَالَ ؟: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أَدْرِي فَيَقُولُ : لا دَرَيْتَ وَلا تَلَوْتَ وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ

بِهَوَانٍ مِنْ اللَّهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلا الثَّقَلَيْنِ قَالَ : الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ.

ولم أقف على دليل يفيد التقاء أرواح الموتى مع بعضهم إلا ما

أخرجه عبد الله بن المبارك[١] بإسناد صحيح عن أبي أيوب الأنصاري قال : إذا قبضت نفس العبد ، تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير في الدنيا ، فيُقبلون عليه ليسألوه ، فيقول بعضهم لبعض : أنظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان في كرب ، فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة ؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك ، فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية ، قال : فيعرض عليهم أعمالهم ، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا : هذه نعمتك على عبدك فأتمها ، وإن رأوا سوءاً ، قالوا :

(١)أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٣) بإسناد صحيح موقوفًا ، وقد روي مرفوعًا ولا يصح رفعه . انظر «الفوائد النيرة» برقم (١٣٦) .

اللهم راجع بعبدك(١).

ومن الغيبيات : أن بصر الميت يتبع الروح

ففي صحيح مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِى سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ : «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ**

---

(١) وأما قول شيخ الإسلام في«مختصر الفتاوى المصرية»(١/ ٣٥١):« استفاضت الْأَخْبَار بِمَعْرِفَة الْمَيِّت بِحَال أَهله وَأَصْحَابه فِي الدُّنْيَا وَأَن ذَلِك يعرض عَلَيْهِ وَأَنه يرى ويدري بِمَا يفعل عِنْده وَيسر بِمَا كَانَ حسنا ويتألم بِمَا كَانَ قبيحا وَرُوِيَ أَن عَائِشَة رضي الله عنها بعد أَن دفن عمر رضي الله عنه كَانَت تستتر وتقول كَانَ أبي وَزَوْجي فَأَما عمر فأجنبي تَعْنِي أَنه يَرَاهَا »اهـ

فهذا مما لا أعلم له وجهة نظر، وقد ورد جملة من هذه الأخبار لا يصح منها شيء إلا هذا الأثر الموقوف على أبي أيوب .

وأما أثر عائشة الذي أشار إليه شيخ الإسلام فقد أخرجه أحمد(٢٥٦٦٠) ومن طريقه الحاكم(٣/ ٦٧) بإسنادٍ صحيح عنها قالت: قَالَتْ كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُول الله ﷺ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ .

فهذا مع صحة سنده ليس فيه دلالة صريحة لى أن الميت يعرف حال أهله.

فهذا رسول الله ﷺ: لا يدري بحال أصحابه ، فقد أخبر ﷺ أنه يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا، مَا دُمْتُ فِيهِمْ} [المائدة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ {شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٧] أخرجه البخاري (٤٧٤٠) ومسلم(٢٨٦٠)من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، فإذا كان وهو رسول الله ويرد الله عليه روحه حتى يرد على من سَلَّم عليه السلام،ولا يعلم ما عليه الأحياء، فكيف بمن دونه ﷺ

الْبَصَرُ»(١).

وفيه أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوُا الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ**». قَالُوا بَلَى. قَالَ: «**فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ**»(٢).

والجنازة تتكلم بكلام يسمعه كل شيء إلا الإنس والجن

ففي صحيح البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ**»(٣).

وللأرض كلام غير التسبيح أيضًا(٤)

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَجَلُ العَبْدَ بِأَرْضٍ أَوْثَبَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا حتى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ قَبَضَهُ اللَّهُ ﷻ فَتَقُولُ الأَرْضُ يَوْمَ**

---

(١) برقم (٩٢٠).

(٢) والجن أيضًا لا يسمعون لاشتراكهم مع الإنس في علة الابتلاء.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٨٠).

(٤) فقد قال ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤].

الْقِيَامَةِ : رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي»(١).

والعبد يُسحب إلى حتفه الذي قُدِّر عليه أن يموت فيه

قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ . فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ٦٠ - ٦٨] .

وَعَنْ أَبِي عَزَّةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً»(٢).

وَعَنْ مَطَرِ بْنِ عُكَامِسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً» أَوْ قَالَ : «بِهَا حَاجَةً».

والعبد يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم أربعين يومًا علقة ثم أربعين يومًا مضغة ثم يأتيه الملك ينفخ فيه الروح ويكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد

لقوله ﷺ : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ بِرِزْقِهِ ،

---

(١) صحيح : أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩٢) ، وابن ماجة (٤٢٦٣) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٤٧) ، وفي «العلل الكبير» (٥٩٤) ، والطيالسي (١٤٢٢) ط دار هجر ، وانظر «الفوائد النيرة» ، وله شاهد من حديث مطر بن عكامس أخرجه الترمذي (٢١٤٦) ، وأحمد (٥/ ٢٢٧) وهو الآتي بعد ، وهو صحيح بالآخر .

وَأَجَلِهِ ، وَشَقِيٌّ ، أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوِ الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ [١]، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا»[٢].

---

(١) وفي رواية البخاري(٢٨٩٨)ومسلم (١١٢) من حديث سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ »

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٣٢) ، ومسلم (٢٦٤٣) .

عـذاب القـبر

وهو حق عذابه ونعيمه

قال الله ﷻ :﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] نزلت في عذاب القبر(١).

وقال ﷻ في المعذبين بعد الموت:﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر : ٤٦] . ودلالة الآية واضحة.

وفي سنة رسول الله ﷺ

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ ﵂ : «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لاَ يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ**»(٢).

---

(١) كما قال البراء بن عازب ﵁ في رواية مسلم (٨٢٧١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٣)من طريق الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيره بن عبد الله اليشكري عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود ﵁ .

وتابع الثوريَّ مسعرُ بنُ كدام عند النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٩٤) ، وابن حبان (٢٩٦٩) ، وغيره ، وهو الوجه الذي صوَّبه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٧٦) .

وفي صحيح البخاري مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ... الحديث**»(١) .

وعذاب القبر حق لا مِرْيَة فيه

ويكفي كل ذي قلب سليم من التلويث والخبث والغبش دليل واحد مما ذكرنا .

وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ، فَقَالَتْ لَهَا أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ : «**نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ**» . قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . زَادَ غُنْدَرٌ «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»(٢) .

والقبر يضم على من فيه فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : «**هَذَا – يعني سعد بن معاذ – الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَفُتِحَ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»(٣) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢١٨) ، ومسلم (٢٩٢) وسيأتي بألفاظ متقاربة قريبًا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٢) ، وغيره .

(٣) صحيح : أخرجه النسائي (٢٠٥٤) ، وابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٤٢٨) وفي الحديث كلام طويل وله لفظ آخر .

وفي رواية : «**إنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةً لو نَجَا منها أَحَدٌ لَنَجَا منها سَعْدُ بن مُعَاذٍ**»

وقد قال ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: «مَا أُجِيرَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَلَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الَّذِي مِنْدِيلٌ مِنْ مَنَادِيلِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» »[(١)].

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة : ٢١] . والعذاب الأدنى عذاب القبر .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** ﴾ [طه : ١٢٤] .

فسرها ابن مسعود وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما بقولهما : «الضنك : عذاب القبر»[(٢)]. يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: «يُضَيَّقُ عَلَى الْكَافِرِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ » وَهُوَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ[(٣)].

وأحسن من يفسر القرآن مَن نزل عليهم وهو ﷺ فيهم رضي الله عنهم .

وقال الله ﷻ :﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ** ﴾ [الطور : ٤٧] هو عذاب القبر ؛ لأن الله ﷻ ذكره عقب قوله: ﴿ **فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ** ﴾ [الطور : ٤٥] ،وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا،

---

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٣٥٦) عنه بإسناد صحيح .

(٢) صحيح : أخرجه عبد الرزاق (٦٧٤١) والطبري في «تفسيره» (٢٤٤١٧) .

(٣) صحيح عنه : أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٤٤٢١) ، وغيره .

فدلَّ على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر .

وكذلك قال ﷻ بعد هذه الآيات: ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الطور : ٤٧] .لأنه غيب .

وقال ﷻ : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر : ٤٦][(١)] .

فاستعاذات النبي ﷺ من عذاب القبر عقب كل صلاة ، وإقراره لليهودية بأن عذاب القبر حق ، هذا وأمثاله كثير من الأحاديث يدل على إثبات عذاب القبر[(٢)] .

وحديث سمرة بن جندب الذي أخرجه البخاري وفيه أن النبي ﷺ رأى من يعذبون فيُشدخ رؤوسهم ، ومن أقامه في التنور الذي يغلي بهم، والذي يسبح في نهر من دم ونحو ذلك[(٣)] .

---

(١) «التذكرة» للقرطبي ص (١٤٣) بتحقيقي .

(٢) ومن أعظم أسباب عذاب القبر : عدم الاستنزاه أو الاستبراء من البول ، والغيبة والنميمة التي هي أكل لحوم الناس كما يدل عليه رواية البخاري (٢١٦) ، ومسلم (٢٩٢٠) .

بل في مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٢٢) ، وأحمد (٢/ ٣٢٦) وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعًا : «أكثر عذاب القبر من البول» وهو صحيح ، صححه الدارقطني والجوزقاني والبخاري وغيرهم، فراجع تخريجه كتابي «الفوائد النيرة» .

(٣) وهو الحديث الرؤية الذي أخرجه البخاري (٧٠٤٧) .

كل هذا دليل على إثبات عذاب القبر .

وإن كان في منامٍ، فإن منامات الأنبياء حق ووحي كما قالﷻ عن إبـراهيم: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَـانْظُرْ مَـاذَا تَـرَى** ﴾ [الصـافات : ١٠٢] **فاعتبره إبراهيم** ﷺ وحياً.

ومثله حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «**لَمَّا عُـرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّـاسِ وَيَقَعُـونَ فِـى أَعْرَاضِهِمْ**»(١) .

وفي حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهْىَ تَقُولُ : هَلْ شَـعَرْتِ أَنَّكُـمْ تُفْتَنُـونَ فِـي الْقُبُـورِ ؟ قَالَـتْ : فَارْتَـاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَبِثْنَا لَيَـالِيَ ثُـمَّ قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**». قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(٢) .

وعن أسماء ﵂ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَـيَّ أَنَّكُـمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ - لاَ أَدْرِى أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ**

(١) وهو صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٩) ، وابن أبي الدنيا في «الصمت» وقد وهم من زعم أنه على شرط مسلم ، فليس كذلك لكنه صحيح .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٥٨٤) وغيره .

أَسْمَاءُ – فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ : مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ – لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ – فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا. ثَلاَثَ مِرَارٍ...الحديث(١).

وكان ﷺ يدعو : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

وعن زَيْد بْنِ ثَابِتٍ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ : «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ**». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا. قَالَ : «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلاَءِ**». قَالَ : مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ : «**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»(٣).

والحاصل أن هؤلاء العصاة والكفار والفجار يعذبون عذابًا في القبور تسمعه البهائم(٤)

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٨٦) ، ومسلم وغيرهما .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٦٧) .

(٤) وينجي من عذاب القبر الاستعاذة بالله من عذابه ، فللدعاء أثره ، وقد فعله × .

وكذلك موت المرء مرابطًا في سبيل الله ﷻ .

لحديث سلمان ﷺ قال : سمعت رسول الله × يقول : «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» .

=

=

أخرجه مسلم (١٩١٣) ، وقد أخرج الترمذي (١٦٢١) ، وأبو داود (٢٥٠٠)، وأحمد (٦/ ٢٠)، وسعيد بن منصور (٢٤١٤) بإسنادٍ صحيح عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِّ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ» وفي رواية : «وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ» .

وأخرج نحواً من ألفاظه ابن ماجة (٢٧٦٧) ، وأبو عوانة (٥/ ٩١) بإسنادٍ حسن لطرقه وزاد : «وَيبَعَثَهُ الله آمِناً مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ» وصححه القرطبي في «التذكرة» ص(١٥٩) .

وأخرج ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٩٦) ، وابن الأعرابي في «المعجم» (٢٠٢٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٧) الحديث بلفظ : «كُلُّ عَمَلٍ مُنْقَطِعٌ عَنِ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ إِلا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيل الله فَإِنَّهُ يَنْمِي لَهُ عَمَلُهُ وَيَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَاب» وفي إسناده مقال لكن معناه في غيره من الأحاديث .

* ومن مات شهيدًا وقي عذاب القبر .

وفي سنن الترمذي (١٦٦٢) وغيره كثير من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهَّ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ دَمٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ – الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا – وَيُزَوَّجُ بِاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» وله إسناد حسن ، وطرقه وشواهده تكلمت عليها في «الفوائد النيرة»

فاللهم لا تحرمنا من هذا الفضل العظيم وشرفنا به ، إنك أنت الأكرم الواسع الكريم .

* ويوقي الرجل من عذاب القبر إذا مات مبطونًا

فقد أخرج ابن أبي شيبة في «مسنده» (٨٦٨) ، والطيالسي (١٣٨٣) ، وأحمد (٢/ ٤٦٢ ، ٥/ ٢٩٢) ، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٥١) بإسنادٍ صحيح عن جامع ابن شداد قال : سمعت عبد الله بن يسار يقول : كنتُ جالسًا

=

وصح في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قول مجاهد «هو ما بين الموت والبعث»(١).

وقيل للشعبي: مات فلان، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ (٢).

والميت يُعْرَض عليه مقعده بالغداة والعشي من الجنة أو النار

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

والميت يعذب ببكاء أهله عليه إذا كان النواح من سنته أو أوصى به، أو إذا علم أنهم يفعلونه مع معرفته بحرمته ولم يوصهم بتركه

ففي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وَاجَبَلاَهْ وَاكَذَا وَاكَذَا. تُعَدِّدُ عَلَيْهِ فَقَالَ: حِينَ أَفَاقَ

=

عند سليمان بن صرَد وخالد بن عُرْفُطَةَ، فذكرا: أنَّ رجلاً مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يشْهَدا جنازَته، فقال أحدُهما للآخر: ألم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ: «مَن يَقْتُلْه بَطْنُهُ لم يعذَّب في قَبره».

(١) أخرجه عنه هناد في «الزهد» (٣١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٥٦٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٩١) بإسنادٍ جيد.

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (١٥) بإسنادٍ حسن.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلاَّ قِيلَ لِي : أَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ»[١].

وفي حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : **«مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِ فَيَقُولُ وَاجَبَلاَهُ وَاسَيِّدَاهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ إِلاَّ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ أَهَكَذَا كُنْتَ»**[٢].

والميت يسمع قرع النعال عند تولي الناس عنه ويَستأنس بمن يقف عند قبره وهو يراجع رسل ربه كما ذكر عمرو بن العاص لولده ذلك

قال ﷺ : **«وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»**[٣].

وفي حديث البراء بن عازب مرفوعًا : **«فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ»**[٤].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٥] **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاَثًا ، ثُمَّ أَتَاهُمْ ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ ... ، فَقَالَ الصحابة : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟» قَالَ : «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»** يعني أحياهم الله له توبيخًا لهم .

والصالح في قبره يجلس غير فزع ويُسأل عن دينه ونبيه ﷺ ويرى مقعده من

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٦٧) .

(٢) صحيح لشواهده هذا لفظ الترمذي (١٠٠٣) وغيره .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل .

(٥) الذي أخرجه مسلم (٢٨٧٤) .

الجنة ويرى مقعده من النار لو كان قد عصى

ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الإِسْلامِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟**[1] **فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مُتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلا فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مُتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**»[2].

---

(١) وفي هذا دليل أن هناك أسئلة في القبر غير الأسئلة الثلاثة المشهورة في الأحاديث، منها قولهما له: «فِيمَ كُنْتَ؟»، والثاني: «هَلْ رَأَيْتَ الله؟» فهذان سؤالان يضافان إلى الأسئلة الثلاثة المشهورة، والأحاديث الواردة في الأسئلة الثلاثة المذكورة ليس فيها المنع من أن يكون هناك أسئلة غير الثلاثة المشهورة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٤٢)، وابن ماجة (٤٢٦٢، ٤٢٦٨) وغيرهم، وقد صححه الذهبي، والبوصيري وغيرهم، وهو كذلك، ونحوه في سنن الترمذي =

والروح تُعاد إلى الجسد ويقع السؤال على الروح والجسد

كما يدل عليه حديث البراء بن عازب : «**ثمَّ تُعَاد روحه فِي جسده**» وهو ثابت صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره وتقدم مرارًا .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ[١] :

وَلَوْ كَانَ السؤالُ والعذابُ يقعُ عَلَى الرُّوح فَقَطْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَدَنِ بِذَلِكَ اِخْتِصَاص ، وَلا يَمْنَع مِنْ ذَلِكَ كَوْن الْمَيِّت قَدْ تَتَفَرَّق أَجْزَاؤُهُ ، لأَنَّ اللَّه قَادِر أَنْ يُعِيد الْحَيَاة إِلَى جُزْء مِنْ الْجَسَد وَيَقَع عَلَيْهِ السُّؤَال [٢]، كَمَا هُوَ قَادِر عَلَى أَنْ يَجْمَع أَجْزَاءَهُ .

وَالْحَامِل لِلْقَائِلِينَ بِأَنَّ السُّؤَال يَقَع عَلَى الرُّوح فَقَطْ أَنَّ الْمَيِّت قَدْ يُشَاهَد فِي قَبْره حَال الْمَسْأَلَة لا أَثَر فِيهِ مِنْ إِقْعَاد وَلا غَيْره ، وَلا ضِيق فِي قَبْره وَلا سَعَة ، وَكَذَلِكَ غَيْر الْمَقْبُور كَالْمَصْلُوبِ .

وَجَوَابهمْ أَنَّ ذَلِكَ غَيْر مُمْتَنِع فِي الْقُدْرَة ، بَلْ لَهُ نَظِير فِي الْعَادَة وَهُوَ النَّائِم فَإِنَّهُ يَجِد لَذَّة وَأَلَمًا لا يُدْرِكهُ جَلِيسه ، بَلْ الْيَقْظَان قَدْ يُدْرِكُ أَلَمًا أَوْ لَذَّة لِمَا

=

(١٠٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه تسمية الملكين أحدهما منكر ، والآخر نكير ، ورواية الترمذي صحيحة بالشواهد ، وإسناد الترمذي الذي فيه تسمية الملكين حسن استقلالاً .

وكنت قد نبهت في هامش تخريج التذكرة أن تسمية الملكين لا يثبت ، لكنني استدركت ذلك هنا ؛ لأن إسناد الترمذي الذي فيه التسمية حسن ، والحمد لله رب العالمين .

(١) في «فتح الباري» (٣/ ٢٨٧) .

(٢) وقد علم علم أن جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب كما سيأتي الحديث بذلك .

يَسْمَعهُ أَوْ يُفَكِّر فِيهِ وَلا يُدْرِكُ ذَلِكَ جَلِيسه ، وَإِنَّمَا أَتَى الْغَلَط مِنْ قِيَاس الْغَائِب عَلَى الشَّاهِد وَأَحْوَال مَا بَعْد الْمَوْت عَلَى مَا قَبْله ، وَالظَّاهِر أَنَّ اللَّه تَعَالَى صَرَفَ أَبْصَار الْعِبَاد وَأَسْمَاعهمْ عَنْ مُشَاهَدَة ذَلِكَ وَسَتَرَهُ عَنْهُمْ إِبْقَاءً عَلَيْهِمْ لِئَلا يَتَدَافَنُوا .

كما قال ﷺ :«**لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ**»(١) .

وَلَيْسَتْ لِلْجَوَارِحِ الدُّنْيَوِيَّة قُدْرَة عَلَى إِدْرَاك أُمُور الْمَلَكُوت إِلا مَنْ شَاءَ اللَّه وَقَدْ تَبَتَتْ الأَحَادِيث بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُور فمن ذلك

قوله ﷺ : «**إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»(٢) .

وقوله ﷺ :«**وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ**»(٣) .

وقوله ﷺ : «**يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ**»(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٣٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) كما في مسند أحمد (٤/ ٢٨٧) وهو حديث صحيح خرجته في «الفوائد النيرة» من حديث البراء بن عازب ، وكذلك في حديث أنس بن مالك بإسناد صحيح أيضًا وهو في صحيح البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) .

(٤) وهو في رواية البخاري (١٣٣٨) ، ومسلم (٢٨٧٠) .

قوله ﷺ : «**أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ**»[١].

وقوله ﷺ-كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه -:«**فأفرشوا له من النار**» .

وقوله ﷺ : «**فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة**» .

وقوله ﷺ : «**ويفسح له في قبره مد بصره**» .

وكل ذلك إنما هو في صفات الأجساد ، فيدل على أن السؤال إنما يكون على الروح والجسد ، وهو الظاهر من الأدلة .

ومن تأمل سياق حديث البراء بن عازب من أول مجيء الملك إليه لقبض روحه إلى أن يستقرَّ في قبره لَيجد هذا المذكور واضحًا، والله أعلم .

ومن ترهات وخزعبلات أبي الْهُذَيْلِ العلاف– من شيوخ المعتزلة – وَمَنْ تَبِعَهُ أَنَّ الْمَيِّت لا يَشْعُر بِالتَّعْذِيبِ وَلا بِغَيْرِهِ إلا بَيْن النَّفْخَتَيْنِ، قَالُوا: وَحَاله كَحَالِ النَّائِم وَالْمَغْشِيّ عَلَيْهِ، لا يُحِسّ بِالضَّرْبِ وَلا بِغَيْرِهِ إلا بَعْد الإِفَاقَة[٢].

وَالأَحَادِيث الثَّابِتَة فِي السُّؤَال حَالَة تَوَلِّي أَصْحَاب الْمَيِّت عَنْهُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ .

كحديث البراء بن عازب ، وأنس بن مالك رضي الله عنهما وغيرهما .

---

(١) كما في رواية البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٨٧) .

ويبلى الإنسان في قبره ويأكله التراب إلا عجب الذنب[١]

لحديث أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهْوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وفي رواية عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[٣].

وأجساد الأنبياء كما هي لا يأكلها التراب في القبور[٤]

فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»،قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُونَ: قَدْ بَلِيتَ، فَقَالَ:«**إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ**

---

(١) وهو عظم لطيف في أصل الصلب ، وقيل : هو رأس العصعص يبقيه الله ﷻ إلى أن يركّب منه الإنسان مرة أخرى للبعث .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٣٥) ، ومسلم (٢٩٥٥) .

(٣) صحيح : أخرجها مسلم (٢٩٥٥) .

(٤) وبعض الشهداء كذلك كما في حديث جابر ﵁ أنه أخرج والده من القبر لعلة بعد ستة أشهر لم يتغير منه كبير شيء يذكر وهذا في صحيح البخاري (١٣٥١) باب هل يخرج الميت من القبر لعلة .

عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»[١].

والأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية ليست كحياتنا ولا تخضع لمقاييس البشر، فالله أعلم بحقيقتها [٢]، فهي تابعة لعلم الغيب الذي لا يعلم كيفيته إلا من غيّبه

---

(١) وهو حديث صحيح أخرجه النسائي (١٣٧٢)، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، وابن ماجة (١٦٣٦) وقد حسنه ابن العربي المالكي فيما حكاه عنه القرطبي في «التذكرة» ص(١٧٦) بتحقيقي، وإنما هو صحيح.

(٢) فليست حياتهم كالحياة التي كانوا يعيشونها في الدنيا ،يأكلون ويشربون ويسمعون كما يُرى، وقد تمسك من أنكر الحياة في القبر بقول أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ وهو ميت: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُذِيقُكَ الله المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ» الذي أخرجه البخاري (٣٦٦٧).

وأجيب عن أهل السنة المثبتين لذلك بأن المراد: نفي الموت اللازم من الذي أثبته عمر ﷺ بقوله في الحديث السالف: «ليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم» كما في صحيح البخاري(٣٦٦٧)، وليس فيه تعرض لما يقع في البرزخ.

وقدأشار الحافظ في «الفتح» (٧/٣٣)إلى هذا الجواب، ثم قال: وأحسن من هذا الجواب أن يقال: إن حياته ﷺفي القبر لايعقبها موت، بل يستمرّ حيًا والأنبياء أحياء في قبورهم، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين حيث قال: «لايذيقك الله الموتتين المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء» أ. هـ

وقوله هذا عليه تعقب، والصواب: النقل الأول عن أهل السنة، وقد علق عليه الشيخ عبد الله بن سعدي فقال: الصواب الأول، وهو أن حياة الأنبياء في قبورهم برزخية غير الحياة المعهودة هنا، وأما ما جعله أحسن فليس كما قال؛ لأنه قام الدليل القاطع أنه لا يبقى عند النفخ في الصور أحدٌ حيًا، فلو كان الأمر كما قال؛ لكان الله قد جمع عليه موتتين، وهو خلاف قول أبي بكر– أشار إلى ذلك في «الدرر السنية» – والله أعلم.

قلت «محمد»: ولو كان حيًا الحياة المعروفة الدنيوية؛ لرفع الصحابة إليه الأمر فيما جرى بينهم، ولما عدلوا إلى التوسل بسؤال العباس، والبرزخ له طور ثانٍ، وحكم ثانٍ، ولو كان × حيًا لبطل حكم

=

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

ففي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم قَـالَ : «**مَـرَرْتُ عَلَـى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»[1] [2].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «**لَقَدْ رَأَيْتُنِـي فِـي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْـدِسِ لَـمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِـي أَنْظُـرُ إِلَيْـهِ مَـا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِـي جَمَاعَـةٍ مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ ، فَـإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَـنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَـى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَإِذَا**

=

الاجتهاد ، ولحُسم النزاع في المسائل في زمن الصحابة ، والمقصود : أن الحياة المنفية هي الحياة المعهودة ، والله أعلم .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٧٥) .

(٢) **فإن قيل** : كيف رأىٰ موسىٰ عليه السلام يصلي في قبره وهو قد صلىٰ بالأنبياء في بيت المقدس ، وكذلك وجدهم في السماء وسلَّموا عليه ورحَّبوا به ؟»

فالجواب : يحتمل أن رؤيته لموسىٰ عليه السلام في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعود النبي × إلىٰ السماء وفي طريقه إلىٰ بيت المقدس ، ثم وجد موسىٰ عليه السلام سبقه إلىٰ السماء ، ومحتمل غير ذلك مما أشار إليه العلماء كما في «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» ، و«فتح الباري» ، و«حياة الأنبياء» للبيهقي ، وغير ذلك .

وبكل حال : ليس هذا إشكال يَردُ أصلاً ، والله علىٰ كل شيء قدير ، فإذا صح الخبر وجب التصديق فيما هو أبعد من ذلك وأقل ، وهذا من معاني الإيمان .

إِبْـرَاهِيمُ عليه السلام **قَـائِمٌ يُصَـلِّى أَشْـبَهُ النَّـاسِ بِـهِ صَـاحِبُكُمْ (يَعْنِـى نَفْسَـهُ)... الحديث»**(١).

وقال ﷺ : «**إِنَّ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيـهِ خُلِـقَ آدَمُ ، وَفِيـهِ قُـبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِـنَ الصَّـلاَةِ فِيـهِ ، فَـإِنَّ صَـلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْـكَ وَقَـدْ أَرِمْتَ ؟ يَقُولُونَ : قَدْ بَلِيتَ ، فَقَالَ : «**إِنَّ اللَّهَ** عز وجل **حَرَّمَ عَلَـى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُـلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»(٢).

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَا مِـنْ أَحَـدٍ يُسَـلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**»(٣).

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ لِلَّـهِ** عز وجل **مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ**»(٤).

ولئن كان الشهداء عند ربهم يرزقون

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًـا بَـلْ أَحْيَـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٢) .

(٢) وهو حديث صحيح خرجته في كتابي «الفوائد النيرة» وذكرت شواهد له هناك .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

فالرسل أكمل من الشهداء كرامة ومنزلة والأنبياء أحق بهذه المنزلة منهم[١].

والشمس تجري لمستقر لها تحت العرش وليست ثابتة

قال ﷻ : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [يس : ٣٨].

وأخرج البخاري عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ قَالَ: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**»[٢].

وفي صحيح البخاري (٧٤٢٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ :«دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ ، فَلَمَّا غَرَبَتْ الشَّمْسُ ، قَالَ : «**يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟**» قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي**

(١) وقد استُدل بهذه الآية ، وبأن أزواج النبيﷺ لا يحل لهن أن يتزوجن من بعده بقوله ﷻ : ﴿ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]، مع ظواهر الأدلة المتقدمة على أن الحياة حياة حقيقية خاضعة لمقاييس البشر ، وليس بصحيح

وقد تعلَّق أهل البدع وعباد القبور والاستغاثة والاستعانة بالأموات ، والتوسل برسول الله ﷺ في قبره بناء على ذلك ، وفيه نظر ؛ لأن الحياة للشهداء حياة لأرواحهم ، وكون أزواجه ﷺ لا يتزوجن من بعده فليس لأن عقد النكاح ثابت قائم ، ولكن هذه خصوصية ومنقبة لرسول الله ﷺ ، وأنهن أزواجه في الآخرة ، والله أعلم.

واعلم أن القول لرسوله ﷺ يوم القيامة : «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» يدل على انقطاع معرفة الرسول بما نحن فيه إلا ما أخبره الله ﷻ مما خصه دليل، كسلام المؤمن عليه ﷺ، والله أعلم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٣٣) .

السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا ﴾ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ .

فدع عنك شنشنة من خالف هذا وأتباعهم من بني جلدتنا ، ففي غدٍ ينتبه أحفادهم إلى صحة قول خالقهم ، وهكذا حال الزبد وحال ما ينفع الناس.

قال سبحانه وتعالى : **﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾** [الرعد : ١٧] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾** [الأنبياء : ١٨] .

أيد الله عز وجل بنا الحق، وأرشدنا إلى الصواب والخير، في أمور الدين والدنيا إنه عليم خبير .

ولا أحد يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، ثم من ارتضى له من رسول أن يظهره على بعضه

قال سبحانه وتعالى :**﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ ﴾**

[النمل : ٦٥] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾** [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ ﴾** [البقرة : ٢٥٥] .

وفي حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ ، لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ»(١).

وحتى محمد رسول الله ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله ﷻ عليه

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهْوَ يَقُولُ سبحانه وتعالى : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾(٢) [الأنعام : ١٠٣] ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ ، وَهْوَ يَقُولُ لاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ»(٣).

وانفرد سبحانه وتعالى بخمس لا يعلمهن ملك مقرب ولا نبي مُرسل كما تقدم في الآية

وتقدم إنكاره ﷺ على التي سمعها تقول: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وفي ثنايا الكتاب مزيد يتعلق بعلم الغيب .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٧٩) .

(٢) والظاهر أن عائشة رضي الله عنها فهمت من الرؤية الإدراك ، ولكن هذا ليس بلازم، فإن الرؤية لا تستلزم الإدراك لا شرعاً ولا عقلاً.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٧٣٨٠) .



الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة

الملائكة خلقت من نور

قال رسول الله ﷺ : «**خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(١).

قد خلقوا قبل آدم ﷺ

قال ﷻ : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وكان لم يخلق آدم عليه السلام بعد .

والملائكة أعداد كبيرة على اختلاف أعمالهم

ففي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(٢).

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «...**فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٣).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٩٦) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٨٩) .

(٣) صحيح : اخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

وفي حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه مرفوعًا : «**إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ ، وَمَا تُلامُ أَنْ تَئِطَّ ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ وَقَائِمٌ**»(١).

وفي حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟**» ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»(٢).

وللملائكة أجنحة

منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاث أجنحة ، ومنهم من له أربع أجنحة

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** ﴾ [فاطر : ١] .

وخيار الملائكة قد شهدوا بدرًا ينصرون المؤمنين ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، وجبريل أفضل الملائكة وأعظمهم خَلْقًا يملأ بين السماء إلى الأرض له ستمائة جناح .

ففي صحيح البخاري (٣٩٩٢) عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ ﷺ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلائِكَةِ**» .

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٠ ، ٢٥١) بإسنادٍ حسن لشواهده .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٣٠) .

ومن عظم مَلَكٍ من ملائكَةِ اللَّهِ ﷻ من حَمَلَةِ العرْشِ : «أنَّ مَا بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ مَسِيرةُ سَبْعِمَائةِ عَامٍ»[١].

وفي صحيح مسلم (١٧٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِنْ مَسْعُود في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ .

وفي صحيح البخاري (٣٢٣٤) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ» .

وفي صحيح البخاري (٤٨٥٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِنْ مَسْعُود رضي الله عنه في قوله : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

قَالَ : «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ» .

والملائكة عباد مكرمون لا يسبقون ربهم بالقول وهم بأمره يعملون ، وإن كانوا يشفعون كما تقدم ، لكن لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله أن يُشفع فيه وهم من خشية ربهم مشفقون ، وهم قادرون على التشكل بصور حسنة وأشكال مختلفة [٢] ليس فيهم أنثى ، لا يأكلون ولا يشربون ، وهم عبادٌ لله ﷻ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فلا يستنكفون عن عبادته سبحانه وتعالى

---

(١) كما في سنن أبي داود (٤٧٢٧) بإسنادٍ حسن .

(٢) فقد تمثل جبريل عليه السلام لمريم رضي الله عنها بشرًا سويًا ، وجاء جبريل في صورة رجل ورآه الصحابة كما في حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان .

وخلقهم عظيم[(١)] ، يسبحون الليل والنهار ولا يسأمون ولا يفترون ولا يستكبرون .

والإيمان بهم الركن الثاني بعد الإيمان بالله ﷻ .

قال ﷻ : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقال ﷻ :﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال : «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... الحديث**»[(٢)] .

---

(١) كما تقدم في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللهَّ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ» ، وإسناده حسن ولكن لبعضهم ستمائة جناح يسد الأفق ، وبإمكان بعضهم أن يقلب القرية بمن فيها كلها على جناحه كما حصل لقوم لوط عليه السلام، فمنهم من هو شديد القوى ، وبعضهم بصيحة أهلك قوم صالح ، وبعضهم بنفخة في الصور يُصعق من في السموات ومن في الأرض ، وإذا كان هذا حال المخلوق ، فما البال بالخالق الذي ليس كمثله شيء ﷻ ؟»

(٢) صحيح : متفق عليه .

والملائكـة أقسام

منهم الموكل بالوحي

قال ﷻ : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] .

ومنهم الذي التقم القرن وحنى جبهته ينظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ

قال ﷺ : «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وانتظر أن يؤذن له» قالوا يا رسول الله : كَيْفَ نَقُولُ ؟ ، قَالَ : «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا»(١) .

ومنهم الكرام الكاتبون الذين يشهدون على العبد يوم القيامة .

قال ﷻ في الحديث القدسي للعبد في الحساب : «كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي ، قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ... الحديث»(٢) .

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وأعوانه

قال ﷻ : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة : ١١] .

---

(١) وتخريجه في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٦٩) .

وكما يدل عليه حديث البراء بن عازب الطويل : «**فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ**»(١).

ومن هؤلاء الملائكة : الموكل بحفظ أعمال بني آدم الكاتبين لها

قال ﷻ : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار : ١٠ - ١٢] .

قال ﷺ : «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ، فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(٢).

ويطلق على الكتبة حفظة باعتبار أنهم يحفظون ما يكتبون على ابن آدم كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في ذكر الرجل الذي يَنْشُرُ لَه تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ قَالَ : لا... الحديث» (٣).

ومنهم الموكلون بحفظ العبد نفسه في حلّه وترحاله ، وفي نومه ويقظته، إلا لو كان قدر الله ﷻ فيدعونه

قال ﷻ : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾

(١) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد ، وهو مخرج في كتابي «الفوائد النيرة» (٢٦٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) بإسنادٍ جيد .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال له الشيطان : من قرأ آية الكرسي لا يزال عليه حافظًا من الله تبارك وتعالى ولا يقربه شيطان حتى يصبح [(١)].

ومن الملائكة : خزنة للجنة

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر : ٧٣] .

ومن الملائكة : خزنة جهنم ورؤساؤهم تسعة عشر ، ومالك رئيسهم

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

وفي صحيح البخاري[(٢)] من حديث سمرة بن جندب في الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه : «**...فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً ، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قَالَ قُلْتُ لَهما : مَا هَذَا...**» وفيه : «**فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ**».

ومن الملائكة حملة العرش الذين يستغفرون للتائبين

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ [الحاقة : ١٧] [(٣)].

---

(١) كما في صحيح البخاري (٢٣١١) .

(٢) برقم (٧٠٤٧) .

(٣) وقد ورد حملة العرش الآن أربعة : لكنهم يوم القيامة ثمانية كما قال تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ .

=

=

وقد أخرج أحمد (١/ ٢٥٦) عن عَبْد اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : عَبْد الله وَسَمِعْتُهُ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَ أُمَيَّةَ فِي شَيْءٍ مِنْ شِعْرِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ، وَالنَّسْرُ لِلأُخْرَىٰ وَلَيْثٌ مُرْصَدُ وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ تَأْبَىٰ ، فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلا مُعَذَّبَةً وَإِلا تُجْلَدُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «صَدَقَ» .

وقد أخرج غير واحد الحديث عن عبدة بن سليمان فلم يذكروا تصريح ابن إسحاق بالتحديث من يعقوب ، ولم يأت التصريح بالسماع إلا في رواية عند ابن خزيمة في «التوحيد» (١١٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات » (٧٤٥) ، وفي الطريق إليه يونس بن بكير تكلم فيه، وعند الآجري في«الشريعة»(١٠٣٥) الحديث من طريق يونس، وليس فيه ذكر التحديث .

وذكر بعض أهل العلم أنه كان يوصل كلام ابن إسحاق بالأحاديث ، وإنما روىٰ مسلم له في الشواهد ، ثم إنه قد رواه هو نفسه غير مرة بغير إثبات التحديث بينه وبين يعقوب .

وقد قال الهيثمي في «المجمع» عقب الحديث (٨/ ٢٣٣) : رجاله ثقات ، إلا أن ابن إسحاق مدلس »

والمدلس لا يحتج بخبره ما لم يتبين السماع ، وحاول البيهقي إعلاله بانفراد محمد بن إسحاق، وهذا لا يتحمَّله محمد بن إسحاق، وقد وقع تصريحه بالسماع عند الآجري(١٠٣٤) ولكن في الطريق إليه مجهول.

فالصواب : إعلاله أيضاً بعدم تصريحه بالسماع من وجه يصح عنه ، والحاصل : أنه ضعيف من قبل عنعنة ابن إسحاق ، ولا يغتر بتجويد ابن كثير له في «تفسيره» تفسير﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ ، وقال ابن الجوزي في«العلل»(٢٠):«هذا حديث لا يصح تفرَّد به محمد ابن إسحاق» .

لكن أخرج ابن خزيمة في «التوحيد» (١١٣) قال ثنا أبو هشام زياد بن أيوب ثنا إسماعيل يعني ابن علية قال ثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن خزيمة .. فذكر القصة، ولم يسق لفظة، وساق سنده

=

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر : ٧] .

ومنهم : جنود الرحمن الذين لا يعلمهم إلا هو سبحانه وتعالى

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدثر : ٣١].

وهم يقاتلون مع أهل الإيمان في حروبهم مع الكفار كما حصل في غزوة بدر وغيرها .

=

ومتنه الطبري في تفسير فلا أقسم وهذا إسناد ظاهره الصحة عن ابن عباس، ولكن لا علاقة له بوصف حملة العرش، ولا عدد من يحمله ، فالله أعلم .

وقد قال البيهقي عقب حديث رواية ابن إسحاق المتقدمة : «أريد به ما جاء في حديث آخر عن ابن عباس أن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة

ملك في صورة رجل ، وملك في صورة أسد ، وملك في صورة ثور ، وملك في صورة نسر

فكأنه إن صح – بين ان الملك الذي في صورة الأسد وهو الليث يحملان من الكرسي موضع الرجل الأخرى»

أ.هـ وقد رواه الدارمي في«نقض بشر المريسي» (١/ ٤٧٨) بسندٍ صحيح عن عروة قال: «حملة العرشمنهم من صورتة على صورة النسر، ومنهم من صورته على صورة الثور، ومنهم من صورته على صورة الأسد». وروي عن قتادة أن حملة العرش اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية، ولا يقبل مثل هذا من عروة فإنه تابعي

ومنهم : الذين يحفُّون من يجلسون يذكرون الله ﷻ

قال ﷺ : «**لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

ولعلهم السيارة الفضلاء الذين يتبعون مجالس الذكر يجلسون مع من يجلس ويتحدثون لله ﷻ عن عمل أهل الإيمان

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ**».

وهم الذين قالوا لربهم إن سألهم عنهم : «**يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ**».

وأن الله ﷻ يقول : «**فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**»(٢).

ومنهم : الذين يبلِّغون رسول الله ﷺ من أمته السلام

قال ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ**»(٣).

ومنهم : الموكَّلون بالجبال

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٠) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) بنحو من معناه .

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١٢٠٥) ، وأحمد (١/ ٤٤١) وغيرهما بإسناد صحيح .

ففي الصحيحين قصة خروج النبي ﷺ إلى بني عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ وعودته من هناك، وفيه قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»**.

وفيه قول ملك الجبال: **«إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»**. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[1].

ومن هؤلاء الملائكة: زوّار البيت المعمور، يطوف به سبعون ألفًا، كل يوم لا تأتي نوبتهم ثانية من كثرة هؤلاء الزوار، فكم يكون عددهم؟»

ففي حديث الإسراء الطويل قال ﷺ: **«فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ...» الحديث**[2].

وثمَّ ملائكة تجرّ جهنم

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»**[3].

وثمَّ ملائكة تنزل بالبشارات

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (١٦٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) مرفوعًا وهو صحيح موقوفًا – على الراجح – له حكم الرفع.

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت : ٣٠ ، ٣١] .

وثمَّ تفصيلات :

فبشارة تتنزل بها الملائكة للحسن والحسين وفاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهم بالخير ، وبشارة لزائر أخيه في الله ﷻ .

وملائكة تنزل عند تلاوة القرآن ، وليلة القدر ، وقراءة القرآن في الفجر وعند قضاء الله الأمر في السماء .

وملائكة تكتب الداخلين لصلاة الجمعة ، وملائكة تحرس مكة والمدينة من الدجال أن يدخلها .

وقد تتمثَّل الملائكة في صورة بشر كما في حديث جبريل عليه السلام ، وحديث الأقرع والأبرص والأعمى ، وفي قصة مريم ، وحديث الوصاية بالجار عند أحمد في «المسند».

وملائكة يُصلُّون على المرء ما دام في مُصلاه ما لم يُحدِثْ فيه ، والملائكة يردُّون السلام على من سلم على أخيه ولم يرد .

وما من أحد إلا ووكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة

ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ**

وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ»[(١)].

وملائكة يُصلُّون على النبي ﷺ والمؤمنين

قال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وقال ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

والملائكة يُصلُّون على الصفوف الأُوَل في الصلاة .

وملائكة يشفعون عند ربهم لأهل الإيمان .

وملائكة يستحيون من عثمان رضي الله عنه[(٢)].

والأنبياء والشهداء والصالحون أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية

إذا دخلوا الجنة ونالوا من الدرجاتِ العُلا والنعيمِ المقيمِ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾.

أما من حيث البداية التي نحن نعيش فيها الآن ، فالملائكة أفضل من البشر[(٣)]

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨١٤) .

(٢) وللسيوطي رسالة « الحبائك في أخبار الملائك» مفيدة ونافعة على صغر حجمها ، ويعوذها التحقيق.

(٣) وقد قال تعالى في الحديث القدسي«وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». أخرجه مسلم (٢٦٧٥)

فإنهم عند ربهم ، وهم الملأ الذين هم خير من ملأ البشر(١) .

وهم في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابس بنو آدم من الذنوب والمعاصي(٢) .

وهكذا تجتمع الأدلة التي ربما كان ظاهرها التعارض .

فقوله ﷻ : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** ﴾ [البقرة : ٣٤] دليل على تفضيل الإنس وتشريفهم عنهم بالعلم .

والله تعالى يقول : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : ٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص : ٧٥] كذلك ؛ لأن من خُلِق بيد الله ﷻ خير ممن لم يخلقه بيده .

ولا شك أن الذي يجد في العبادة مشقة ويتعبد– وهم صالحو البشر –

---

(١) قال بنحو ذلك شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٤٣) تحت فصل «فائدة التفضيل بين فاطمة وعائشة» ، وأيده ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٨٤) ونصره وأُعجب به فقال : «وبهذا يتبين سر التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين ، ويصالح كل منهم علىٰ حقه...».

(٢) فقد قال تعالىٰ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..» وسيأتي تخريجه. وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

أفضل ممن لا يجد مشقة في العبادة، بل فطر عليها ؛ كالملائكة[١]، وهذا وجه آخر لتفضيل البشر على الملائكة.

ولا منافاة بين كون الله ﷻ نعت الملائكة بالملأ الذين هم خير من بني آدم فقال : «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[٢].

---

(١) ولذلك يباهي الله بهم الملائكة يوم عرفة فيقول : «انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ ، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي ، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي» أخرجه ابن حبان (٣٨٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وله شاهد من حديث جابر أخرجه ابن حبان أيضًا برقم (٣٨٥٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وراجع وجوه تفضيل الملائكة على البشر وسياق الأدلة الواردة في الباب في «فتح الباري» (١٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠) .

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة في عقيدة المؤمن :

العلم بعظمة الله ﷻ وقوته وسلطانه وعظمة المخلوق من عظمة الخالق ، وشكر الله ﷻ على أن منّ عليهم بأن وكل بهم ملائكة يحفظونه من أمر الله ويستغفرون لهم بقولهم : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧] .

ومن هذه الثمرات :

التشبه بالملائكة في مداومة الطاعة ، وعدم العصيان ، والمصابرة على ذلك بلا ملل ، ومن ذلك: التيقظ والحياء من الملائكة الذين عن اليمين وعن الشمال يعلمون ويكتبون أفعال بني آدم .

ومتى علم العبد إذا علم أن الملائكة كرامٌ على الله ﷻ ، فإن ذلك يحمله على تكريمهم فلا يفعل ما يؤذيهم من أكل البصل والثوم إذا كان سيذهب إلى المسجد ، وقد قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» وقد أخرجه أصحاب الصحاح .

ومن ذلك : الاستئناس بالملائكة عند محاربة الأعداء فقد قال الله ﷻ لهم في غزوة بدر : ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [الأنفال : ١٢] .
=

وبين ما تقدم من تفضيل البشر من بني آدم على الملائكة.

والملائكة معصومون بالإجماع

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ :

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء ، واتفـق أئمـة المسـلمين أن

=

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة :

أن من علم أن ثَمَّ ملائكة يدعون للمنفق : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا اهتم بالنفقة ولم يبخل ، لتناله دعوة الملائكة «اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا » .

إذ قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» أخرجه البخاري (١٤٤٢) ، ومن علم أنهم يدعون لمن يدعو لأخيه بظهر الغيب اهتم بالدعاء لإخوانه إذ النبي ﷺ يقول :

«مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ» أخرجه مسلم (٢٧٣٢) عن أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إلى غير ذلك من ثمرات الإيمان بالملائكة .

ومن لوازم الإيمان بالملائكة :

أن لا يفرق بين أحد منهم ، فلا يعاديهم كما عادتهم اليهود ، قال الله تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧ ، ٩٨] فينزلهم العبد منزلتهم .

ومنكر وجود الملائكة كافر بالله العظيم ، مُكذِّب بالقرآن والسنة ، ومُكذِّب بعلم الغيب الذي أمر الله تَعَالَى بالإيمان به ، وحديث جبريل المشهور دليل على هذا .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦]

حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه ، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم [(١)] .

وثم معلومات عن الملائكة جاءت في صحيح الأخبار تُعتقد لكن ليس مجال ذكرها وذكرُ أدلتها هنا ، فهي تحتاج إلى مؤلف مستقل يتعلق بذلك ، والله الموفق .

---

(١) «الشفا» للقاضي عياض ص (١٨٨ - ١٨٩) .

الفهرس